رحلة ابن خلدون — عثمانزاده افندی [illegible] ١٥٤

کتاب رحلة لابن خلدون بخطه

[illegible]

مؤلف خطیله در

آیاصوفیه

[illegible]

[illegible pencil notes]

كتاب

رحلة ابن خلدون

بخطه رحمه الله تعالى

من كتب ابي بكر بن رستم بن احمد بن محمود الشرواني عفى الله عنه

هو الحي

من كتب العبد ويس

من نعم الرحمن الى الفقير عثمان

من نعم الله على العبد محمد ... الراجي ... سنة ١٢٠٥

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان
السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع ونظر
واعتبر وتذكر أجزل الله تعالى ثوابه وأنا الفقير أحمد شيخ زاده
المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما

رحله

التعريف بابن خلدون مولف الكتاب ورحلته غربًا وشرقًا

واصل هذا البيت من اشبيليه انتقل سلفنا عند الجلاء وغلب ملك الجلالقه
ابن أذفونش عليها الى تونس في اواسط المايه السابعه

نسبه

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابرهيم بن
عبد الرحمن بن خلدون لا اذكر من نسبي الى خلدون غير هولاء العشره ويغلب
على الظن انهم اكثر وانه سقط مثلهم عددا لان خلدون هذا هو الداخل الى
الاندلس فان كان اول الفتح فالمده لهذا العهد سبع ميه سنه فيكونون زهاء
العشرين ثلاثه لكل مايه كما تقدم في اول الكتاب الاول ونسبنا في حضرموت
من عرب اليمن الى وايل بن حجر من اقيال العرب معروف وله صحبه قال ابو محمد بن حزم
في كتاب الجمهره وهو وايل بن حجر بن سعيد بن مسروق بن وايل بن النعمان بن ربيعه
ابن الحرث بن عوف بن سعد بن عوف بن عدي بن ملك بن شرحبيل بن الحرث بن ملك
ابن مره بن حميري بن زيد بن الحضرمي بن عمرو بن عبد الله بن عوف بن جرشم
ابن عبد شمس بن زيد بن لاي بن شبث بن قدامه بن اعجب بن مالك بن لاي
ابن قحطان وابنه علقمه بن وايل وعبد الجبار بن علقمه بن وايل وذكره ابو عمر
ابن عبد البر في حرف الواو من الاستيعاب وانه وفد على النبي صلى الله عليه
وسلم فبسط له رداءه واجلسه عليه وقال اللهم بارك في وايل بن حجر وولده
وولد ولده الى يوم القيامه وبعث معه معويه بن ابي سفين الى قومه يعلمهم
القران والاسلام فكانت له بذلك صحابه مع معويه ووفد عليه لاول خلافته
واجازه فرد عليه جايزته ولم يقبلها ولما كانت واقعه حجر بن عدي الكندي بالكوفه
اجتمع روس اهل اليمن فكانوا مع زياد بن ابي سفين عليه حتى اوثقوه وجاوا به الى
معويه فقتله كما هو معروف قال ابن حزم ويذكر بنو خلدون الاشبيليون
من ولده وجدهم الداخل من المشرق خالد المعروف بخلدون بن عثمان بن هاني
ابن الخطاب بن كريب بن معدي كرب بن الحرث بن وايل بن حجر انتهى كلام ابن حزم
قال ... ولما دخل خالد الاندلس نزل بقرمونه ونشا بيت بنيه بها ثم انتقلوا
الى اشبيليه وكانوا في جند اليمن وكانت لهم اخبار ... وكان من عقبه كريب بن عثمان

ابن خلدون

ابن خلدون واخوه خالد وكانا من اعظم ثوار الاندلس قال ابن حزم واخوه
محمد كان من عقبه ابو العاصي عمرو بن محمد بن خالد بن محمد وبنو ابي العاصي محمد واحمد
وعبد الله قال ومنهم الحكيم المشهور بالاندلس من تلميذ مسلمه المجريطي وهو
ابو مسلم عمر بن محمد بن بقي بن عبد الله بن بكر بن خالد بن عثمان بن
خلدون الداخل وابن عمه احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله قال ولم يبق من ولد كريب
الرئيس المذكور الا ابو الفضل بن محمد بن خلف بن احمد بن عبد الله بن كريب انتهى كلام
ابن حزم

سلفه بالاندلس

ولما دخل خلدون بن عثمان جدنا الى
الاندلس نزل بقرمونه ونشأ بيت بنيه بها ثم انتقلوا الى اشبيليه وكانوا في جند
اليمن وكان كريب من عقبه واخيه خالد الثوره المعروفه باشبيليه ايام الامير
عبد الله المرواني ثار على ابن ابي عبده وملكها من يده اعواما ثم ثار عليه ابرهيم بن حجاج
باملاء الامير عبد الله وقتله وذلك في اواخر المايه الثالثه وتلخيص الخبر
عن ثورته على ما نقله ابن سعيد عن الحجاري وابن حيان وعنهما وينقلوه
عن ابن الاشعث مورخ اشبيليه ان الاندلس لما اضطربت بالفتن ايام الامير
عبد الله تطاول روسا اشبيليه الى الثوره والاستبداد وكان روساها المتطاولون
الى ذلك في بلده بيوت بيت بني ابي عبده ورئيسهم يوميذ اميه بن عبد الغافر
ابن ابي عبده وكان عبد الرحمن الداخل ولى ابا عبده اشبيليه واعمالها
وكان حافده اميه من اعلام الدوله بقرطبه ويولونه الممالك الضخمة وبيت
بني خلدون هولاء ورئيسهم كريب المذكور ويردفه اخوه خالد قال
ابن حيان وبيت بني خلدون الى الان في اشبيليه نهايه في النباهه ولم تزل اعلامه
بين رياسه سلطانيه ورياسه علميه ثم بيت بني حجاج ورئيسهم يوميذ
... قال ابن حيان هم من لخم وبيتهم الى الان في اشبيليه ثابت الاصل
ثابت الفرع موسوم بالرياسه السلطانيه والعلميه فلما عظمت الفتنه
بالاندلس اعوام الثمانين والمائتين وكان الامير عبد الله قد ولى على اشبيليه اميه
ابن عبد الغافر وبعث معه ابنه محمدا وجعله في كفالته فاجتمع هولاء النفر
وثاروا بمحمد بن الامير عبد الله وباميه صاحبهم وهو يمالئهم على ذلك ويكيد

بابن الامير عبد الله وحاصروه في القصر حتى طلب منهم اللحاق بابيه فاخرجوه
واستبد امية باشبيلية ودس على عبد الله بن حجاج من قتله واقام اخاه ابرهيم
مكانه وضبط اشبيلية واسترهن اولاد بني خلدون وبني حجاج ثم ثاروا به
وهم بقتل ابنائهم فراجعوا الطاعة وحلفوا له فاطلق ابناءهم فانتقضوا
ثانية وحاربوه فاستمات وقتل حرمه وعقر خيوله واحرق موجوده وقاتلهم
حتى قتلوه مقبلا غير مدبر وعاثت العامة في راسه وكتبوا الى الامير عبد الله بانه
خلع فقتلوه فقبل منهم مداراة وبعث عليهم هشام بن عبد الرحمن من قرابته
فاستبدوا عليه وفتكوا بابنه وتولى كبر ذلك كريب ابن خلدون واستقل
بامارتها وكان ابرهيم بن حجاج بعد ما قتل اخوه عبد الله على ما ذكره ابن سعد عن
الحجاري سمت نفسه الى التفرد فصاهر ابن حفصون اعظم ثوار الاندلس يومئذ
وكان بمالقة واعمالها الى رندة فكان له منه ردء ثم انصرف الى مداراة كريب
ابن خلدون وملابسته فردفه في امره وشركه في سلطانه وكان في كريب
تحامل على الرعية وتعصب فكان يتجهم لهم ويغلظ عليهم وحده وابن حجاج
يسلك بهم الرفق واللطف في الشفاعة لهم عنده فانحرفوا عن كريب الى
ابرهيم ثم دس الى الامير عبد الله يطلب منه الكتاب بولاية اشبيلية ليسكن اليه
العامة فكتب اليه العهد بذلك واطلع عليه عرفاء البلد مع ما اشربوا
من حبه والنفرة عن كريب ثم راجع الثورة وهاجت العامة بكريب فقتلوه
وبعث براسه الى الامير عبد الله واستقل بامارة اشبيلية قال ابن حيان
وحصن مدينة قرمونة من اعظم معاقل الاندلس وجعلها مربطا لخيوله
وكان يتنقل بينها وبين اشبيلية واتخذ الجند ورتبهم طبقات وكان يصانع
الامير عبد الله بالاموال والهدايا ويبعث اليه المدد في الصوائف وكان
مقصودا ممدحا قصده اهل البيوتات فوصلهم ومدحه الشعراء فاجازهم
وانتجعه ابو عمر بن عبد ربه صاحب العقد وقصده من بين سائر الثوار
فعرف حقه واعظم جائزته ولم يزل بيت بني خلدون باشبيلية كما ذكره
ابن حيان وابن حزم وغيرهما سائر ايام بني امية الى زمان الطوائف
والمحن

والمحن عنهم الامارة بما ذهب لهم من الشوكة ولما علا كعب ابن عباد
باشبيلية واستبد على اهلها استوزر من بني خلدون هولاء واستعملهم
في رتب دولته وحضروا معه وقعة الزلاقة كانت لابن عباد
وليوسف ابن تاشفين على ملك الجلالقة فاستشهد فيها طائفة كبيرة من
بني خلدون هولاء ثبتوا في الجولة مع ابن عباد فاستلحموا في ذلك
الموقف ثم كان الظهور للمسلمين ونصرهم الله على عدوهم ثم تغلب
يوسف ابن تاشفين والمرابطون على الاندلس واضمحلت دولة العرب
وفنيت قبائلهم **سلفه بافريقيه** ولما استولى الموحدون
على الاندلس وملكوها من يد المرابطين وكان اول ملوكهم عبد المومن وبنيه وكان
الشيخ ابو حفص كبير هنتاتة زعيم دولتهم وولوه على اشبيلية وغرب الاندلس
مرارا ثم ولوا ابنه عبد الواحد عليها في بعض ايامهم ثم ابنه ابا زكريا كذلك
فكان لسلفنا باشبيلية اتصال بهم واهدى بعض اجدادنا من قبل الامهات
ويعرف بابن المحتسب للامير ابي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن ابي حفص ايام ولايته
عليهم جارية من سبي الجلالقة اتخذها ام ولد وكان له منها ابنه ابو يحيى زكريا
ولي عهده الهالك في ايامه واخواه عمر وابو بكر وكانت تلقب ام الخلفاء
ثم انتقل الامير ابو زكريا الى ولاية افريقية سنة العشرين والستمائة ودعا
لنفسه بها وخلع دعوة بني عبد المومن سنة خمس وعشرين واستبد
بافريقية وانتقضت دولة الموحدين بالاندلس وثار عليهم ابن هود ثم هلك
واضطربت الاندلس وتكالب الطاغية عليها وردد الغزو الى الفرنتيرة
بسيط قرطبة واشبيلية الى جيان وثار ابن الاحمر بغرب الاندلس من
حصن ارجونة يرجو التمسك لما بقي من رمق الاندلس وفاوض اهل
الشورى باشبيلية وهم بنو الباجي وبنو الجد وبنو الوزير وسوسيد الناس
وبنو خلدون وداخلهم في الثورة على ابن هود وان يتجافوا للطاغية
عن الفرنتيرة ويتمسكوا بالجبال الساحلية وامصارها المتوعرة من مالقة
الى غرناطة الى المرية فلم يوافقوه على ذلك وكان مقدمهم ابو مروان الباجي

بعينهم

فنابذهم ابن الاحمر وخلع طاعة الباجي وبايع مرة لابن هود ومرة لصاحب مراكش
من بني عبد المومن ومرة للامير ابي زكريا صاحب افريقيه ونزل غرناطه واتخذها
دار الملكه وبغيت الفرنتيرة وامصارها ضاحيه من ظل الملك فخشي بنو خلدون
سوء العاقبه مع الطاغيه وارتحلوا من اشبيليه الى العدوة ونزلوا سبته واجلب
الطاغيه على تلك الثغور فملك قرطبه واشبيليه وقرمونه وجيان وما اليها
في مدة عشرين سنه ولما نزل بنو خلدون سبته اصهر اليهم العزفي بابنائه
وبناته فاختلطوا بهم وكان له معهم صهر مذكور وكان جدنا الحسن بن محمد وهو سبط
ابن المحتسب قد اجاز فيمن اجاز معهم فذكر سوابق سلفه عند الامير ابي زكريا
فقصده وقدم عليه فاكرم قدومه وارتحل الى المشرق فقضى فرضه ثم رجع
ولحق بالامير ابي زكريا على بونه فاكرمه واستقر في ظل دولته ومرعى نعمته وفرض
له الارزاق واقطع الاقطاع وهلك هنالك فدفن ببونه وخلف ابنه محمدا
ابا بكر فنشا في جو تلك النعمه ومرعاها وهلك الامير ابو زكريا ببونه
سنه سبع واربعين وولي ابنه المستنصر محمد فاجرى جدنا ابا بكر على ما كان
لابيه ثم ضرب الدهر ضرباته وهلك المستنصر سنه خمس وسبعين وولي ابنه
يحيى وجاء اخوه الامير ابو اسحق من الاندلس بعد ان كان فر اليها امام اخيه
المستنصر فخلع يحيى واستقل هو بملك افريقيه ودفع جدنا ابا بكر محمدا
الى عمل الاشغال في الدوله على سنن عظماء الموحدين فيها قبله من الانفراد
بولايه العمال وعزلهم وحسابهم على الجبايه فاضطلع بتلك الرتبه ثم عقد
السلطان ابو اسحق لابنه محمد وهو جدنا الاقرب على حجابه ولي عهده ابنه
ابي فارس ايام اقصاه الى بجايه ثم استعفى جدنا من ذلك فاعفاه ورجع الى الحضرة ولما غلب الدعي ابن ابي عمارة على ملكهم [redacted] اعتقل جدنا ابا بكر بتونس
محمدا وصادره على الاموال ثم قتله خنقا في محبسه وذهب ابنه محمد
جدنا الاقرب مع السلطان ابي اسحق وابنائه الى بجايه فقبض عليه ابنه ابو
فارس وخرج في العساكر هو واخوته لمدافعه الدعي ابن ابي عمارة وهو يشبه
بالفضل ابن المخلوع حتى اذا استلحموا بمرماجنه خلص جدنا محمد مع ابي حفص
ابن

الحسن

ابن الامير ابي زكريا من الملحمة ومعهما الفازازي وابو الحسين بن سيد الناس فلحقوا
بمنجاتهم من قلعه سنان وكان الفازازي من صنائع المولى ابي حفص وكان يوثره
عليهم فاما ابو الحسين بن سيد الناس فاستنكف من ايثار الفازازي عليه بما كان
اعلى رتبه منه ببلده اشبيليه ولحق بالمولى ابي زكريا الاوسط بتلمسان وكان من شانه
ما ذكرناه واما محمد بن خلدون فاقام مع الامير ابي حفص وسكن لايثار الفازازي ولما
استولى ابو حفص على الامر رعا له سابقته واقطعه ونظمه في جمله القواد
ومراتب اهل الحروب واستكفى به في الكثير من اهل ملكه ورشحه لحجابته من
بعد الفازازي وهلك فكان من بعده حافد اخيه المستنصر ابو عصيده واصطفى
لحجابته محمد بن ابرهيم الدباغ كاتب الفازازي وجعل محمد بن خلدون رديفا له في
حجابته فكان كذلك الى ان هلك السلطان وجاءت دوله الامير خالد فابقاه على حاله
من التجله والكرامه ولم يستعمله ولا عقد له الى ان كانت دوله ابي يحيى بن اللحياني
فاصطنعه واستكفى به عند ما نبضت عروق التغلب للعرب ودفعه الى حمايه
الجزيره من دلاج احد بطون سليم الموطنين بنواحيها وكانت له في ذلك اثار مذكوره ولما
انقرضت دوله ابن اللحياني خرج الى المشرق وقضى فرضه سنه ثمان عشرة واظهر
التوبه والاقلاع وجاور الحج متنقلا سنه ثلاث وعشرين ولزم كسر بيته
وابقى السلطان ابو يحيى عليه نعمته في كثير مما كان بيده من الاقطاع والجرايه
ودعاه الى حجابته مرارا فامتنع اخبرني محمد بن منصور بن مزني قال لما هلك
الحاجب محمد بن عبد العزيز الكردي المعروف بالمزوار سنه سبع وعشرين وسبعمايه
استدعى السلطان جدك محمد بن خلدون واراده على الحجابه والتفويض اليه في امره
فابى واستعفى فاعفاه واموه فيمن يوليه حجابته فاشار عليه بصاحب العسكر بجايه
محمد بن ابي الحسن بن سيد الناس لاستحقاقه ذلك بكفايته واضطلاعه ولقديم
صحابته سلفهما بتونس وباشبيليه من قبل وقال له هو اقدر على ذلك بما هو عليه
من الحاشيه والدوين فعمل السلطان على اشارته واستدعى ابن سيد الناس
وولاه حجابته وكان السلطان ابو يحيى اذا خرج من تونس يستعمل جدنا محمدا
عليها وثوقا بنظره واستنامه اليه الى ان هلك سنه سبع وثلثين ونزع ابنه

انقراض دوله ابن اللحياني

وهو والدي ابو محمد ابو بكر عن طريقة السيف والخدمة الى طريقة العلم والرباط
لما نشا عليها في حجر ابي عبد الله الزبيدي الشهير بالفقيه كان كبير تونس لعهده
في العلم والفتيا وانتحال طرق الولاية التي ورثها عن ابيه حسين وعمه حسن
الوليين الشهيرين وكان جدنا رحمه الله قد لزمه من يوم نزوعه عن طريقه والزمه ابنه
وهو والدي رحمه الله فقرأ وتفقه وكان مقدما في صناعة العربية وله
بصر بالشعر وفنونه عهدي باهل الادب يتحاكمون اليه فيه ويعرضون حوكهم
عليه وهلك في الطاعون الجارف سنة تسع واربعين وسبع مائة

نشاته ومشيخته وحاله

اما نشاتي فاني ربيت
بتونس في حجر والدي رحمه الله الى ان ايفعت وقرات القران العظيم على
الاستاذ المكتب ابي عبد الله محمد بن سعد بن برال الانصاري اصله من جالية
الاندلس من اعمال بلنسية اخذ عن مشيخة بلنسية واعمالها وكان اماما في
القراءات لا يلحق شاوه وكان من اشهر شيوخه في القراءات السبع ابو العباس
احمد بن محمد البطرني ومشيخته فيها واسانيده معروفة وقراته عليه
القران العظيم بالقراءات السبع المشهورة افرادا وجمعا في احدى وعشرين ختمة
ثم جمعتها في ختمة واحدة اخرى ثم قرات برواية يعقوب ختمة واحدة جمعا بين الروايتين
عنه وعرضت عليه رحمه الله قصيدتي الشاطبي اللامية في القراءات
والرائية في الرسم واخبرني بهما عن الاستاذ ابي العباس البطرني وغيره من شيوخه
وعرضت عليه كتاب التقصي لاحاديث الموطا لابن عبد البر حذا به حذو
كتابه التمهيد على الموطا مقتصرا على الاحاديث فقط ودارست عليه كتبا جمة
مثل كتاب التسهيل لابن مالك ومختصر ابن الحاجب في الفقه ولم اكملهما بالحفظ
وفي خلال ذلك تعلمت صناعة العربية على والدي وعلى اساتذتي بتونس منهم الشيخ
ابو عبد الله محمد بن العربي الحصايري وكان اماما في النحو وله شرح مستوفى على
كتاب التسهيل ومنهم ابو عبد الله محمد بن الشواش الزرزالي ومنهم
ابو العباس احمد بن القصار كان ممتعا في صناعة النحو وله شرح على قصيدة
البردة المشهورة في مدح الجناب النبوي وهو حي لهذا العهد بتونس

ومنهم

ومنهم امام العربية والادب بتونس ابو عبد الله محمد بن بحر لازمت
مجلسه وافدت عليه وكان بحرا زاخرا في علوم اللسان واشار علي بحفظ
الشعر فحفظت كتاب الاشعار الستة وللحماسة للاعلم وشعر حبيب
وطايفة من شعر المتنبي ومن اشعار كتاب الاغاني ولازمت مجلس امام المحدثين
بتونس شمس الدين ابا عبد الله محمد بن جابر بن سلطان القيسي الوادياشي
وسمعت عليه كتاب مسلم بن الحجاج الا فوتا يسيرا من كتاب الصيد وسمعت عليه
كتاب الموطا من اوله الى اخره وبعضا من الامهات الخمس وناولني كتبا كثيرة في
العربية والفقه واجازني اجازة عامة واخبرني عن مشايخه المذكورين في برنامجه
اشهرهم بتونس قاضي الجماعة ابو العباس احمد بن الغماز الخزرجي واخذت
الفقه بتونس عن جماعة منهم ابو عبد الله محمد بن عبد الله الجياني وابو القسم
محمد بن القصير قرات عليه كتاب التهذيب لابي سعيد البرادعي
مختصر المدونة وكتاب المالكية وتفقهت عليه وكنت في خلال ذلك انتاب
مجلس شيخنا الامام قاضي الجماعة ابي عبد الله محمد بن عبد السلام مع اخي محمد
رحمه الله عليهما وافدت منه وسمعت عليه اثناء ذلك كتاب الموطا للامام مالك
وكانت له فيه طرق عالية عن ابي محمد بن هرون الطاءي قبل اختلاطه الى غير هولاء
من مشيخة تونس وكلهم سمعت عليه وكتب لي واجازني ثم درجوا كلهم في
الطاعون الجارف وكان قدم علينا في جملة السلطان ابي الحسن عندما ملك
افريقية سنة ثمان واربعين جماعة من اهل العلم كان يلزمهم شهود مجلسه
ويتجمل بمكانهم فيه فمنهم شيخ الفتيا بالمغرب ابو عبد الله محمد بن سليمان السطي
فكنت انتاب مجلسه وافدت عليه ومنهم كاتب السلطان ابي الحسن امام
المحدثين والنحاة بالمغرب ابو محمد عبد المهيمن بن عبد المهيمن الحضرمي لازمته واخذت
عنه سماعا واجازة الامهات الستة وكتاب الموطا والسير لابن اسحق وكتاب
ابن الصلاح في الحديث وكتبا كثيرة شذت عن حفظي وكانت بضاعته
في الحديث وافرة ونحلته في التقييد والحفظ كاملة كانت له خزانة من الكتب
تزيد على ثلاثة الاف سفر مصنوفة كلها مقابلة ولا يخلو ديوان منها

عن ثبت بخط بعض شيوخه المعروفين في سنده الى مولفه حتى الفقه والعربيه
الغريبه الاسناد الى مولفيها في هذه العصور ومنهم الشيخ ابو العباس احمد
الزواوي امام المقرئين بالمغرب قرات عليه القران العظيم بالجمع الكبير بين القراءات
السبع من طريق ابي عمرو الداني وابن شريح في ختمة لم اكملها وسمعت عليه عدة كتب
واجازني بالاجازة العامه ومنهم شيخ العلوم العقليه ابو عبد الله محمد بن ابرهيم
الابلي اصله من تلمسان وبها نشا وقرا كتب التعاليم وحذق فيها واظله الحصار
الكبير بتلمسان اعوام المايه السابعه فخرج منها وحج ولقي اعلام المشرق يوميذ
فلم ياخذ عنهم لانه كان مختلطا بعارض عرض في عقله ثم رجع من المشرق وافاق
وقرا المنطق والاصلين على الشيخ ابي موسى عيسى بن الامام وكان قرا بتونس مع اخيه
ابي زيد عبد الرحمن على تلميذ ابن زيتون الشهير الذكر وجاء الى تلمسان بعلم كبير
من المعقول والمنقول فقرا الابلي على ابي موسى منهما كما قلناه ثم خرج من تلمسان
هاربا الى المغرب لان سلطانها يوميذ ابا حمو من ولد يغمراسن بن زيان
كان يكرهه على التصرف في اعماله وضبط الجبايه بحسبانه ففر الى المغرب
ولحق بمراكش ولزم العالم الشهير ابا العباس ابن البنا الشهير الذكر فحصل عنه
ساير العلوم العقليه وورث مقامه فيها وارتفع ثم صعد الى جبال
الهساكره بعد وفاة الشيخ باستدعاء علي بن محمد بن تروميت ليقرا عليه فافاده
وبعد اعوام استنزله ملك المغرب السلطان ابو سعيد واسكنه بالبلد الجديد
والابلي معه ثم اختصه السلطان ابو الحسن ونظمه في جملة العلماء بمجلسه وهو في خلال
ذلك يعلم العلوم العقليه ويبثها في اهل المغرب حتى حذق فيها الكثير منهم من ساير
امصاره والحق الاصاغر بالاكابر في تعليمه ولما قدم على تونس في جملة السلطان ابي الحسن
لزمته واخذت عنه الاصلين والمنطق وساير الفنون الحكميه والتعليميه
وكان رحمه الله يشهد لي بالتبريز في ذلك وممن قدم في جملة السلطان ابي الحسن
صاحبنا ابو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي كان يكتب عن
السلطان ويلازم خدمة ابي محمد عبد المهيمن رييس الكتاب يوميذ وصاحب
العلامه التي توضع عن السلطان اسفل المراسم والمخاطبات وبعضها يضعه

السلطان

قصيدة على روي النون

السلطان بخطه وكان ابن رضوان هذا من مفاخر المغرب في براعة خطه
وكثرة علمه وحسن سمته واجادته في فقه الوثايق والبلاغه في الترسيل عن السلطان
وحوك الشعر والخطابه على المنابر لانه كان كثيرا ما يصلي بالسلطان فلما قدم علينا
بتونس صحبته واغتبطت به وان لم اتخذه شيخا لمقاربة السن فقد افدت منه
كما افدت منهم وقد مدحه صاحبنا ابو القاسم الرحوي شاعر تونس ورغب
منه تذكرة شيخه ابي محمد عبد المهيمن في ايصال مدحه الى السلطان ابي الحسن
في قصيدته على روي الباء وقد تقدم ذكرها في اخبار السلطان وذكر في مدح ابن
رضوان اعلام العلماء القادمين مع السلطان وهي

عرفت زماني حين انكرت عرفاني وايقنت ان لا حظ في كف كيوان
وان لا اختيار في اختيار مقوم وان لا افتراع بالقران لاقران
وان نظام الشكل اكمل نظمه لاضعف قاض في الدلايل برهان
وان افتقار المرء من فقراته ومن ثقله يعني اللبيب باوزان
فمن بعد ما شمت الخلاب ولم ارع لهشة راض ولنشوة غضبان
ولم يعشني للنار لمع شعاعها فما كل نار نار موسى بن عمران
ولم يبق لي في الغيب من امل سوى لقاء ابن رضوان وجنة رضوان
هنالك الفيت العلا تنتمي الى اناس ضئيل عندهم فخر غسان
وارعيت من روض التادب يانعا وجبت مركز العلوم بعقيان
وردت فلم تجدب لديه ريادتي وصدق ظني في ما لقيته اذ اني
فحسبك من اداب كل اخر تجيبك معسولا بدر ومرجان
تجيبك بالسكر الذي لم تخط به طروس ابن سهل او سوالف بوران
فقل بابلي ان بيا فتنك لفظه وفي وشيه الاطراس قل هو صنعاني
خلايق لم تخلق سدى بل تكملت باسداء انعام وابلاء احسان
ثم يقول في ذكر العلماء القادمين
هم القوم كل القوم اما علومهم فاعلامها تهديك من غير نيران
هم القوم كل القوم اما حلومهم فارسخ من طودي ثبير وثهلان

فلا طيش يعرو ويم واما علو همم فاعلامها تهديك من غير نيران
بفقه يشيم الاصبحي صباحه وانسب منه يستدل بشهبان
وحسن جدال للخصوم ومنطق بجبان في الاخفا باوضح برهان
سقت روضة الاداب منهم سحائب سحبن على سحبان اذيال نسيان
فلم ينو ناي ابن الامام سماحة على مدن الدنيا لاتف تلمسان
وبعد نوى السبطي لم تسط فانه يفخر على بغدان في عمر بغدان
وبالاتي استسقت الارض وبلها ومستوبل ما مال عنه لاظعان
وهامت على عبد المهيمن تونس وقد ظفرت منه بوصل وقربان
وما علقتني الضمان غيره وان هويت كلا احب ابن رضوان

وكتب هذا الشاعر صاحبنا الرحوي بذكر عبد المهيمن بذلك

لهى النفس في اكتساب وسعي وهو العمر في انتهاب وفي
وادى الناس بين ساع لرشد يتوخى الهدى وساع لغي
وادى العلم للبرية زينا فتزينا منه باحسن زي
وادى الفضل قد تجمع كلا في ابن عبد المهيمن الحضرمي
حل بالرتبة العلية في حضرة ملك سامي العماد علي
قلم اوسع الاقاليم امرا فله قد اطاع كل عصي
قد رما بعيد منه اختلارقياى تراه يقضي باي
يمنح العز والعلى ويوالي بالعطا بالجسام كل ولي
يلجأ الداعون رجوعا اليه فهو يزري بالصارم المشرفي
هو اعلا الاقلام في كل عصر حيث ينمي الى الامام علي
جليت تلكم الرياسة منه بفريد في كل معنى سني
سالك في النظام درا وطورا ناثر درة بنشر وطي
ويرى اخرس العراق لديه انه بالشام كالاعجمي
وعلوم هي البحور ولكن ينثني الوارد ونهما بري
تصدر الامة العظيمة عنه حين تغدو بجود مروي

ونفقه

وبفقه فيه وحسن مقال يضع النور في لحاظ العمي
وبنحو يجي على سيبويه ببيان في المبهمات جلي
عمي الاخفشان عنه وسدت عن خفاياه فطنة الفارسي
يا اخا الحكم في الانام واني لاناديك رب الندا والذكي
بنت فكري تعرضت لحماكم فالقها راضيا بوجه رضي
تبتغي القرب منكم وا في الاماني والترقي للجانب العلوي
فانلها مرامها تلق سهلا كل دان تبغي وكل قصي

ثم كانت واقعة العرب على السلطان بالقيروان في فاتحة تسع واربعين فشغلوا عن ذلك ولم يظفر هذا الرحوي بطلبته ثم جاء الطاعون الجارف فطوى البساط بما فيه وهلك عبد المهيمن فيمن هلك ودفن بمقبرة سلفنا بتونس لخلة كانت بينه وبين والدي رحمه الله ايام قدومهم علينا فلما كانت واقعة القيروان ثار اهل تونس بمن كان عندهم من اشياع السلطان ابي الحسن فاعتصموا بالقصبة دار الملك حيث ولد السلطان واهله وانتقض عليه ابن تافراكين وخرج من القيروان الى العرب وهم يحاصرون السلطان وقد اجتمعوا على ابن ابي دبوس وبايعوا له كما مر في اخبار السلطان فبعثوا ابن تافراكين الى تونس فحاصر القصبة وامتنعت عليه وكان عبد المهيمن يوم ثورة اهل تونس ووقوع الهيعة خرج من بيته الى دارنا فاختفى عند ابي رحمه الله واقام مختفيا عندنا نحوا من ثلاثة اشهر ثم نجا السلطان من القيروان الى سوسة وركب البحر الى تونس وفر ابن تافراكين الى المشرق وخرج عبد المهيمن من الاختفاء واعاده السلطان الى ما كان عليه من وظيفة العلامة والكتابة وكان كثيرا ما يخاطب والدي رحمه الله ويشكره على موالاته ومما كتب اليه وحفظته من خطه

لحمد ذوي المكارم قد ثناني فعال شكره ابدا عناني
جزا الله ابن خلدون حياة منعمة وخلدا في الجنان
فكم اولى ووالى من جميل وبر بالفعال وباللسان

وراعى الحضرمية في الذي قد جا من ودّه ومن الحنان
ابا بكر ثناءك طول دهري أردّد باللسان وبالجنان
وعن علياك ما امتدت حياتي اكافح بالحسام وبالسنان
فمنك أفدت خلّا لست دهري أراعي جدّه اني عناني

وهولاء الاعلام الذين ذكرهم الرهوني في شعره هم سبّاق الحلبة في مجلس السلطان ابي الحسن اصطفاهم لصحابته من بين اهل المغرب فامّا ابنا الامام منهم فكانا اخوين من اهل برشك من اعمال تلمسان واسم اكبرهما ابو زيد عبد الرحمن واسم الاصغر ابو موسى عيسى وكان ابوهما اماما ببعض مساجد برشك واتهمه المتغلب يومئذ على البلد زيري بن حمّاد بان عنده وديعة من المال لبعض عدايه فطالبه بها فلاذ بالامتناع وبيته زيري ليستخرج المال من يده فدافعه وقتل وارتحل ابناه هذان الاخوان الى تونس في آخر المائة السابعة واخذا العلم بها عن تلميذ ابن زيتون وتفقها على اصحاب ابي عبد الله ابن شعيب الدكالي وانقلبا الى المغرب بحظ وافر من العلم واقاما بالجزاير يبثان بها العلم لامتناع برشك عليهما من اجل زيري المتغلب عليها والسلطان ابو يعقوب صح يوسف صاحب المغرب الاقصى من بني مرين جاثم على تلمسان حاصرها الحصار الطويل المشهور وقد بث جيوشه في نواحيها وغلب على الكثير من اعمالها وامصارها وملك عمل مغراوة بشلف وحاضرته مليانه فبعث عليها الحسن بن علي بن ابي الطلاق من بني عسكر وعلي بن محمد الخيري من بني ورتاجن ومعهما لضبط الجباية واستخلاص الاموال الكاتب منديل بن محمد الكناني فارتحل هذان الاخوان يومئذ من الجزاير واحتلا بمليانة محليا بعين منديل الكناني فقربهما واصطفاهما واتخذهما لتعليم ولده محمد ثم هلك يوسف بن يعقوب سلطان المغرب بمكانه من حصار تلمسان سنة خمس وسبع مية على يد خصي من خصيانه طعنه فاشواه وهلك وقام بالملك بعده حافده ابو ثابت بعد خطوب ذكرناها في اخبارهم ووقع بينه وبين صاحب تلمسان يوميذ ابي زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن واخيه ابي حمو العهد المتأكد على

الاوراح

والكناني م

الافراج عن تلمسان ورد اعمالها عليهم فوفالهم بذلك وعاد الى المغرب وارتحل ابن ابي الطلاق والخيري من مليانه راجعين الى المغرب ومروا بتلمسان ومع الكناني هذان الاخوان فاوصلهما الى ابي حمو واثنى عليهما وعرّفه بمقامهما في العلم فاغتبط بهما ابو حمو واختط لهما المدرسة المعروفة بهما بتلمسان واقاما عنده على هدي اهل العلم وسننهم وهلك ابو حمو وكانا كذلك مع ابنه ابي تاشفين الى ان زحف السلطان ابو الحسن الى تلمسان وملكها عنوة سنة سبع وثلثين وكانت لهما شهرة في اقطار المغرب انبتت لهما في نفس السلطان عقيدة صالحة فاستدعاهما لحين دخوله وادنى مجلسهما واشاد بتكرمتهما ورفع محلهما على اهل طبقتهما وصار يجمل بهما مجلسه متى مرّ بتلمسان او وفدا عليه في الاوقات التي يفد فيها اعيان بلدهما ثم استنفرهما للغزو وحضرا معه واقعة طريف وعادا الى بلدهما وتوفي ابو زيد منهما اثر ذلك وبقي اخوه ابو موسى متبوّءا ما شاء من ظلال تلك الكرامة ولما سار السلطان ابو الحسن الى افريقية سنة ثمان واربعين كما مر في اخباره استصحب ابا موسى بن الامام معه مكرما موقرا عالي المحل قريب المجلس منه فلما استولى على افريقية سرّحه الى بلده فاقام بها يسيرا وهلك في الطاعون الجارف سنة تسع واربعين وبقي اعقابهما بتلمسان دارجين في مسالك تلك الكرامة ومتوقلين قللها طبقا عن طبق الى حين تاريخه هذا العهد واما السطي واسمه محمد بن سليمان من قبيلة سطة من بطون اوربة بنواحي فاس نزل ابوه سليمان مدينة فاس ونشا محمد بها واخذ العلم عن الشيخ ابي الحسن الصغير امام المالكية بالمغرب والطاير الذكر وقاضي الجماعة بفاس وتفقه عليه وكان احفظ الناس لمذهب ملك وافقههم فيه وكان السلطان ابو الحسن لدينه وسراوته وبعد شاوه في الفضل يتشوف الى تزيين مجلسه بالعلماء واختار منهم جماعة لصحابته ومجالسته كان منهم هذا الامام محمد بن سليمان وقدم علينا بتونس في جملته وشهدنا وفور فضايله وكان في الفقه من بينها

لا يجاريها حفظا وفهما عهدي به واخي محمد رحمه الله يقرا عليه من كتاب
التبصرة لابي الحسن اللخمي وهو يصححه عليه من املائه وحفظه في مجالس
عديدة وكذا كان حاله في اكثر ما يعاني حمله من الكتب وحضر مع السلطان
ابي الحسن واقعة القيروان وخلص معه الى تونس واقام بها نحوا من سنتين
وانتقض المغرب على السلطان واستقل به ابنه ابو عنان ثم ركب ابو الحسن
في اساطيله من تونس اخر سنة خمسين ومر ببجاية فادركه الغرق
في سواحلها فغرقت اساطيله وغرق اهله واكثر من كان معه من هولاء الفضلاء
وغيرهم والقاه البحر ببعض الجزر هناك حتى استنقذه منها بعض اساطيله
ونجا الى الجزائر بعد ان تلف موجوده وهلك الكثير من عياله واصحابه
وكان من امره ما مر في اخباره واما الابلي واسمه محمد بن ابرهيم فمنشاؤه
بتلمسان واصله من جالية الاندلس من اهل ابلة من بلاد الجوف
منها اجاز ابوه وعمه احمد فاستخدمهم يغمراسن بن زيان وفي جندهم ووله
جندهم واصهر محمد منهما الى القاضي بتلمسان محمد بن غلبون في ابنته فولدت
له محمدا هذا ونشا بتلمسان في كفالة جده القاضي فنشا له بذلك ميل الى
انتحال العلم عن الجند بمنه التي كانت منتحل ابيه فلما يفع وادرك سبق الى
ذهنه محبة التعاليم فبرع فيها واشتهر وعكف الناس عليه في تعلمها وهو
في سن البلوغ ثم اطل السلطان يوسف بن يعقوب على تلمسان وخيم
عليها حاصرها وسرح بعوثه الى الاعمال فافتتح اكثرها وكان ابرهيم الابلي
قائدا بهنين مرسى تلمسان في لمة من الجند فلما ملكها يوسف بن يعقوب
اعتقل من وجد بها من شيع بني زيان واعتقل ابرهيم الابلي فيهم
وشاع الخبر في تلمسان بان يوسف بن يعقوب سيمتحن ابناءهم
ويطلقهم فتشوف ابنه محمد الى اللحاق به من اجل ذلك واغراه اهله
بالعزم عليه فتسور الاسوار وخرج الى ابيه فلم يجد خبر الاستزهان
صحيحا واستخدمه يوسف بن يعقوب قائدا على الجند الاندلسيين بتاوريرت
فكره المقام على ذلك ونزع عن طوره ولبس المسوح وسار قاصدا الحج وانتهى الى
رباط

ابرهيم مر

رباط العباد متخفيا في صحبة الفقراء فوجد هنالك رئيسا من اهل كربلا
ثم من بني الحسين جاء الى المغرب يروم اقامة دعوتهم فيه وكان معتقلا
فلما راى عساكر يوسف بن يعقوب وشدة هيبته غلب عليه الياس عن مرامه
ونزع عن ذلك واعتزم على الرجوع الى بلده فسار شيخنا محمد بن ابرهيم في جملته
قال لي رحمه الله وبعد حين انكشف لي حاله وما جاء له واندرجت في جملة
اصحابه وتابعه قال وكان يتلقاه في كل بلد من اشياعه وخدمه من ياتيه بالازو اد
والنفقات من بلده الى ان ركبنا البحر من تونس الى الاسكندرية قال واشتدت
علي الغلمة في البحر واستحييت من كثرة الاغتسال لمكان هذا الرئيس فاشار
علي بعض بطانته بشرب الكافور فاغترفت منه غرفة فشربتها فاختلطت
وقدم الديار المصرية على تلك الحال وبها يومئذ تقي الدين بن دقيق العيد وابن
الرفعة وصفي الدين الهندي والتبريزي وابن البديع وغيرهم من فرسان المعقول
والمنقول فلم يكن قصاراه الا تمييز اشخاصهم اذا ذكرهم لنا لما كان به من
الاختلاط ثم حج مع ذلك الرئيس وسار في جملته الى كربلا فبعث معه من
اصحابه من اوصله الى مامنه ببلاد زواوة من اطراف المغرب وقال لي شيخنا
رحمه الله كان معي دنانير كثيرة تزودتها من المغرب واستبطنتها في جبة
كنت البسها فلما نزل بي ما نزل انتزعها مني حتى اذا بعث اصحابه يشيعونني الى
المغرب دفعها اليهم حتى اذا وصلوني الى المامن اعطوني اياها واشهدوا اذام
علي بها في كتاب حملوه معهم اليه كما امرهم ثم فارقني ووصل شيخنا الى المغرب
بهلك يوسف بن يعقوب وخلاص اهل تلمسان من الحصار فعاد الى
تلمسان وقد افاق من اختلاطه وانبعثت همته الى تعلم العلم وكان
مايلا الى العقليات فقرا المنطق على ابي موسى بن الامام وجملة من الا صلين
وكان ابو حمو صاحب تلمسان يومئذ قد استفحل ملكه وكان ضابطا لا موره
وبلغه عن شيخنا تقدمه في علم الحساب فدفعه الى ضبط امواله ومشارفة
عماله وتفادى شيخنا من ذلك فاكرهه عليه فاعمل الحيلة في الفرار منه
ولحق بفاس ايام السلطان ابي الربيع وبحث عنه ابو حمو فاختفى بفاس

عند شيخ التعاليم من اليهود خلوف المغيلي فاستوفى عليه فنونها وحذق
وخرج متواريا من فاس فلحق بمراكش اعوام العشر والسبع مئة
ونزل على الامام ابي العباس بن البنا شيخ المعقول والمنقول والمبرز في التصوف
علما وحالا فلزمه واخذ عنه وتضلع من علم المعقول والتعاليم والحكمة
ثم استدعاه شيخ الهساكرة علي بن محمد بن تروميت ليقرا عليه وكان
ممرضا في طاعته للسلطان فصعد اليه شيخنا واقام عنده مدة قرا عليه
فيها وحصل واجتمع طلبة العلم هنالك على الشيخ فكثرت افادته واستفادته
وعلي بن محمد في ذلك على تعظيمه ومحبته وامتثال اشارته فغلب على هواه وعظمت
رياسته من تلك القبائل ولما استنزل السلطان ابو سعيد علي بن تروميت
من جبله نزل الشيخ معه وسكن بفاس وانثال عليه طلبة العلم من كل ناحية
فانتشر علمه واشتهر ذكره فلما فتح السلطان ابو الحسن تلمسان ولقي ابا
موسى ابن الامام ذكره له باطيب الذكر ووصفه بالتقدم في العلوم وكان
السلطان معتنيا بجمع العلماء لمجلسه كما ذكرنا فاستدعاه من مكانه بفاس
ونظمه في طبقة العلماء بمجلسه وعكف على التدريس والتعليم ولازم رسه
صحابة السلطان وحضر معه واقعة طريف وواقعة القيروان بافريقية
وكانت قد حصلت بينه وبين والدي رحمه الله صحابة كانت وسيلتي
اليه في القراءة عليه فلزمت مجلسه واخذت عنه وافتتحت العلوم
العقلية بالتعاليم ثم قرات المنطق وما بعده من الاصلين وعلوم
الحكمة وعرض اثناء ذلك ركوب السلطان اساطيله من تونس الى المغرب
وكان الشيخ في نزلنا وكفالتنا فاشرنا عليه بالمقام وثبطناه عن السفر
فقبل واقام وطالبنا به السلطان ابو الحسن فاحسنا له العذر ونجا فا
عنه وكان من حديث غرقه في البحر ما قدمناه واقام الشيخ بتونس ونحن
واهل بلدنا جميعا نتساجل في غشيان مجلسه والاخذ عنه فلما هلك
السلطان ابو الحسن بجبال هنتاتة وفرغ ابنه ابو عنان من شواغله
كتب فيه يطلبه من صاحب تونس وسلطانها ابو محمد ابن تافراكين
ابي يحيى

ابي يحيى في كفالة شيخ الموحدين ابي محمد بن تافراكين فاسلمه الى سفيره وركب معه
البحر في اسطول السلطان الذي جاء فيه السفير ونزل بمرسى هنين ومر ببجاية
ودخلها واقام بها شهرا حتى قرا عليه طلبة العلم بها مختصر ابن الحاجب في اصول
الفقه برغبتهم في ذلك منه ومن صاحب الاسطول ثم ارتحل ونزل بمرسى هنين
وقدم على السلطان بتلمسان واحله محل التكرمة ونظمه في طبقة اشياخه وبجاعته
من العلماء وكان يقرا عليه الى ان هلك بفاس سنة سبع وخمسين وسبع مئة
واخبرني رحمه الله ان مولده بتلمسان سنة احدى وثمانين وستمئة واما
عبد المهيمن كاتب السلطان ابي الحسن فاصله من سبتة وبيتهم بها قديم ويعرفون
ببني عبد المهيمن وكان ابوه محمد قاضيها ايام بني العزفي ونشا ابنه عبد المهيمن
في كفالته واخذ عن مشيختها واختص بالاستاذ ابي اسحق الغافقي ولما
ملك عليهم الرئيس ابو سعيد صاحب الاندلس سبتة ونقل بني العزفي مع جملة
اعيانها الى غرناطة ونقل معهم القاضي محمد بن عبد المهيمن وابنه عبد المهيمن
فاستكمل قراءة العلم هنالك واخذ عن ابي جعفر بن الزبير ونظرائه وتقدم في
معرفة كتاب سيبويه وبرز في علو الاسناد وكثرة المشيخة وكتب له اهل
المغرب والاندلس والمشرق واستكتبه رئيس الاندلس يومئذ الوزير
ابو عبد الله بن الحكيم الرندي المستبد على السلطان المخلوع من بني الاحمر
فكتب عنه ونظمه في طبقة الفضلاء الذين كانوا بمجلسه مثل المحدث
الرحالة ابي عبد الله ابن رشيد الفهري وابي العباس احمد بن
العزفي والعالم الصوفي المتجرد ابي عبد الله محمد بن خميس التلمساني وكانا
لا يجاريان في البلاغة والشعر الى غير هولاء ممن كان مختصا به وقد ذكرهم
ابن الخطيب في تاريخ غرناطة فلما نكب الوزير ابن الحكيم وعادت سبتة الى طاعة
بني مرين وأعاد السلطان ابو سعيد عبد المهيمن اليها واستقر بها ثم ولي السلطان
ابو سعيد وغلب عليه ابنه ابو علي واستبد بحمل الدولة تشوف الى استدعاء
الفضلاء وتجمل الدولة بمكانهم فاستقدم عبد المهيمن من سبتة واستكتبه
سنة ثنتي عشرة ثم خالف على ابيه سنة اربع عشرة وامتنع بالبلد الجديد

ثم هلك ابو سالم سنه ست وستين واستبد الوزير عمر بن عبد الله على من كفله من ابنايهم فجعل العلامه لابن رضوان سابر ايامه وقتله عبد العزيز ابن السلطان ابي الحسن واستبد بملكه فلم يزل ابن رضوان على العلامة وهلك عبد العزيز وولي ابنه السعيد في كفاله الوزير ابي بكر بن غازي بن الكاس وابن رضوان على حاله ثم غلب السلطان احمد على الملك واستبد عنه من السعيد وابي بكر ابن غازي وقام بتدبير دولته محمد بن عثمان بن الكاس مستبدا عليه والعلامه لابن رضوان كما كانت الى ان هلك بازمور في بعض حركات السلطان احمد الى مراكش لحصار عبد الرحمن ابن بويفلوسن بن السلطان ابي علي سنه

في جملة

وكان مع السلطان ابي الحسن جماعه كبيره من فضلاء المغرب واعيانه هلك كثير منهم في الطاعون الجارف بتونس وغرق جماعة منهم في اسطوله لما غرق وتخطت النكبة اخرين الى ان استوفوا ما قدر من اجالهم فممن حضر معه افريقيه من العلماء شيخنا ابو العباس احمد بن محمد الزواوي شيخ القراءات بالمغرب اخذ العلم والعربية عن مشيخة فاس وروى عن الرحّاله ابي عبد الله محمد بن رشيد وكان اماما في فن القراءات وصاحب ملكة فيها لا تجارا وله مع ذلك صوت من مزامير آل داود وكان يصلي بالسلطان التراويح ويقرأ عليه بعض الاحيان حزبه ومن حضر معه بافريقية الفقيه ابو عبد الله محمد بن محمد بن الصبّاغ من اهل مكناسة مبرزا في المنقول والمعقول وعارفا بالحديث وبرجاله واماما في معرفة كتاب الموطأ واقرائه اخذ العلوم عن مشيخة فاس ومكناسه ولقي شيخنا ابا عبد الله الابلي ولازمه واخذ عنه العلوم العقليه فاستفد بقيه طلبه عليه فبرز اخرا واختاره السلطان لمجلسه فاستدعاه ولم يزل معه الى ان هلك غريقا في ذلك الاسطول ومنهم شيخ التعاليم ابو عبد الله محمد ابن النجار من اهل تلمسان اخذ العلم ببلده عن مشيختها وعن شيخنا الابلي وبرز عليه ثم ارتحل الى المغرب فلقي بسبته امام التعاليم ابا عبد الله محمد بن هلال شارح المجسطي في الهيئة واخذ بمراكش عن الامام

اي العباس

اي العباس ابن البنّا وكان اماما في علوم النجامة واحكامها وما يتعلق بها ورجع الى تلمسان بعلم كبير واستخلصه الدوله فلما هلك ابو تاشفين وملك السلطان ابو الحسن نظمه في جملته واجرى له رزقه لحضر معه بافريقيه وهلك في الطاعون ومنهم ابو العباس احمد بن شعيب من اهل فاس برع في اللسان والادب والعلوم العقليه من الفلسفه وغيرها ونظمه السلطان ابو سعيد في حلبة الكتاب واجرى عليه الرزق مع الاطباء لتقدمه فيهم فكان كاتبه وطبيبه وكذا مع السلطان ابي الحسن بعد فحضر بافريقيه وهلك بها في ذلك الطاعون وكان له شعر سابق به الفحول من المتقدمين والمتاخرين وكانت له امامه في نقد الشعر وبصر به ومما حضرني الان من شعره

والتعاليم والطب

دار الهوى نجد وساكنها أقصى اماني النفس من نجد
هل باكر الوسمي ساحتها واستن في قيعانها الجرد
او بات معتلّ النسيم بها مستشفيا بالبان والرند
يتلو احاديث الذين هم قصدي وان جاروا عن القصد
ايام سمر ظلالها وطني منها وزرق مياهها وردي
ومطارح النظرات في رشا أحوى المدامع اهيف القد
يرنو اليك بعين جازيه قتل المحب بها على عمد
حتى أجد بهم على عجل ريب الخطوب وعاثر الجد
فغدوا وفلا وابك بعدهم ما عشت لا آسى على الفقد
وغدوا دفينا قد تضمنه بطن وفرارة اللحد
ومشردا من دون رؤيته قذف النوى وتنوفة البعد
أجدى عليّ العيش بعدهم اني فقدت جميعهم وحدي
لا تلحني يا صاح في شجن اخفيت منه فوق ما ابدي
بالغرب لي سكن تأوبني من ذكره سهد على سهد
فرخان قد تركا بمضيعة زغب عن الرشد فداء والرفد

التي

ومنهم صاحبنا الخطيب ابو عبد الله محمد بن احمد بن مرزوق من اهل تلمسان
كان سلفه نزلاء الشيخ ابي مدين بالعباد ومتوارثين خدمة تربته من لدن
جدهم خادمه في حياته وكان جده الخامس او السادس واسمه ابو بكر بن مرزوق
معروفا بالولاية فيهم ولما هلك دفنه يغمراسن بن زيان سلطان
تلمسان من بني عبد الواد في التربة بقصره ليدفن بازائه متى قدر بوفاته
ونشأ محمد هذا بتلمسان ومولده فيما اخبرني سنة عشر وسبعمائة
وارتحل مع ابيه الى المشرق سنة ثمان عشرة ومر ببجاية فسمع بها على الشيخ
ابي علي ناصر الدين ودخل المشرق وجاور ابوه بالحرمين الشريفين ورجع هو
الى القاهرة فاقام بها وقرا على برهان الدين الصفاقسي المالكي واخيه وبرع
في الطلب والرواية وكان يجيد الخطين ثم رجع سنة خمس وثلاثين الى المغرب
ولقي السلطان ابا الحسن بمكانه من حصار تلمسان وقد شيد بالعباد مسجدا
عظيما وكان عمه محمد بن مرزوق خطيبا به على عادتهم في العباد وتوفي
فولاه السلطان خطابة ذلك المسجد مكان عمه وسمعه يخطب على المنبر
ويشيد بذكره والثناء عليه فحلي بعينه واختصه وقربه وهو مع ذلك
يلازم مجلس الشيخين ابني الامام ويأخذ نفسه بلقاء الفضلاء والاكابر
والاخذ عنهم والسلطان في كل يوم يزيده رتبة وحضر معه واقعة
طريف التي كان فيها تمحيص المسلمين وكان يستعمله في السفارة عنه الى
صاحب الاندلس ثم سفر عنه الى ادفونش ملك قشتالة في تقرير
الصلح واستنقاذ ابنه ابي عمر تاشفين كان اسر يوم طريف فغاب في
تلك السفارة عن رحلة السلطان الى افريقية ورجع بابي تاشفين مع طائفة
من زعماء النصرانية جاءوا في السفارة عن ملكهم ولقيهم خبر واقعة
القيروان بقسنطينة من بلاد افريقية وبها عامل السلطان وحاميته
فثار اهل قسنطينة بهم جميعا ونهبوهم وخطبوا للفضل بن السلطان
ابي يحيى وراجعوا دعوة الموحدين واستدعوه فجاء اليهم وملك البلد
وانطلق ابن مرزوق عائدا الى المغرب مع جماعة من الاعيان كلهم والعمال

والسواء

واقعة القيروان

والسفراء عن الملوك ووفد على السلطان ابي عنان بفاس مع امه حظية
ابي الحسن واثيرته كانت راحلة اليه فادركها الخبر بقسنطينة وحضرت
الصيحة واتصل بها الخبر بتوثب ابنها ابي عنان على ملك ابيه واستيلائه على فاس
فرجعت اليه وابن مرزوق في خدمتها ثم طلب اللحاق بتلمسان فسرحوه
اليها واقام بالعباد مكان سلفه وعلى تلمسان يومئذ ابو سعيد عثمان بن عبد الرحمن
ابن يحيى بن يغمراسن بن زيان قد بايع له قبيله بنو عبد الواد بعد واقعة
القيروان بتونس وابن تافراكين يومئذ محاصر للقصبة كما مر في اخبارهم
وانصرفوا الى تلمسان فوجدوا بها ابا سعيد عثمان بن جرار من بني ملوكهم
قد استعمله عليها السلطان ابو عنان عند انتقاضه على ابيه ومسيره
الى فاس فانتقض ابن جرار من بعده ودعا لنفسه ووصل اليه عثمان بن عبد الرحمن
ومعه اخوه ابو ثابت وقومهم فملكوا تلمسان من يد ابن جرار وحبسوه
ثم قتلوه واستبد ابو سعيد بملك تلمسان واخوه ابو ثابت يردفه وركب
السلطان ابو الحسن البحر من تونس وغرق اسطوله ونجا هو الى الجزائر
فاختل بها واحتشد الى تلمسان فرأى ابو سعيد ان يكف غربه
عنهم بمواصلة تقع بينهما واختار لذلك الخطيب ابن مرزوق فاستدعاه
واسر اليه بما يلقيه عنه للسلطان ابي الحسن وذهب لذلك على طريق
الصحراء واطلع ابو ثابت وقومهم على الخبر فنكروه على ابي سعيد وعاتبوه
فانكر فبعثوا صغير بن عامر في اعتراض ابن مرزوق فجاء به وحبسوه اياما
ثم اجازوه البحر الى الاندلس فنزل على السلطان ابي الحجاج بغرناطة وله اليه
وسيلة منذ اجتماعه به بمجلس السلطان ابي الحسن بسبتة اثر واقعة
طريف فرعى له ابو الحجاج ذمة تلك المعرفة وادناه واستعمله في الخطابة
بجامعه بالحمراء فلم يزل خطيبه الى ان استدعاه السلطان ابو عنان سنة
اربع وخمسين بعد مهلك ابيه واستيلائه على تلمسان واعمالها فقدم
عليه ورعى له وسائله ونظمه في اكابر اهل مجلسه وكان يقرأ الكتاب بين يديه
في مجلسه العلمي ويدرس في نوبته مع من يدرس في مجلسه منهم

حمو

وصل اليه

ثم بعثه الى تونس عام ملكها سنة ثمان وخمسين ليخطب له ابنة السلطان ابي يحيى
فردت تلك الخطبة واختفت بتونس ووشي الى السلطان ابي عنان انه كان مطلعا
على مكانها فسخطه لذلك ورجع السلطان من قسنطينة فثار اهل تونس بمن كان
بها من عماله وحاميته واستقدموا ابا محمد بن تافراكين من المهدية فجاء وملك
البلد وركب القوم الاسطول ونزلوا بمراسي تلمسان واغرى السلطان باعتقال
ابن مرزوق وخرج لذلك يحيى بن شعيب من مقدمي الجنادرة ببابه فلقيه
بتاسالة فقيده هنالك وجاء به فاحضره السلطان وقرعه ثم حبسه
مدة واطلقه بين يدي مهلكه واضطربت الدولة بعد موت السلطان ابي عنان
وبايع بنو مرين لبعض الاعياص من بني يعقوب بن عبد الحق وحاصروا البلد
الجديد وبها ابنه السعيد ووزيره المستبد عليه الحسن بن عمر وكان
السلطان ابو سالم بالاندلس غرّبه اليها اخوه السلطان ابو عنان
مع بني عمهم ولد السلطان ابي علي بعد وفاة السلطان ابي الحسن وحصولهم
جميعا في قبضته فلما توفي اراد ابو سالم النهوض لملكه بالمغرب فمنعه رضوان
القائم يومئذ بملك الاندلس مستبدا على ابن السلطان ابي الحجاج فلحق هو
باشبيلية من دار الحرب ونزل على بطره ملكهم يومئذ فهيا له السفين
واجازه الى العدوة فنزل بجبل الصفيحة من بلاد غمارة وقام بدعوته
بنو مثنى وبنو منير اهل ذلك الجبل منهم حتى تم امره واستولى على ملكه في
خبر طويل ذكرناه في اخبار دولتهم وكان ابن مرزوق يداخله وهو بالاندلس
ويستحمله ويفاوضه في اموره وربما كان يكاتبه وهو بجبل الصفيحة
ويداخل زعماء قومه في الاخذ بدعوته فلما ملك السلطان ابو سالم
رعى له تلك الوسائل اجمع ورفعه على الناس والقى عليه محبته وجعل
زمام الامور بيده فوطئ الناس عقبه وغشي اشراف الدولة بابه وصرفوا
الوجوه اليه فمرضت لذلك قلوب اهل الدولة ونقموا على السلطان
وتربصوا به حتى ثوبت عمر بن عبد الله بالبلد الجديد وافترق الناس عن
السلطان وقتله عمر بن عبد الله اخر ستين وستين وحبس ابن مرزوق
واعا

قبله م

سنة ست وستين م

وأعاد به سلطانه الذي نصبه محمد بن عبد الرحمن بن ابي الحسن فامتحنه
واستصفاه ثم اطلقه بعد ان رام كثير من اهل الدولة قتله فمنعه منهم
ولحق بتونس سنة اربع وستين ونزل على السلطان ابي اسحق وصاحب
دولته المستبد عليه ابي محمد بن تافراكين فاكرموا نزله وولوه الخطابة بجامع
الموحدين بتونس واقام بها الى ان هلك السلطان ابو اسحق سنة سبعين
وولي ابنه خالد وزحف السلطان ابو العباس حافد السلطان ابي يحيى من مقره
بقسنطينة الى تونس فملكها وقتل خالدا وكان ابن مرزوق يستريب منه لما كان
يميل وهو بفاس مع ابن عمه ابي عبد الله محمد صاحب بجاية ويوثر عند السلطان
ابي سالم عليه فعزله السلطان ابو العباس عن الخطبة بتونس فوجم لها واجمع
الرحلة الى المشرق وسرحه السلطان فركب السفين ونزل الاسكندرية
ثم ارتحل الى القاهرة ولقي اهل العلم وامراء الدولة ونفقت بضاعته عندهم
واوصلوه الى السلطان وهو يومئذ الاشرف فكان يحضر مجلسه وولوه الوظائف
العلمية فكان ينتجع منها معاشه وكان الذي وصل حبله بالسلطان استاذداره
محمد بن اقبغا آص لقيه اول قدومه فحلي بعينه واستظرف جملته فسعى له
واحتفى بسعايته ولم يزل مقيما بالقاهرة موقر الرتبة معروف الفضيلة
مرشحا لقضاء المالكية ملازما للتدريس في وظائفه الى ان هلك سنة احدى
وثمانين هذا ذكر من حضرنا من حملة السلطان ابي الحسن من اشياخنا
واصحابنا وليس من موضوع الكتاب الاطالة فلنقتصر على هذا القدر
ونرجع الى ما كنا فيه من اخبار المولف

ولاية العلامة بتونس ثم الرحلة بعدها الى المغرب والكتابة عن السلطان ابي عنان

لم ازل منذ نشأت وناهزت مكبا على تحصيل العلم حريصا على اقتناء
الفضائل متنقلا بين دروس العلم وحلقاته الى ان كان الطاعون
الجارف وهلك ابواي رحمهما الله ولزمت مجلس شيخنا ابي عبد الله الابلي
وعكفت على القراءة عليه ثلاث سنين الى ان شدوت بعض الشيء
واستدعاه السلطان ابو عنان فارتحل اليه واستدعاني ابو محمد

وذهب بالاعمال و الصدر وجمع المشيخة م

ابن تافراكين المستبد على الدولة يومئذ بتونس الى كتابة العلامة عن سلطانه
ابى اسحق وقد نهض اليهم من قسنطينه صاحبها الامير ابو زيد حافد
السلطان ابى يحيى فى عساكره ومعه العرب اولاد مهلهل الذين استنجدوه
لذلك فاخرج ابن تافراكين سلطانه ابا اسحق مع العرب اولاد ابى الليل
وبث العطاء فى عسكره وعمر له المراتب والوظايف وتعلل عليه صاحب
العلامة ابو عبد الله محمد بن على بن عمر بالاستزاده من العطا فعزله
وادالنى منه فكتبت العلامة عن السلطان وهى وضع الحمد لله
والشكر لله بالقلم الغليظ ما بين البسملة وما بعدها من مخاطبة
او مرسوم وخرجت معهم اول سنة ثلاث وخمسين وقد كنت
منطويا على مفارقتهم لما اصابنى من الاستيحاش لذهاب اشياخى
وعطلتى عن طلب العلم فلما رجع بنو مرين الى مراكزهم بالمغرب
وانحسر تيارهم عن افريقيه واكثر من كان معهم من الفضلاء صحابة
واشياخ فاعتزمت على اللحاق بهم وصدنى عن ذلك اخى وكبيرى محمد
رحمه الله فلما دعيت الى هذه الوظيفة سارعت الى الاجابة
لتحصيل غرضى من اللحاق بالمغرب وكان كذلك فانا لما خرجنا من تونس
نزلنا بلاد هوارة وزحفت العساكر بعضها الى بعض بفحص مرماجنة
وانهزم صفنا ونجوت انا الى ابة فاقمت بها عند الشيخ عبد الرحمن
الوشتاتى من كبراء المرابطين ثم تحولت الى تبسة ونزلت بها
على محمد بن عبدون صاحبها فاقمت عنده ليالى حتى هيأ لى الطريق
وبذرق لى مع رفيق من العرب وسافرت الى قفصه واقمت بها اياما
انترصد الطريق حتى قدم علينا بها الفقيه محمد بن الرئيس منصور
ابن مزنى واخوه يوسف يومئذ صاحب الزاب وكان هو بتونس
فلما حاصرها الامير ابو زيد خرج اليه فكان معه ثم بلغهم الخبر
بان السلطان ابا عنان ملك المغرب نهض الى تلمسان فملكها وقتل سلطانها
عثمان بن عبد الرحمن واخاه ابا ثابت وانه انتهى الى المدية وملك بجاية

من

من يد صاحبها الامير ابى عبد الله من حفدة السلطان ابى يحيى راسله
عندما اطل على بلده فسار اليه ونزل له عنها وصار فى جملته وولى ابو عنان
على بجاية عمر بن على شيخ بنى وطاس من بنى الوزير شيوخهم فوثب
به بعض السفهاء من صنهاجه وقتله لمجلسه ولما بلغت هذه فلما بلغ هذا
الخبر احتمل الامير عبد الرحمن من مكانه على حصار تونس ومر بقفصه
قد حل الينا محمد بن مزنى ذاهبا الى الزاب فرافقته الى بسكرة ودخلت
الى اخيه هنالك ونزل هو بعض نواحى الزاب تحت جواية اخيه الى ان انصرم
الشتا وكان ابو عنان لما ملك بجاية ولى عليها عمر بن على بن الوزير من شيوخ
بنى وطاس وجاءه فارح مولى الامير ابى عبد الله لنقل حرمه وولده
فداخل بعض السفهاء من صنهاجه فى قتل عمر بن على فقتله فى مجلسه
ووثب هو على البلد وبعث الى الامير ابى زيد يستدعيه من قسنطينه
فتمشت رجالات البلد فيما بينهم خشية من سطوة السلطان ثم
ثاروا بفارح فقتلوه واعادوا دعوة السلطان كما كانت وبعثوا الى عامل السلطان
بتدلس يحيى بن عمر بن عبد المومن شيخ بنى ونكاسن من بنى مرين فملكوه
قيادهم وبعثوا الى السلطان بطاعتهم فاخرج لوقته حاجبه محمد بن ابى عمرو
واكثف له الجند وسرح معه وجوه دولته واعيان بطانته وارتحلت انا
من بسكرة وافدا على السلطان ابى عنان بتلمسان فلقيت ابن ابى عمرو بالبطحاء
وتلقانى من الكرامة بما لم احتسبه وردنى معه الى بجاية فشهدت الفتح وتسايلت
وفود افريقية اليه فلما رجع الى السلطان وفدت معهم فنالنى من كرامته
واحسانه ما لم احتسبه اذ كنت شابا لم يطر شاربى ثم انصرفت مع الوفود
ورجع ابن ابى عمرو الى بجاية فاقمت عنده حتى انصرم الشتاء اواخر اربع وخمسين
وعاد السلطان ابو عنان الى فاس وجمع اهل العلم للتحليق بمجلسه وجرى ذكرى
عنده وهو ينتقى الناس طلبة العلم للمذاكرة فى ذلك المجلس فاخبره الذين لقيتهم
بتونس عنى ووصفونى له فكتب الى الحاجب يستقدمنى فقدمت عليه سنة
خمس وخمسين ونظمنى فى اهل مجلسه العلمى والزمنى شهود الصلوات

معه ثم استعملني في كتابته والتوقيع بين يديه على كره مني اذ كنت لم اعهد مثله
لسلفي وعكفت على النظر والقراءة ولقاء المشيخة من اهل المغرب ومن اهل
الاندلس الوافدين في غرض السفارة وحصلت من الافادة منهم على البغية
وكان في جملته يومئذ الاستاذ ابو عبد الله محمد بن الصفار من اهل مراكش
امام القراءات لوقته اخذ عن جماعة من مشيخة المغرب كبيرهم شيخ المحدثين
الرحالة ابو عبد الله محمد بن رشيد الفهري سند اهل المغرب وكان يعارض
السلطان ~~[illegible]~~ القران بروايته السبع الى ان توفي ومنهم قاضي
الجماعة بفاس ابو عبد الله محمد المقري صاحبنا من اهل تلمسان اخذ
العلم بها عن ابي عبد الله محمد السلاوي ورد عليها من المغرب خلوا من المعارف
ثم دعته همته الى التحلي بالعلم فعكف في بيته على مدارسة القران فحفظه
وقراه بالسبع ثم عكف على كتاب التسهيل في العربية فحفظه ثم على مختصري
ابن الحاجب في الفقه والاصول فحفظهما ثم لزم الفقيه عمران المشدالي
من تلميذ ابي علي ناصر الدين وتفقه عليه وبرز في العلوم الى حيث لم تلحق غايته
وتفقه عليه بتلمسان جماعة كان من اوفرهم سهما في العلوم ابو عبد الله
المقري هذا ولما جاء شيخنا ابو عبد الله الابلي الى تلمسان عند استيلاء السلطان
ابي الحسن عليها وكان ابو عبد الله السلاوي قد قتل يوم فتح تلمسان قتله بعض اشياع
السلطان لذنب اسلفه في خدمة اخيه ابي علي بسجلماسة قبل انتحاله العلم كان
السلطان يحنق عليه فقتل بباب المدرسة فلزم ابو عبد الله المقري بعده
مجلس شيخنا الابلي ومجالس بني الامام واستبحر في العلوم وتفنن ولما
انتقض السلطان ابو عنان سنة تسع واربعين وخلع اباه ندبه الى كتاب
البيعة فكتبها وقراها على الناس في يوم مشهود وارتحل مع السلطان الى
فاس فلما ملكها عزل قاضيها الشيخ المعمر ابا عبد الله بن عبد الرزاق
وولاه مكانه فلم يزل قاضيها الى ان سخطه لبعض النزعات الملوكية
فعزله واداله منه بالفقيه ابي عبد الله الفشتالي اخر سنة ست
وخمسين ثم بعثه في سفارة الى الاندلس فامتنع من الرجوع وقام
السلطان

ثم ولاه السلطان ابو سالم بعد [illegible] القضاء بتلمسان

السلطان لها في ركائبه ونكر على صاحب الاندلس تمسكه به وبعث اليه فيه
يستقدمه فلاذ منه ابن الاحمر بالشفاعة فيه واقتضى له كتاب امان بخط
السلطان ابي عنان واوفده مع الجماعة من شيوخ العلم بغرناطة القاضيان
بغرناطة شيخنا ابو القاسم الشريف السبتي شيخ الدنيا جلالة وعلما
ووقارا ورياسة وامام اللسان حوكا ونقدا في نظمه ونثره وشيخنا الاخر
ابو البركات محمد بن محمد بن ابرهيم بن الحاج البلفيقي من اهل المرية شيخ
المحدثين والفقهاء والادباء والصوفية والخطباء بالاندلس وسيد
اهل العلم باطلاق والمتفنن في اساليب المعارف واداب الصحابة
للملوك فمن دونهم فوفدا به على السلطان شفيعين على عظيم تشوفه
للقائهما فقبلت الشفاعة وانجحت الوسيلة حضرت بمجلس السلطان
يوم وفادتهما سنة سبع وخمسين وكان يوما مشهودا واستقر القاضي
المقري في مكانه بباب السلطان عطلا من الولاية والجراية وجرت عليه
بعد ذلك محنة من السلطان بسبب خصومة وقعت بينه وبين قرابة
امتنع من الحضور معهم عند القاضي الفشتالي فتقدم السلطان الى بعض
اكابر الوزعة ببابه بان يسحبه الى مجلس القاضي حتى انفذ فيه حكمه فكان الناس
يعدونها محنة ثم ولاه السلطان بعد ذلك قضاء العساكر في دولته عندما
ارتحل الى قسنطينة فلما افتتحها وعاد الى ~~فاس~~ دار ملكه بفاس اخر ثمان
وخمسين اعتل القاضي المقري في طريقه وهلك عند قدومه بفاس ٥
ومنهم صاحبنا الامام العالم الفذ فارس المعقول والمنقول وصاحب
الفروع والاصول ابو عبد الله محمد بن احمد الشريف الحسني ويعرف
بالعلوي نسبة الى قرية من اعمال تلمسان تسمى العلوين وكان اهل بيته لا يدافعون
في نسبهم وربما يغمز فيه بعض الفجرة ممن لا يزعه دينه ولا معرفته بالانساب ب
فيعد من اللغو ولا يلتفت اليه نشا هذا الرجل بتلمسان واخذ العلم
عن مشيختها واختص بولدي الامام وتفقه عليهما في الفقه والاصول والكلام
ثم لزم شيخنا ابا عبد الله الابلي وتضلع من معارفه فاستبحر وتفجر

بثّا بيع العلوم من مداركه ثم ارتحل الى تونس ولحق في بعض مدة اهيه سنه
اربعين ولقي شيخنا القاضي ابا عبد الله بن عبد السلام وحضر مجلسه وافاد
منه واستعظم رتبته في العلم وكان ابن عبد السلام يصغي اليه ويوثر محله
ويعرف حقه حتى لقد زعموا انه كان يخلو به في بيته فيقرا عليه فصل التصوف
من كتاب الاشارات لابن سينا بما كان هو قد احكم ذلك الكتاب على شيخنا
الابلي وقرا عليه كثيرا من كتاب الشفا لابن سينا ومن تلاخيص كتب ارسطو
لابن رشد ومن الحساب والهندسة والفرائض علاوة على ما كان يحمله
من الفقه والعربية وسائر علوم الشريعة وكانت له في كتب الخلافيات
يد طولى وقدم عالية فعرف له ابن عبد السلام ذلك كله واوجب حقه
وانقلب الى تلمسان وانتصب لتدريس العلم وبثه فملأ المغرب معارف وتلامذ
الى ان اضطرب المغرب بعد واقعة القيروان ثم هلك السلطان ابو الحسن
وزحف ابنه ابو عنان الى تلمسان فملكها سنة ثلاث وخمسين فاستخلص
الشريف ابا عبد الله واختاره لمجلسه العلمي مع من اختار من المشيخة
ورحل به الى فاس فتبرم الشريف من الاغتراب وورد د الشكوى فاحفظ
السلطان بذلك وارتاب به ثم بلغه اثناء ذلك ان عثمان بن عبد الرحمن سلطان
تلمسان اوصاه على ولده واودع له مالا عند بعض الاعيان من اهل تلمسان
وان الشريف مطلع على ذلك فانتزع الوديعة وسخط الشريف بذلك ونكبه
واقام في اعتقاله اشهرا ثم اطلقه اول ست وخمسين واقصاه ثم اعتبه بعد فتح
قسنطينة واعاده الى مجلسه الى ان هلك السلطان آخر تسع وخمسين
وملك ابو حمو بن يوسف بن عبد الرحمن تلمسان من يد بني مرين واستدعى
الشريف من فاس فسوّغه القائم بالامر يومئذ الوزير عمر بن عبد الله
فانطلق الى تلمسان وتلقاه ابو حمو براحتيه واصهر له في ابنته فزوجها اياه
وبنى له مدرسة جعل في بعض جوانبها مدفن ابيه وعمه واقام الشريف
يدرس العلم الى ان هلك سنة احدى وسبعين واخبرني رحمه الله ان
مولده سنة عشر ومنهم صاحبنا الكاتب القاضي ابو القاسم محمد بن يحيى

البرجي

البرجي من برجة الاندلس كان كاتب السلطان ابي عنان وصاحب الانشاء
والسر في دولته وكان مختصا به واثيرا لديه واصله من برجة الاندلس
نشأ بها واجتهد في العلم والتحصيل وقرأ وسمع وتفقه على مشيخة الاندلس
واستبحر في الادب وبرز في النظم والنثر وكان لا يجارى في كرم الطباع
وحسن المعاشرة ولين الجانب وبذل البشر والمعروف وارتحل الى بجاية
في عشر الاربعين والسبعمائة وبها الامير ابو زكريا ابن السلطان ابي يحيى
منفرد بملكها على حين اقفرت من رسم الكتابة والبلاغة فبادر اهل
الدولة الى اصطفائه وايثاره بخطة الانشاء والكتاب عن السلطان الى ان
هلك الامير ابو زكريا ونصب ابنه محمد مكانه فكتب عنه على رسمه
ثم هلك السلطان ابو يحيى وزحف السلطان ابو الحسن الى افريقية واستولى
على بجاية ونقل الامير ابا محمد باهله وحاشيته الى تلمسان كما تقدم في اخباره
فنزل ابو القاسم البرجي تلمسان واقام بها واتصل خبره بابي عنان ابن السلطان
ابي الحسن وهو يومئذ اميرها ولقيه فوقع من قلبه بمكان الى ان كانت واقعة
القيروان وخلع ابو عنان واستبد بالامر فاستكتبه وحمله معه الى المغرب
ولم يستعمله في العلامة لانه آثر بها محمد بن ابي عمرو بما كان ابوه يعلمه
القرآن والعلم وربي محمد بداره فولاه العلامة والبرجي مرادف له
في رتبته الى ان انقرضوا جميعا وهلك السلطان ابو عنان واستولى
اخوه ابو سالم على ملك المغرب وغلب ابن مرزوق على هواه كما قدمناه فنقل
البرجي من الكتابة واستعمله في قضاء العساكر فلم يزل على القضاء الى ان هلك
سنه وثمانين واخبرني رحمه الله ان مولده سنه عشر
ومنهم شيخنا المعمر الرحالة ابو عبد الله محمد بن عبد الرزاق
شيخ وقته جلالة وتربية وعلما وخبرة باهل بلده وعظمة فيهم
نشأ بفاس واخذ عن مشيختها وارتحل الى تونس فلقي القاضي ابا اسحق
ابن عبد الرفيع والقاضي ابا عبد الله النفزاوي واهل طبقتهم واخذ
عنهم وتفقه عليهم ورجع الى المغرب ولازم سنن الاكابر والمشايخ

الى ان ولاه السلطان ابو الحسن القضاء بمدينة فاس فاقام على ذلك الى ان جاء
السلطان ابو عنان من تلمسان بعد واقعة القيروان وخلعه اباه فعزله
بالفقيه ابى عبد الله المقرى واقام عطلا فى بيته ولما جمع السلطان مشيخة
العلم للتحليق بمجلسه والافادة منهم استدعى شيخنا ابا عبد الله
ابن عبد الرزاق فكان ياخذ عنه الحديث ويقرا عليه القران بروايته فى
مجلس خاص الى ان هلك رحمه الله بين يدى مهلك السلطان ابى عنان الى
اخرين واخرين من اهل المغرب والاندلس كلهم لقيت وذاكرت وافدت
منه واجازنى بالاجازة العامة

حدوث النكبة من السلطان ابى عنان

كان اتصالى بالسلطان ابى عنان
اخر سنة وخمسين وقربنى وادنانى واستعملنى فى كتابته واختصنى
بمجلسه للمناظرة والتوقيع عنه فكثر المنافسون وارتفعت السعايات
حتى جوزى عنده بعد ان كان لا يعتبر عن صفاته ثم اعتل السلطان اخر
سبع وخمسين وكانت قد حصلت بينى وبين الامير محمد صاحب بجاية من
الموحدين مداخلة احكمها ما كان لسلفى فى دولتهم وغفلت عن
التحفظ فى مثل ذلك من غيرة السلطان فما هو الا ان شغل بوجعه حتى انمى
اليه بعض الغواة ان صاحب بجاية معتمل فى الفرار ليسترجع بلده وبها
يومئذ وزيره الكبير عبد الله بن على فانبعث السلطان لذلك وبادر
بالقبض عليه وكان فيما انمى اليه انى داخلته فى ذلك فقبض على وامتحنى
وحبسنى ثم اطلق الامير محمد وما زلت انا فى اعتقاله الى ان هلك وخاطبته
بين يدى مهلكه مستعطفا بقصيدة اولها

على اى حال لليالى اعاتب ... واى صروف للزمان اغالب
كفا حزنا انى على القرب نازح ... وانى على دعوى شهودى غايب
وانى على حكم الحوادث نازل ... تسالمنى طورا وطورا تحارب

ومنها فى التشوق

سلو بهم الا ادكار معاهد ... لها فى الليالى الغابرات غرايب

وان

تكرر

وذلك فى حدود احدى عشر سنة

زانبروق اللواعب

وان نسيم الريح منهم يشوقنى ... اليهم وتصبينى الصبا والجنايب

وهى طويلة نحو ماتين بيتا ذهبت عن حفظى فكان لها منه موقع وهش
لها وكان بتلمسان فوعد بالافراج عنى عند حلوله بفاس ولخمس ليال
من حلوله طرقه الوجع وهلك لخمس عشرة ليلة فى رابع وعشرى ذى الحجة
خاتم تسع وخمسين وبادر القايم بالدولة الوزير الحسن بن عمر الى اطلاق
جماعة من المعتقلين كنت فيهم فخلع على وحملنى واعادنى الى ما كنت عليه
وطلبت منه الانصراف الى بلدى فابى على وعاملنى بوجوه كرامته ومذاهب
احسانه الى ان اضطرب امره وانتقض عليه بنو مرين وكان ما قدمناه فى
اخبارهم

الكتابة عن السلطان ابى سالم فى السر والانشاء

ولما اجاز السلطان ابو سالم من الاندلس لطلب ملكه ونزل بجبل الصفيحة
من بلاد غمارة وكان الخطيب ابن مرزوق بفاس فبث دعوته سرا واستعان
بى على امره بما كان بينى وبين اشياخ بنى مرين من المحبة والايتلاف فحملت الكثير
منهم على ذلك واجابونى اليه وانا يومئذ اكتب عن القايم بامر بنى مرين منصور
ابن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق وقد نصبوه للملك
وحاصروا الوزير الحسن بن عمر وسلطانه السعيد بن ابى عنان بالبلد الجديد
فقصدنى ابن مرزوق فى ذلك واوصل الى كتاب السلطان ابى سالم بالحض على ذلك
واجمال الوعد فيه والقى على جملة فنهضت به وتقدمت الى شيوخ
بنى مرين وامراء الدولة بالتحريض على ذلك حتى اجابوا وبعث ابن مرزوق الى الحسن
ابن عمر ~~وهو محاصر~~ يدعوه الى طاعة السلطان ابى سالم وقد ضجر من الحصار
فبادر الى الاجابة واتفق راى بنى مرين على الانفضاض عن منصور بن سليمان
والدخول الى البلد الجديد فلما تم عقدهم على ذلك نزعت الى السلطان ابى سالم
فى طايفة من وجوه اهل الدولة كان منهم محمد بن عثمان بن الكاس المستبد بعد
ذلك بملك المغرب على سلطانه وكان ذلك النزوع مبدا حظه وفاتحة
رياسته بسعايتى له عند السلطان فلما قدمت على السلطان بالصفيحة
بما عندى من اخبار الدولة وما اجمعوا عليه من خلع منصور بن سليمان واستحثثته

والموعد الذى ضربوه لذلك

منصور بن سليمان

فارتحل ولقينا البشير بإجفال منصور بن سليمان وفراره إلى نواحي بادس ودخول
بني مرين إلى البلد الجديد وإظهار الحسن بن عمر دعوة السلطان أبي سالم
ثم لقينا بالقصر الكبير قبائل السلطان وعساكره على راياتهم ووزير منصور
ابن سليمان وهو مسعود بن رحو بن ماساي فتلقاه السلطان بالكرامه
كما يجب له واستوزره نائبا للحسن بن يوسف بن علي بن محمد الورتاجني السابق
إلى وزارته لقيه بسبته وقد غربه إلى الأندلس فاستوزره واستكفاه
ولما اجتمعت العساكر عنده بالقصر صعد إلى فاس ولقيه الحسن بن عمر
بظاهرها فأعطاه طاعته ودخل إلى دار ملكه وأنا في ركابه لخمس عشرة ليلة
من نزوعي إليه منتصف شعبان سنة ستين وسبعمائة فرعى لي السابقة واستعملني
في كتابة سره والترسيل عنه والإنشاء لمخاطباته وكان أكثرها يصدر عني
بالكلام المرسل أن يشاركني أحد ممن ينتحل الكتابة في الأسجاع لضعف انتحالها
وخفاء العالي منها على أكثر الناس بخلاف المرسل فانفردت به يومئذ وكان
مستغربا عندهم بين أهل الصناعة ثم أحدث نفسي بالشعر فانثال علي منه
بحور توسطت بين الإجادة والقصور وكان مما أنشدته إياه
ليلة المولد النبوي من سنة ثنتين وستين

أسرفنَ في هجري وفي تعذيبي وأطلنَ موقفَ عبرتي ونحيبي
وأبَيْنَ يومَ البينِ وقفةَ ساعةٍ لوداعِ مشغوفِ الفؤادِ كئيبِ
لله عهدُ الظاعنين وغادروا قلبي رهينَ صبابةٍ ووجيبِ
غربت ركائبُهم ودمعي سافحٌ فشرقتُ بعدَهم بماءِ غروبِ
يا ناقعًا بالعتبِ غُلّةَ شوقهم رُحماك في عذلي وفي تأنيبي
يستعذبُ الصبُّ الملامَ وإنني ماءُ الملامِ لديَّ غيرُ شروبِ
ما هاجني طربٌ ولا اعتادَ الجوى لولا تذكّرُ منزلٍ وحبيبِ
أهفو إلى الأطلالِ كانت مطلعًا للبدرِ منهم أو كناسَ ربيبِ
عبثت بها أيدي البلى وتردّدت في عطفها للدهرِ أيُّ خطوبِ
تبلى معاهدُها وإنّ عهودَها ليجدُّها وصفي وحسنُ نسيبي

واذا

وإذا الديارُ تعرّضت لمتيّمٍ هزّته ذكراها إلى التشبيبِ
إيهٍ عن الصبرِ الجميلِ فإنه ألوى بدينِ فؤاديَ المنهوبِ
لم أنسها والدهرُ يثني صرفَه ويغضُّ طرفي حاسدٌ ورقيبُ
والدارُ مونقةٌ محاسنُها بما لبست من الأيامِ كلَّ قشيبِ
يا سائقَ الأظعانِ يعتسفُ الفلا ويواصلُ الإسآدَ بالتأويبِ
متهافتًا عن رحلِ كلِّ مذلّلٍ نشوانَ من أينٍ ومسِّ لغوبِ
تتجاذبُ النفحاتُ فضلَ ردائه في ملتقاها من صبًا وجنوبِ
إن هامَ من ظمإ الصبابةِ صحبُه نهلوا بموردِ دمعه المسكوبِ
أو تعترض مسراهمُ سدفُ الدجى صدعوا الدجى بغرامه المشبوبِ
في كلِّ شعبٍ منيةٌ من دونها هجرُ الأماني أو لقاءُ شعوبِ
هلّا عطفتَ صدورهنّ إلى التي فيها لبانةُ أعينٍ وقلوبِ
فتؤمّ من أكنافِ يثربَ مأمنًا يكفيك ما تخشاه من تثريبِ
حيثُ النبوّةُ آيُها مجلوّةٌ تتلو من الآثارِ كلَّ غريبِ
سرٌّ عجيبٌ لم يحجبه الثرى ما كان سرُّ الله بالمحجوبِ

ومنها بعد تعديد معجزاته والإطناب في مدحه

إني دعوتُك واثقًا بإجابتي يا خيرَ مدعوٍّ وخيرَ مجيبِ
قصّرتُ في مدحي فإن يكُ طيّبًا فبما لذكرِك من أريجِ الطيبِ
ماذا عسى يبغي المطيلُ وقد حوى في مدحِك القرآنُ كلَّ مطيبِ
يا هل تبلّغني الليالي زورةً تُدني إليَّ الفوزَ بالمرغوبِ
أمحو خطيئاتي بإخلاصي بها وأحطُّ أوزاري وإصرَ ذنوبي
في فتيةٍ هجروا المنى وتعوّدوا إنضاءَ كلِّ نجيبةٍ ونجيبِ
يطوي صحائفَ ليلِهم فوقَ الفلا ما شئتَ من خببٍ ومن تقريبِ
إن رنّمَ الحادي بذكرِك ردّدوا أنفاسَ مشتاقٍ إليك طروبِ
أو غرّدَ الركبُ الخليُّ بطيبةٍ حنّوا لمغناها حنينَ النيبِ
ورثوا اعتسافَ البيدِ عن آبائهم إرثَ الخلافةِ في بني يعقوبِ

الطاعنون الخيل وهي عوابس يغشى مثار النقع كل سبيب
والواهبون المقربات صوافنا من كل خوار العنان لعوب
والمانعون الجار حتى عرضه في منتدى الاعداء غير معيب
تخشى بوادرهم ويرجى حلمهم والعز شيمة مرتجى ومهيب

ومنها في ذكر اجازته البحر واستيلايه على ملكه

سابل به طامي العباب وقد سرى تزجيه ريح العزم ذات هبوب
تهدي به شهب اسنة وعزايم تصدع عن ليل الحادث المرهوب
حتى انجلت ظلم الضلال بسعيه وسطا الهدى بفريقها المغلوب
يا ابن الالى شادوا الخلافة بالتقى واستاثروك بتاجها المعصوب
جمعوا الحفظ الدين كل اي مناقب كرموا بها في مشهد ومغيب
لله مجدك طارفا وتالدا فلقد شهدنا منه كل عجيب
كم رهبة او رغبة بك والعلى تنقاد بالترغيب والترهيب
لا زلت مسرورا باشرف دولة يبدو الهدى من افقها المرقوب
تجني المعالي غاديا او رايحا وجديد سعدك ضامن المطلوب

ومن قصيدة خاطبته بها عند وصول هدية ملك السودان اليه وفيها الحيوان الغريب المسمى بالزرافة

قد حن بي الاشواق من نجد وهفت بقلبي زفرة الوجد
ونبذت سلواني على ثقة بالقرب فاستبدلت بالبعد
ولرب وصل كنت امله فاعتضت منه بمولم الصد
لا عهد عند الصبر اطلبه ان الغرام اضاع من عهدي
يلحى العذول فما اعنفه واقول ضل فابتغي رشدي
واعارض النفحات اسالها برد الجوى فتزيد [illegible] (في الوفد)
يهدي الغرام الى مسالكها لتعللي بضعيف ما تهدي
يا سايق الاظعان معتسفا طي الفلاة لطية الوجد
ارح الركاب ففي الصبا نبا يغني عن المستنة الجرد

وسل

وسل الربوع برامة خبرا عن ساكني نجد وعن نجد
ما لي تلام على الهوى خلقي وهي التي تابى سوى الحمد
لا ابتغي الا الرشد مذ وضحت بالمستعين معالم الرشد
نعم الخليفة في هدى وتقى وبنا عز شامخ الطود
نجل السراة الغر شانهم كسب العلى بمواهب الوجد

ومنها في ذكر خلوصي اليه وما ارتكبته فيه

لله مني اذ تاوبني ذكراه وهو بشاهق فرد
شهم يفل بواترا قضبا وجموع اقيال اولي ايد
اوريت زند العزم في طلبي وقضيت حق المجد من قصدي
ووردت عن ظماء مناهله فرويت من عز ومن رفد
هي جنة الماوى لمن كلفت امالة بمطالب المجد
لو لم اعل بورد كوثرها ما قلت هذي جنة الخلد
من مبلغ قومي ودونهم قذف النوى وتنوفة البعد
اني انفت على رجايهم وملكت عز جميعهم وحدي
ورقيقة الاعطاف حالية موشية بوشايع البرد
وحشية الانساب ما انست في موحش البيداء بالقود
تسمو بجيد بالغ صعدا شرف الصروح بغير ما جهد
طالت رؤوس الشامخات به وربما قصرت عن الوهد
قطعت اليك تنايفا وصلت اسادها بالنص والوخد
تحدى على استصعابها ذللا وتبيت طوع القن والقد
بسعود ذي اللالي ضمن لنا طول الحياة بعيشة رغد
جاءتك في وفد الاحابيش لا يرجون غيرك مكرم الوفد
وافوك والنعماء تقلبهم ايدي السرى بالغور والنجد
كالطيف يستقري مضاجعه او كالحمام يسيل من غمد
يثنون بالحسنى التي سبقت من غير انكار ولا جحد

ويرون لحظك من وفادتهم فخرا على الأتراك والهند
يا مستعجلا في شرف عن رتبة المفصود والمهد
جازاك ربك عن خليفته خير الجزاء فنعم ما يسدى
وبقيت للدنيا وساكنها في عزة أبدا وفي سعد

وانشدته في سائر ايامه عن هاتين القصيدتين كثيرا لم يحضرني الان شيء منه ثم غلب ابن مرزوق على هواه وانفرد بمخالطته وكبح الشكايمر عن قربه فانقبضت وقصرت الخطو ~~الرجل~~ مع البقاء على ما كنت فيه من كتابة سره وانشاء مخاطباته ومراسمه ثم ولاني اخر الدولة خطة المظالم فوفيتها حقها ودفعت للكثير مما ارجو ثوابه ولم يزل ابن مرزوق اخذا في سعايته بي وبامثالي من اهل الدولة غيرة ومنافسة الى ان انتقض الامر على السلطان بسببه وثار الوزير عمر بن عبد الله بدار الملك فصار اليه الناس ونبذوا السلطان وبيعته وكان في ذلك هلاكه على ما ذكرناه في اخبارهم ولما قام الوزير عمر بالامر اقرني على ما كنت عليه ووفر اقطاعي وزاد في جرايتي وكنت اسمو بطغيان الشباب الى ارفع مما كنت فيه وادل في ذلك بسابقة كانت بيني وبينه منذ ايام السلطان ابي عنان وصحابة استحكم عقدها بيني وبينه وبين الامير ابي عبد الله صاحب بجاية فكان ثالث اثافينا واشتدت غيرة السلطان لذلك كما مر وسطا بنا وتغافل عمر بن عبد الله لمكان ابيه من ثغر بجاية ثم حملني الادلال عليه ايام سلطانه وما اركبه في حقي من القصور لي عما اسمو اليه الى ان هجرته وقعدت عن دار السلطان مغاضبا له فتنكر لي واقطعني جانبا من الاعراض وطلبت الرحلة الى بلدي بافريقية وكان بنو عبد الواد قد راجعوا ملكهم تلمسان والمغرب الاوسط فمنعني من ذلك ان تغتبط ابو حمو صاحب تلمسان بمكاني فاقيم عنده فصرفت ولدي وامهم الى اخوالهم اولاد القايد محمد بن الحكيم بقسنطينة وجعلت انا طريقي على الاندلس وكان سلطانها ابو عبد الله المخلوع حين وفد على السلطان ابي سالم بفاس واقام عنده حصلت لي معه سابقة وصلة ووسيلة خدمة من جهة

[Right margin: ومصقلة وكافيتاهم]

[Left margin, beside lines: ... ... / ... ...]

فرمه

فاقم

فاقمت عنده ولج في المنع من ذلك وابيت انا الا الرحلة واستجرت في ذلك برديفه وصهره الوزير مسعود بن رحو بن ماساي ودخلت عليه يوم الفطر سنة ثلاث وستين فانشدته

هنيئا بصوم لا عداه قبول وبشرى بعيد انت فيه منيل
وهنيتها من عزة وسعادة تتابع اعوام بها وفصول
سقى الله دهرا انت انسان عينه ولا مس ربعا في حماك محول
فعصرك ما بين الليالي مواسم لها غرر وضاحة وحجول
وجانبك المامول للجود مشرع يحوم عليه عالم وجهول
عساك وان ضن الزمان منولي فرسم الاماني من سواك محيل
أجرني فليس الدهر لي بمسالم اذا لم يكن لي في ذراك مقيل
واولني الحسنى بما انا امل فمثلك يولي راجيا وينيل
ووالله ما رمت الترحل عن قلى ولا سخطة للعيش فهو جزيل
ولا رغبة عن هذه الدار انها لظل على هذا الانام ظليل
ولكن نأى بالشعب عني حبائب شجاهن خطب للفراق طويل
يهيج بهن الوجد اني نازح وان فؤادي حيث هن حلول
عزيز الذي قد لقيته وان اغترابي في البلاد يطول
توارت باأيدي البقاع كانني تخطفت او غالت ركابي غول
ذكرتك يا مغنى الاحبة والهوى فطارت بقلبي انة وعويل
وحييت عن شوق رباك كانما يمثل لي نؤيا بها وطلول
أأحبابنا والعهد بيني وبينكم كريم وما عهد الكريم يحول
اذا انا لم ترض الحمول مدامعي فلا قربتني للقاء حمول
الى من مقامي حيث لم ترد العلى مرادي ولم تعط القياد ذلول
أجاذب فضل العمر يوما وليلة وساء صباح بينها واصيل
ويذهب عني باس ومطمع زمان بنيل المعلوات بخيل
تعللني عنه اماني خوادع ويؤيسني ليان منه مطول

[Right margin: من]

[Left margin: عليهن]

أَمَا لليالي لا ترد خطوبها ففي كبدي من وقعهن فلول
يروعني من صرفها كل حادث تكاد له صم الجبال تزول
أدارى على الرغم العدى لا لريبة يصانع واش خوفها وعذول
واغدو وابا شاني علي ملبلا كأنما تجود بنفسي زفرة وغليل
واني وان اصبحت في دار غربة تحيل الليالي سلوتي وتديل
وصدتني الايام عن خير منزل عهدت به ان لا يضام نزيل
لأعلم ان الخير والشر ينتهي مداه وان الله سوف يديل
واني عزيز بابن ماساي مكثر وان هان انصار وبان خليل

فاعانني الوزير مسعود عليه حتى اذن لي في الانطلاق على شريطة العدول عن تلمسان في اي مذهب اردت فاخترت الاندلس وصرفت ولدي م واهم الى اخوالهم اولاد القايد محمد بن الحكيم بقسنطينة فاتح اربع وستين وجعلت انا طريقي على الاندلس وكان سلطانها ابو عبد الله المخلوع حين وفد على السلطان ابي سالم بفاس واقام عنده حصلت لي معه سابقة وصلة ووسيلة خدمة من جهة وزيره

وزيره

وزيره ابي عبد الله بن الخطيب وما كان بيني وبينه من الصحابة فكنت اقوم بحاجته واعمل في قضاء حاجاته في الدولة ولما اجاز باستدعاء الطاغية لاسترجاع ملكه حين فسد ما بين الطاغية وبين الرئيس المتوثب عليه بالاندلس من قرابته خلفته فيمن ترك من عياله وولده بفاس خير خلف في قضاء حاجاتهم وادرار ارزاقهم من المولين لها والاستخدام لهم ثم فسد ما بين الطاغية وبينه قبل ظفره بملكه برجوعه عما اشترط له من التجافي عن حصون المسلمين التي تملكها باجلابه ففارقه الى بلد المسلمين ونزل استجة وكتب الى عمر بن عبد الله يطلب مصرا ينزله من امصار الاندلس الغربية التي كانت وكانت بالجهاد عند ملوك المغرب لملوك المغرب في جهادهم وخاطبني انا في ذلك فكنت له نعم الوسيلة عند عمر حتى تم قصده من ذلك وتجافى له عن رندة واعمالها فنزلها وتملكها وكانت دار هجرته وركاب فتحه وملك منها الاندلس اواسط ثلاث وستين واستوحشت انا من عمر اثر ذلك كما مر
٥ وارتحلت اليه معولا على سوابقي عنده فغرب في المكافاة كما نذكر

الرحلة الى الاندلس

ولما اجمعت الرحلة الى الاندلس بعثت باهلي وولدي الى اخوالهم بقسنطينة وكتب لهم الى صاحبها السلطان ابي العباس من حفدة السلطان ابي يحيى واني مار على الاندلس واجيز اليه من هنالك وسرت الى سبتة فرضة المجاز وكبيرها يومئذ الشريف ابو العباس احمد بن ابي الشرف الحسيني ذو النسب الواضح السالم من الريبة عند كافة اهل المغرب انتقل سلفه الى سبتة من صقلية واكرمهم بنو العزفي اولا وصاهروهم ثم عظم صيتهم في البلد فنكروا لهم وغربهم يحيى العزفي اخرهم الى الجزيرة فاعترضتهم النصارى في الزقاق فاسروهم وانتدب السلطان ابو سعيد الى فديتهم رعاية لشرفهم فبعث الى النصارى في ذلك فاجابوه وفادى هذا الرجل واباه على ثلاثة الاف دينار ورجعوا الى سبتة وانقرض بنو العزفي ودولتهم وهلك والد الشريف وصار هو الى رياسة الشورى ولما كانت واقعة القيروان وخلع ابو عنان اباه واستولى على المغرب وكان بسبتة عبد الله بن علي الوزير واليا من قبل السلطان ابي الحسن فتمسك بدعوته ومال اهل البلد الى السلطان

مراكب

ابى عنان وبثّ فيهم الشريف دعوته فثاروا بالوزير واخرجوه ووفدوا على
ابى عنان وامكنوه من بلدهم وولى عليها من عظماء دولته سعيد بن موسى العجيسى
كان كافل تربيته فى صغره وافرد هذا الشريف برياسة الشورى فى سبتة
فلم يكن تقطع امرٌ دونه ويفد على السلطان بعض الايام فيلقاه من الكرامة بما لا
يشاركه فيه احد من وفود الملوك والعظماء ولم يزل على ذلك سائر ايام السلطان
وبعد وفاته وكان معظما وقور المجلس هشّ اللقاء كريم الوفادة متحليا بالعلم
والادب منتحلا للشعر غايةً فى الكرم وحسن العهد وسذاجة النفس
ولما مررت به سنة اربع وستين انزلنى بيته ازاء المسجد الجامع وبلوت
منه ما لا يقدر مثله من الملوك واركبنى الحرّاقة ليلة سفرى يباشر دحرجتها
الى الماء بيده اغرابا فى الفضل والمساهمة وحططت بجبل الفتح وهو يومئذ
لصاحب المغرب ثم خرجت منه الى غرناطة وكتبت الى السلطان ابن الاحمر
ووزيره ابن الخطيب بشانى وليلة بتّ بقرب غرناطة على بريد منها لقينى
كتاب ابن الخطيب يهنئنى بالقدوم ويؤنسنى ونصه

حللت حلول الغيث فى البلد المحل على الطائر الميمون والرحب والسهل
يمينا بمن تعنو الوجوه لوجهه من الشيخ والطفل المهدّا والكهل
لقد نشأت عندى للقياك غبطة تنسّى اغتباطى بالشبيبة والاهل

اقسمت بمن حجّت قريش لبيته وقبر صرفت ازمّة الاحياء لميته ونور ضربت
الامثال بمشكاته وزيته لو خيّرت ايها الحبيب الذى زيارته الامنية السنيّة والعارفة
الوارفة واللطيفة المطيفة بين رجع الشباب يقطر ماءً ويرف نماءً ويغازل
عيون الكواكب فضلًا عن الكواعب إشارةً وإيماءً بحيث لا الوقت يلمّ بساحته
او تقدح ذباله فى ظلمته او يقوم حواريّه فى ملّته من الاجابش وامّته
وزمانه روحٌ وراحٌ ومغدًا فى النعيم ومراحٌ وقصفٌ صراح ورُفا
وجراح وانتخابٌ واقتراح وصدور ما بها الا انشراح ومسرّاتٌ
تردفها افراحٌ وبين قدوم مك خليع الرسن ممتعا والحمد لله باليقظة والوسن
محكما فى نسك الجنيد او فتك الحسن ممتعا بظرف المعارف مالئا اكفّ الصيارف

ماحيا

ماحيا بانوار البراهين شُبَه الزخارف لما اخترت الشباب وان شاقنى زمنه
واعيانى ثمنه واجريت سحاب دمعى دمنه فالحمد لله الذى رقّى جنون اغترابى
وملكنى ازمّة آرابى وغبّطنى بمائى وترابى ومالف اترابى وقد اغصّنى بلذيذ شرابى
ووقع على سطور العتبى اضرابى وعجلت هذه مغتبطةً بمناخ المطيّة
ومنتهى الطيّة وملتقى السعود غير البطيّة وتهنّى الآمال الوثيرة الوطيّة فما شئت
من نفوس عاطشة الى ريّك متجملة بزيّك عاقلة خطى مهريّك ومولى مكارمه
نشيدة امثالك ومظانّ مثالك وسيصدق الخبر ما هنالك ويسع
فضل مجدك فى التخلف عن الاصحار لا بل اللقاء من وراء البحار والسلام
ثم اصبحت من الغد قادما على البلد وذلك ثامن ربيع الاول عام اربعة وستين
وقد اهتزّ السلطان لقدومى وركب خاصّته للقاءى تحفّيا وبرّا ومجازاةً
بالحسنى ثم دخلت عليه فقابلنى بما يناسب ذلك وخلع علىّ وانصرفت وخرج
الوزير ابن الخطيب فشيّعنى الى مكان نزلى ثم نظمنى فى عليّة اهل مجلسه واختصّنى
بالنجىّ فى خلوته والمواكبة فى ركوبه والمواكلة والمطايبة والفكاهة فى
خلوات انسه واقمت على ذلك عنده وسفرت عنه سنة خمس وستين
الى الطاغية ملك قشتالة يومئذ بطره بن الهنشة بن اذفونش
لاتمام عقد الصلح ما بينه وبين ملوك العدوة بهديّة فاخرة من ثياب الحرير
والجياد المقربات بمراكب الذهب الثقيلة فلقيت الطاغية باشبيلية
وعاينت آثار سلفى بها وعاملنى من الكرامة بما لا مزيد عليه واظهر الاغتباط
بمكانى وعلم اوّليّة سلفنا باشبيلية واثنى علىّ عنده طبيبه ابرهيم بن زرزر
اليهودى المقدم فى الطب والنجامة وكان لقينى بمجلس السلطان ابى عنان
وقد استدعاه يستطبّه وهو يومئذ بدار ابن الاحمر بالاندلس ثم نزع
بعد مهلك رضوان القائم بدولتهم الى الطاغية فاقام عنده ونظمه فى اطبائه فلما قدمت
انا عليه اثنى علىّ عنده فطلب الطاغية منى حينئذ المقام عنده وان يردّ علىّ
تراث سلفى باشبيلية وكان بيد زعماء دولته فتفاديت من ذلك بما قبله
ولم يزل على اغتباطه الى ان انصرفت عنه فزوّدنى وحملنى واختصّنى ببغلة

وهيّا لى المنزل من قصوره بقربه وما يعوزه م

القائم بدولتهم

فارهة بمركب ثقيل ولجام ذهبيين اهديتهما الى السلطان فاقطعني قرية
البيرة من اراضي الشقي بمرج غرناطة وكتب لي بها منشورا كان نصه الى
ثم حضرت ليلة المولد النبوي لخامسه قدومي وكان يحتفل في الصنيع فيها
والدعوة والانشاد الشعراء اقتداء بملوك المغرب فانشدته ليلتئذ

حي المعاهد كانت قبل تحييني بواكف الدمع يرويها ويظميني
إن الألى نزحت داري ودارهم حملوا القلب في اثارهم دوني
وقفت انشد صبرا ضاع بعدهم فيهم واسال صبرا لا يناجيني
سقت جفوني مغاني الربع بعدهم فالدمع وقف على اطلاله الجون
قد كان للقلب عن اطلال الهوى شغل لو ان قلبي الى السلوان يدعوني
أحبابنا هل لعهد الوصل مدكر منكم وهل نسمة عنكم تحييني
مالي وللطيف لا يعتاد زائره وللنسيم عليلا لا يداويني ه
يا أهل نجد وما نجد وساكنها حسنا سوى جنة الفردوس والعين
أعندكم انني ما مر ذكركم الا انثنيت كأن الراح تثنيني ه
اصبو الى البرق من انحاء ارضكم شوقا ولولاكم ما كان يصبيني
يا نازحين ولي تذكيه من خلدي حتى لاحسبه قربا يناجيني ه
اسلا هواك فؤادي عن سواك وما سواك يوما بحال عنك يسليني
ترى الليالي انستك ادكاري يا من لم تكن ذكره الايام تنسيني

ومنها في وصف الايوان الذي بناه لجلوسه بين قصوره

يا مصنعا شيدت منه السعود حمى لا يطرق الدهر مبناه بتوهين
صرح يحار لديه الطرف مفتتنا فيما يروقك من شكل وتلوين
بعد الايوان كسرى ان مشورك السامي لاعظم من تلك الاواوين
ودع دمشق ومغناها فقصرك ذا اشهى الى القلب من ابواب جيرون

ومنها في التعريض بمنصرفي من العدوة

من مبلغ عني الصحب الألى تركوا ودي وضاع حماهم اذ اضاعوني
إني أويت من العليا الى حرم كادت مغانيه بالبشرى تحييني

واي

وانني ظاعنا لم ألق بعدهم دهرا أشاكي ولا خصما يشاكيني
لا كالتي اخفرت عهدي ليالي إذ أقلب الطرف بين الخوف والهون
سقيا ورعيا لايامي التي ظفرت يداي منها بحظ غير مغبون
ارتاد منها مليا لا يماطلني وعدا وارجو كريما لا يعنيني
وهاك منها قواف طيها حكم مثل الازاهر في طي الربا حين
تلوح ان جليت درا وان تليت تثني عليك بانفاس البساتين
عانيت منها بجهدي كل شاردة لولا سعودك ما كادت تواتيني
يمانع الفكر عنها ما تقسمه من كل حزن بطي الصدر مكنون
لكن بسعدك ذلت لي شواردها فرضت منها بتحبير وتزيين
بقيت دهرك في امن وفي دعة ودام ملكك في نصر وتمكين

وانشدته سنة خمس وستين في اعذار ولده والصنيع الذي احتفل لهم فيه
ودعا اليه الجفلا من نواحي الاندلس ولم يحضرني منها الا ما اذكره

صحا الشوق لولا عبرة ونحيب وذكرى تجد الوجد حين تثوب
وقلب ابى الا الوفاء بعهده وان نزحت دار وبان حبيب
ولله مني بعد حادثة النوى فؤاد لتذكار العهود طروب
يؤرقه طيف الخيال اذا سرى وتذكي حشاه نفحة وهبوب
خليلي إلا تسعدا فدعا الأسى فاني لما يدعو الأسى لمجيب
ألما على الاطلال نقض حقوقها من الدمع فياض الشؤون سكوب
ولا تعذلاني في البكاء فانها حشاشة نفسي في الدموع تذوب

ومنها في تقدم ولده للاعذار من غير نكول

فتى تم منه الحفل لا متقاعس لخطب ولا نكس اللقاء هيوب
وراح كما راح الحسام من الوغى تروق حلاه والفرند خضيب
شواهد اهدتهن منك شمائل وخلق بصفو المجد منك مشوب

ومنها في الثناء على ولديه

هما النيران الطالعان على الهدى بآيات فتح شانهن عجيب

بِنها بان في الهيجا غماما بِ في الندى نسخ المعالي منهما وتصوب
تبدان لبسط المكرمات بما هما الى المجد فياض اليدين وهوب

وانشدته ليلة المولد الكريم من هذه السنة

ابا الطيف أن تعتاد الا توهما فمن لي بان ألقى الخيال المسلما
وقد كنت استهدبه لو كان نافعي واستمطر الاجفان لو تنقع الضما
ولكن خيال كاذب وطماعة تعلل قلبا بالاماني متيما
ابا صاحبي نجواي والحب لوعة تبيح بشكواها الضمير المكتما
خذا الفؤادي العهد من نفس الصبا وطي النقا والبان من كلم الحما
الا صنع الشوق الذي هو صانع فحبي مقيم دام الشوق او سما
واني ليدعوني السلو تعللا وتنهاني الاشجان أن انقد ما
لمن دمن اقفرن الا هوا تقاترددي في اطلالهن الترنما
عرفت بها سيما الهوى وتنكرت فحجت على آيانها متوسما
وذو الشوق يعتاد الربوع دوارسا ويعرف آثار الديار توهما
تاوبني والليل بيني وبينه وميض باطراف الثنايا تضرما
أجد لي العهد القديم كانه اشار بتذكار العهود ففهما
عجبت لمرتاع الجوانح خافق بكيت له خلف الدجى وتبسما
وبت أروّيه كؤوس مدامعي وبات يعاطيني الحديث عن الحما
وما مخنة عن رسم دار بذي الغضا لبست بها ثوب الشبيبة معلما
لعهدي بها تدني الظباء أوانسا وتطلع في آفاقها الغيد أنجما
أحن اليها حيث سار بي الهوى وأنجد رحلي في البلاد وأتهما

ولما استقر القرار واطمانت الدار وكان من السلطان الاغتباط والاستيثار وكثر الحنين الى الاهل والتذكار امر باستقدام اهلي من مطرح اغترابهم بقسنطينة فبعث عنهم من جاء بهم الى تلمسان وامر قايد الاسطول بالمرية فسار لاجازتهم في اسطوله واحتلوا بالمرية واستاذنت السلطان في تلقيهم وقدمت بهم على الحضرة بعد ان هيات لهم المنزل والبستان ودمنة الفلح

وساير

وساير ضرورات المعاش وكتب الي الوزير ابن الخطيب عند ما قاربت الحضرة سيدي قدمت بالطير الميامين على البلد الامين واستعت سالف الرفاه والبنين على طول التسنين واستضفت الرفاه الى البنين ومتعت بطول السنين وصلتني البراة المعربة عن كتب اللقا ودنو المزار وذهاب البعد وقرب الدار واستفهم سيدي عما عندي في القدوم على المخدوم والحق ان تتقدم سيدي الى الباب الكريم في الوقت الذي يجد المجلس الجمهوري لم يفض حجيجه ولا صوح بهيجه ويصل الاهل بعده الى المحل الذي هيأته السعادة لاستقرارهم واختارة اليمن قبل اختبارهم والسلام ثم لم يلبث الاعداء واهل السعايات ان خيلوا الوزير ابن الخطيب من ملابستي للسلطان واشتماله علي وحركوا له حوار الغيرة فتنكر وشممت منه رائحة الانقباض مع استبداده بالدولة وتحكمه في ساير احوالها وجاءتني كتب السلطان ابي عبد الله صاحب بجاية بانه استولى عليها في رمضان خمس وستين واستدعاني اليه فاستاذنت السلطان ابن الاحمر في القدوم عليه واخفيت عنه ما كان من ابن الخطيب ابقاء لمودته فارمض لذلك ولم يسعه الا الاسعاف فودع وزود وكتب لي مرسوم بالتشييع من املاء الوزير ابن الخطيب نصه هذا ظهير كريم تضمن تشييعا وترفيعا واكراما واعظاما وكان لعمل الصنيعة ختاما وعلى الذي احسن تماما واشاد للمعتمد به بالاغتباط الذي قساما وتوفر اقساما واعلن له بالقبول إن نوى بعد النوى رجوعا او آثر على الظعن المزمع مقاما امر به وامضى العمل بمقتضاه وحسبه الامير عبد الله محمد بن مولانا امير المسلمين ابي الحجاج ابن مولانا امير المسلمين ابي الوليد بن نصر ايد الله امره واعز نصره واعلى ذكره للولي الخليص الحظي المكين المقرب الاود الاحب الفقيه الجليل الصدر الاوحد الرئيس العلم الفاضل الكامل المرفع الاسمى الاظهر الارضى الاخلص الاصفى ابي زيد عبد الرحمن ابن الشيخ الجليل الحسيب الاصيل الفقيه المرفع المعظم الصدر الاوحد الاسمى الافضل الاكمل الموقر المبرور ابي يحيى ابي بكر ابن الشيخ الجليل الكبير الرفيع الماجد القايد الحظي المعظم الموقر المبرور المرحوم ابي عبد الله ابن خلدون وصل الله له

وقد كتبنا اليه استاذنه في القدوم وما اعتمد في احواله

يفض

راق

أجرع

اسبابَ السعادةِ وبلجَةُ من فضلِهِ اقصى الارادة أعلى بما عنده ابقاه الله
من الاعتقاد الجميل في جانبه الموقع وان كان غنيًّا عن الاعلان واعرب
عن معرفته بمقداره في الحسباء العلماء الروساء الاعيان واشاد باتصال
رضاه عن مقاصده البرّة وشيمه الحسان من لدن وفد على بابه وفادة العزّ
الراسخ البنيان واقام المقام الذي عين له رفعة المكان واجلال الشان الى ان عزم
على قصد وطنه ابلغه الله ذلك في ظل اليمن والامان وكفالة الرحمن بعد الاغتباط
المربي على الخبر بالعيان والتمسك بجواره بجهد الامكان ثم قبول عذره بما جبلت
الانفسُ عليه من الحنين الى المعاهد والاوطان بعد ان لم يدّخر عنه كرامة
رفيعة ولم يحجب عنه وجه صنيعة وولاه القيادة والسفارة واحله
جليسًا معتمدًا بالاستشارة والبسه من الحظوة والتقريب أبهى الشارة
وجعل محله من حضرته مقصودًا بالمثل معنيًّا بالاشارة ثم اصحبه تشييعًا
يشهد بالضنانة بفراقه ويجمع له برّ الوجهة من جميع آفاقه ويحله
بيده ديمة خنصر ووثيقة سامع او مبصر فمهما لوى اخدعه الى هذه
البلاد بعد قضاء وطره وتمليه من نهمة سفره او نزع به حسن العهد وحنين
الود فصدر العناية به مشروح وباب الرضا والقبول مفتوح وما
عهده من القبول والبر ممنوح فما كان القصد في مثله من امجاد الاولياء الحظوة
ليتحول ولا الاعتقاد الكريم ليتبدل ولا الاحسن من الاحوال لينسخ الاول
على هذا فليطو ضميره ويرد متى شاء نميره ومن وقف عليه من القواد والاشياخ
والخدام برًّا وبحرًا على اختلاف الخطط والرتب وتباين الاحوال والنسب
ان يعرفوا حق هذا الاعتقاد في كل ما يحتاج اليه من تشييع ونزول واعانة
وقبول واعتناء موصول الى ان يكمل الغرض ويؤدى من امثال هذا الامر
الواجب المفترض بحول الله وقوته وكتب في التاسع عشر جمادى الاولى عام
ستة وستين وسبعمائة ه وبعد التاريخ العلامة بخط السلطان ونصها
صح هذا

الرحلة من الاندلس الى بجاية وولاية الحجابة بها

على الاستبداد ه كانت بجاية ثغر افريقية في دولة بني ابي حفص من
الموحدين

الموحدين ولما صار امرهم للسلطان ابي بكر بن يحيى منهم واستقل بملك افريقية
ولّى في ثغر بجاية ابنه الامير ابا زكرياء وفي ثغر قسنطينة ابنه الامير ابا عبد الله
وكان بنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الاوسط ينازعونه في اعماله ويجمرون
العساكر على بجاية ويجلبون على قسنطينة الى ان تمسك السلطان ابو بكر بذمة من
السلطان ابي الحسن ملك المغرب الاقصى من بني مرين وله الشفوف على سائر
ملوكهم وزحف السلطان ابو الحسن الى تلمسان فاخذ بمخنقها سنتين او ازيد
وملكها عنوة وقتل سلطانها ابا تاشفين وذلك سنة سبع وثلاثين وخف ما كان
على الموحدين من اصر بني عبد الواد واستقامت دولتهم ثم هلك
ابو عبد الله محمد بن السلطان ابي يحيى بقسنطينة سنة اربعين وخلف سبعة
من الولد كبيرهم ابو زيد عبد الرحمن ثم ابو العباس احمد وولّى الامير ابا زيد
مكان ابيه في كفالة نبيل مولاهم ثم توفي الامير ابو زكرياء ببجاية سنة ه
ست واربعين وخلف ثلاثة من الولد كبيرهم ابو عبد الله محمد وبعث
السلطان ابو بكر ابنه الامير ابا حفص عليها فمال اهل بجاية الى الامير
ابي عبد الله بن ابي زكرياء واخرجوا الامير عمر واخرجوه وبادر السلطان
فرقع هذا الخرق بولاية ابي عبد الله عليهم كما طلبوه ثم توفي السلطان
ابو بكر منتصف سبع واربعين وزحف ابو الحسن الى افريقية فملكها
ونقل الامراء من بجاية وقسنطينة الى المغرب واقطع لهم هنالك الى ان
كانت حادثة القيروان وخلع السلطان ابو عنان اباه وارتحل من تلمسان
الى فاس فنقل معه هولاء الامراء اهل بجاية وقسنطينة وخلطهم بنفسه
وبالغ في تكرمتهم ثم صرفهم الى ثغورهم الامير ابا عبد الله اولا واخوته
من تلمسان وابا زيد واخوته من فاس ليستبدوا واتبعوهم وتخاذلوا
الناس عن السلطان ابي الحسن فوصلوا الى بلادهم وملكوها بعد ان كان
الفضل بن السلطان ابي بكر قد استولى عليها من يد بني مرين فانتزعوها
منه واستقر ابو عبد الله ببجاية حتى اذا هلك السلطان ابو الحسن
بجبال المصامدة وزحف ابو عنان الى تلمسان فهزم ملوكها من بني عبد الواد

وأباديهم ونزل المدينة وأطلّ على بجاية وبادر الأمير أبو عبد الله للقائه
وشكى إليه ما يلقاه من زبون الجند والعرب وقلة الجباية وخرج
له عن ثغر بجاية فملكها وأنزل عماله بها ونقل الأمير أبا عبد الله
معه إلى المغرب فلم يزل عنده في حفاية وكرامة ولما قدمت على السلطان
أبي عنان آخر خمس وخمسين واستخلصني نبضت عروق السوابق
بين سلفي وسلف الأمير أبي عبد الله واستدعاني للصحابة فأسرعت
وكان السلطان أبو عنان شديد الغيرة من مثل ذلك وكثر المنافسون
ورفعوا إلى السلطان وقد طرقه مرض أرجف له الناس فرفعوا إليه أن
الأمير أبا عبد الله اعتزم على الفرار إلى بجاية وأني عاقدته على ذلك على أن
يوليني حجابته فأسعفهم السلطان وسطا بنا واعتقلني نحوا من سنتين
إلى أن هلك وجاء السلطان أبو سالم واستولى على المغرب ووليت
كتابة سره ثم نهض إلى تلمسان وملكها من يد بني عبد الواد وأخرج
منها أبا حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن
ثم اعتزم على الرجوع إلى فاس وولى على تلمسان أبا زيان محمد بن أبي سعيد
عثمان بن السلطان أبي تاشفين وأمده بالأموال والعساكر من أهل
وطنه ليدافع أبا حمو عن تلمسان ويكون خالصة له وكان الأمير
أبو عبد الله صاحب بجاية معه كما ذكرناه والأمير أبو العباس صاحب
قسنطينة بعد أن كان بنو مرين حاصروا أخاه أبا زيد بقسنطينة
أعواما تباعا ثم خرج لبعض مذاهبه إلى بونة وترك أخاه أبا العباس بها عليها
فخلعه واستبد بالأمر دونه وخرج إلى العساكر المجمرة من بني مرين
فهزمهم وأثخن فيهم ونهض السلطان إليه من فاس سنة ثمان وخمسين
فتبرأ منه أهل البلد وأسلموه فبعثه إلى سبتة في البحر واعتقله
بها حتى إذا ملك السلطان أبو سالم سبتة عند إجازته من الأندلس
سنة ستين أطلقه من الاعتقال وصحبه إلى دار ملكه ووعده برد بلده
عليه فلما ولى أبا زيان على تلمسان أشار عليه خاصته ونصحاؤه بأن

يبعث

ببعث هؤلاء الموحدين إلى ثغورهم فبعث أبا عبد الله إلى بجاية وقد كان
ملكها عمه أبو إسحق صاحب تونس ومكفول ابن تافراكين من يد بني مرين
وبعث أبا العباس إلى قسنطينة وبها زعيم من زعماء بني مرين وكتب إليه
السلطان أبو سالم أن يفرج له عنها فملكها لوقته وسار الأمير أبو عبد الله
إلى بجاية فطال اجلابه عليها ومعاودته حصارها ولجّ أهلها في الامتناع
منه مع السلطان أبي إسحق وقد كان لي المقام المحمود في بعث هؤلاء
الأمراء إلى بلادهم وتوليت كبر ذلك مع خاصة السلطان أبي سالم
وكبار أهل مجلسه حتى تم القصد من ذلك وكتب لي الأمير أبو عبد الله
بخطه عهدا بولاية الحجابة متى حصل على سلطانه ومعنى الحجابة في دولنا
بالمغرب الاستقلال بالدولة والوساطة بين السلطان وبين أهل
دولته لا يشاركه في ذلك أحد وكان لي أخ اسمه يحيى أصغر مني
فبعثته مع الأمير أبي عبد الله حافظا للرسم ورجعت مع السلطان
إلى فاس ثم كان ما قدمته من انصرافي إلى الأندلس والمقام بها إلى أن تنكر
الوزير ابن الخطيب وأظلم الجو بيني وبينه وبينا نحن في ذلك وصل الخبر
باستيلاء الأمير أبي عبد الله على بجاية من يد عمه في رمضان خمس
وستين وكتب لي الأمير أبو عبد الله يستقدم مني فاعتزمت على ذلك ونكر
السلطان أبو عبد الله ابن الأحمر ذلك مني لا يظنه لسوى ذلك إذ لم يطلع
على ما كان بيني وبين الوزير ابن الخطيب فأمضيت العزم ووقع منه الإسعاف
والبر والألطاف وركبت البحر من ساحل المرية منتصف ست وستين
ونزلت بجاية لخامسة من الإقلاع فاحتفل السلطان صاحب بجاية
لقدومي وأركب أهل دولته للقائي وتهافت أهل البلد علي من كل أوب
يمسحون أعطافي ويقبلون يدي وكان يوما مشهودا ثم وصلت
إلى السلطان فحيا وفدى وخلع وحمل وأصبحت من الغد وقد أمر
السلطان أهل الدولة بمباكرة بابي واستقللت بحمل ملكه واستفرغت
جهدي في سياسة أموره وتدبير سلطانه ووحدت بينه وبين ابن عمه

وقدومي لحضرة بجاية [illegible]

السلطان ابي العباس صاحب قسنطينة فتنة احدثتها المشاحة في
حد ود الاعمال من الرعايا والعمال وشبت نار هذه الفتنة عرب
اوطانهم من الذواودة من رياح تشفيا لسوق التربون بما يتروون به
اموالهم وكانوا في كل سنة تجمع بعضهم لبعض فالتقوا سنة ست وستين
بفرجيوة وانقسم العرب عليهم وكان يعقوب بن علي مع السلطان ابي العباس
فانهزم السلطان ابو عبد الله ورجع الى بجاية مفلولا بعد ان كنت
جمعت له اموالا كثيرة انفق جميعها في العرب ولما رجع اعوزته النفقة
فخرجت بنفسي الى قبايل البربر بجبال بجاية الممتنعين من المغارم منذ سنين
قد خلت بلادهم واستبحت حماهم واخذت رهنهم على الطاعة حتى
استوفيت منهم الجباية وكان لنا في ذلك مدد واعانة ثم بعث صاحب
تلمسان الى السلطان يطلب منه الصهر فاسعفه بذلك ليصل يده به على ابن عمه
وزوجه ابنته ثم نهض السلطان ابو العباس سنة سبع وستين
وجاس اوطان بجاية وكاتب اهل البلد وكانوا وجلين من السلطان
ابي عبد الله بما كان يرهف لهم الحد ويشد وطأته عليهم فجاءوه
الى الانحراف عنه وخرج السلطان ابو عبد الله يروم مدافعته
ونزل جبل ليزو معتصما به فبيته السلطان ابو العباس بمكانه ذلك
باغراء ابن صخر وقبايل سدويكش وكبسه في مخيمه وركض هاربا
فلحقه وقتله وسار الى البلد بمواعدة اهلها وجاءني الخبر بذلك
وانا مقيم بقصبة السلطان وقصوره وطلب مني جماعة من اهل البلد
القيام بالامر والبيعة لبعض الصبيان من ابناء السلطان فتفاديت
من ذلك وخرجت الى السلطان ابي العباس فاكرمني وحباني وامكنته
من بلده واجرى احوالي كلها على معهودها وكثرت السعاية عنده
في والتحذير من مكاني وشعرت بذلك وطلبت الاذن في الانصراف
بعهد كان منه في ذلك فاذن لي بعد لأي وخرجت الى العرب ونزلت
على يعقوب بن علي ثم بدا للسلطان في امري وقبض على اخي واعتقله

ببونه

[illegible]

ببونة وكبس بيوتنا يظن بها ذخيرة واموالا فاخفق ظنه ثم ارتحلت
من احياء يعقوب بن علي وقصدت بسكرة لصحابة بيني وبين شيخها
احمد بن يوسف بن مزني وبين ابيه فاكرم وبر وساهم في الحادث
بماله وجاهه

مشايعة ابي حمو صاحب تلمسان

كان السلطان ابو حمو قد استحكم ما بينه وبين السلطان ابي عبد الله صاحب
بجاية بالصهر في ابنته وكانت عنده بتلمسان فلما بلغه مقتل ابيها واستيلاء
السلطان ابي العباس ابن عمه صاحب قسنطينة على بجاية اظهر الامتعاض
لذلك وكان اهل بجاية قد توجسوا الخيفة من سلطانهم بارهاف حده
وشدة سطوته فانحرفوا عنه باطنا وكاتبوا ابن عمه بقسنطينة كما ذكرناه
ودسوا للسلطان ابي حمو بمثلها يرجون الخلاص من صاحبهم باحدهما
فلما استولى السلطان ابو العباس وقتل ابن عمه راوا ان جرحهم قد اندمل
فاعصوصبوا عليه واظهر السلطان ابو حمو الامتعاض للواقعة تبرؤا منه
حسوا في ارتغاء وجعله ذريعة للاستيلاء على بجاية بما كان يرى نفسه كفؤها
بعدده وعدده وما سلف من قومه في حصارها فسار من تلمسان يجر الشوك
والمدر حتى خيم بالرشة من ساحتها ومعه احياء زغبة بجموعهم
وظعائنهم من لدن تلمسان الى بلاد حصين من بني عامر وبني يعقوب وسويد
والديالم والعطاف وحصين وبنو واتجر ابو العباس بالبلد في شرذمة
من الجند اعجله السلطان ابو حمو عن استيعاب الحشد ودافع اهل البلد
احسن الدفاع وبعث السلطان ابو العباس عن ابي زيان ابن السلطان
ابي سعيد عم ابي حمو من قسنطينة كان معتقلا بها وامر مولاه وقايد
عسكره بشيرا ان يخرج معه في العساكر وسار واحتى نزلوا بني عبد الجبار
قبالة معسكر ابي حمو وكان رجالات زغبة قد وجموا من السلطان وابلغهم
النذير بانه ان ملك بجاية اعتقلهم بها فراسلوا ابا زيان وركبوا اليه واعتقدوا
معه وخرج رجل البلد بعض الايام من اعلى الحصن ودفعوا شرذمة كانت
مجمرة ازاءهم فاقتلعوا اخبيتهم وانهزموا واسهلوا من تلك العقبة الى البسيط

[illegible]

الوشية وعاينهم العرب باقصى مكانهم من المعسكر فاجفلوا وتتابع الناس في الاجفال
حتى افردوا السلطان في مخيمه فحمل رواحله وسار وكظت الطرق بزحامهم
وتراكموا بعض على بعض فهلك منهم عوالم واخذهم سكان الجبال من البربر بالنهب من
كل ناحية وقد غشيهم الليل فتركوا ازودتهم ورحالهم وخلص السلطان ومن
خلص منهم بعد عصب الريق واصبحوا على منجاة وقد فت بهم الطرق من كل ناحية
الى تلمسان وكان السلطان ابو حمو قد بلغه خبر خروجي من بجاية وما احدثه
السلطان بعدي في اخي واهلي ومخلفي فكتب الي يستقدمني قبل هذه الواقعة وكانت
الامور قد اشتبهت فتفاديت بالاعذار واقمت باحياء يعقوب بن علي ثم
ارتحلت الى بسكرة فاقمت بها عند اميرها احمد بن يوسف بن مزني فلما وصل
السلطان ابو حمو الى تلمسان وقد جزع للواقعة اخذ في استيلاف
قبائل رياح ليجلب بهم علي مع عساكره على اوطان بجاية وخاطبني في ذلك لقرب عهدي
باستتباعهم وملك زمامهم ورأى ان يعول علي في ذلك واسند الي الحجابة وعلامته
وكتب بخطه مدرجة في الكتاب نصها الحمد لله على ما انعم والشكر لله
على ما وهب ليعلم الفقيه المكرم ابو زيد عبد الرحمن بن خلدون
حفظه الله على انك تصل الى مقامنا الكريم لما خصصناكم به من الرتبة المنيعة
والمنزلة الرفيعة وهو قلم خلافتنا والانتظام في سلك اوليائنا اعلمناكم
بذلك وكتب بخط عبد الله المتوكل على الله موسى بن يوسف
لطف الله به وخار له وبعده بخط الكاتب ما نصه بتاريخ السابع عشر
من شهر رجب الفرد الذي من عام تسعة وستين وسبعمائة عرف الله
خيره وفي الكتاب الذي هذه مدرجته بعد الصدر واستيفاء القول في
الغرض ما نصه فاعملوا على الوصول الى بابنا العلي اسماه الله ونص الكتاب
الذي هذه مدرجته وهو بخط الكاتب اكرمكم الله يا فقيه ابا زيد
ووالى رعايتكم انا قد ثبت عندنا وصح لدينا ما انطويتم عليه من المحبة في
مقامنا والانقطاع الى جنابنا والتشيع قديما وحديثا لنا مع ما نعلمه من
محاسن اشتملت عليها اوصافكم ومعارف فقتم فيها نظراءكم ورسوخ قدم

في الفنون العلمية والاداب العربية وكانت خطة الحجابة ببابنا
العلي اسماه الله اكبر درجات امثالكم وارفع الخطط لنظرائكم قربا منا واختصاصا
بمقامنا واطلاعا على خفايا اسرارنا اثرناكم بها ايثارا وقدمناكم لها اصطفاء
واختيارا فاعملوا على الوصول الى بابنا العلي اسماه الله لما لكم فيه من التنويه
والقدر النبيه حاجبا لعلي بابنا ومستودعا لاسرارنا وصاحب الكريمة علامتنا
الى ما يتبع كل ذلك من الانعام العميم والخير الجسيم والاعتناء والتكريم لا يشارككم
مشارك في ذلك ولا يزاحمكم احد وان وجد من امثالكم فاعلموه وعولوا
عليه والله تعالى يتولاكم ويصل سراءكم ويوالي احتفاءكم والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته ٥ وتادت الي هذه الكتب السلطانية على يد سفير
من وزرائه جاء الى اشياخ الدواودة في هذا الغرض فقمت له في ذلك احسن
مقام وحملتهم على اجابة داعي السلطان والبدار الى خدمته واعرف
كبرا وسم عن خدمة السلطان ابي العباس الى خدمته والاعتمال في مذاهبه
واستقام غرضه من ذلك وكان اخي يحيى قد خلص من اعتقاله ببونة وقدم علي ببسكرة
فبعثته الى السلطان ابي حمو كالنائب عني في الوظيفة متفاديا عن تجشم
اهوالها بما كنت نزعت عن غواية الرتب وطال علي اغفال العلم فاعرضت عن
الخوض في احوال الملوك وبعثت الهمة على المطالعة والتدريس فوصل اليه الاخ
فاستكفى به في ذلك ودفعه اليه ووصلني مع هذه الكتب السلطانية كتاب
رسالة من الوزير ابي عبد الله ابن الخطيب من غرناطة يتشوق الي وتادى الى تلمسان
على يد سفراء السلطان ابن الاحمر فبعث الي به من هنالك ونصه

بنفسي وما نفسي علي بهينة ... فينزلني عنها المكاس باثمان
حبيب نأى عني وصم لأنتي ... وراش سهام البين عمدا فاصماني
وقد كان هم الشيب لا كان كافيا ... فقد آدني لما ترحل همان
شرعت له من دمع عيني موردا ... فكدر شربي بالفراق واظماني
وارعيته من حسن عهدي جميمة ... فاجدب آمالي واوحش ازماني
حلفت على ما عنده لي من رضى ... فيا ساءما عندي فاحنث ايماني

جميمة

وانى على ما نالنى منه من قلى لاشتاق من لقياه نغبة ظمئان
سالت حبونى فيه تقرب عرشه فقست بحر الشوق حر سليمان
اذا ما دعا داع من القوم باسمه وثبت وما استثبتت شيمه هجان
وبالله ما اصغيت فيه لعاذل تحاميته حتى ارعوى ونحا مانى
ولا استشعرت نفسى برحمة عائد تظلل يوما مثله عبد رحمان
ولا شعرت من قبله بتشوق تخلل يوما مثله عبد رحمان

اما الشوق فحدث عن البحر ولا حرج • واما الصبر فسل به ايه درج بعد ان تجاوز اللوى والمنعرج • لكن الشدة تعشق الفرج • والمومن يتنشق من روح الله الارج • واتى بالصبر على ابر الدبر لا بل الضرب الهبر • ومطاولة اليوم والشهر • تحت حكم القهر • ومن للعين ان تسلو سلو المقصر • عن انسانها المبصر • او ندهل ذهول الزاهد • عن سرها الرائى والمشاهد • وفى الجسد بضعة يصلح اذا صلحت فكيف حاله ان رحلت عنه وان نزحت • واذا كان الفراق هو الحمام الاول فعلى من المعول • اعنت مراوضة الفراق • على الراق • وكادت لوعة الاشتياق • ان تفضى الى السياق •

تركتمونى بعد تشييعكم اوسع امر الصبر عصيانا
اقرع سنى ندما تارة واستميح الدمع احيانا

وربما تعللت بغشيان المعاهد الخاليه • وجددت رسوم الاسى بمباكرة الرسوم الباليه • اسال نون النوى عن اهليه • ومن الموقد المهجور عن مصطليه • وثاء الاثافى المثلثه عن منازل الموحدين • واجاري تلك الاطلال حيرة الملحدين • لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين كلف لعمر الله بسال عن جونى المورقه • وناء عن همومى المجتمعه المتفرقه • طعن عن ملال ولا مبرما منا بشر خلال • وكدر الوصل بعد صفايه • وضرج النصل بعد عهد وفايه •

اقل اشتياقا ايها القلب انما رايتك تصفى الود من كان صافيا

منها سر روح وحيمان

تعللت

ليس جاريا

فما انا ابكى عليه بدم اساله • واندب فى ربع الفراق اشكله • واشكو اليه حال قلب صدعه • واودعه من الوجد ما اودعه لما خدعه ثم قلاه وودعه • واشق رتاه انف ارتياح فجدعه • واستعديه على ظلم ابتدعه •

خليلى فيا عشتما هل رايتما قتيلا بكى من حب قاتله قبلى

فلولا اجابتى محله لا بل شفاعة المحل الذى حله لتشرف الوبة العتب وبثثت كتايبها كمناء فى شعاب الكتب تهز من الالفاظ رماحا خزر الاسنه وتوتر من الهونات امثال القسى المرنه وتفوق من مجموع الطرس والنقس بلقا تردى فى الاعنه ولكنه اوى الى الحرم الامين وتفيا ظلال الجوار المومن من معرة الغوار عن الشمال واليمين حرم الجلال المرتبه والظلال اليزنيه • والهمم السنيه • والشيم التى لا ترضى بالدون ولا بالدنيه حيث الرفد الممنوح • والطير الميامن يزجرها السنوح • والمثوى الذى اليه مهما تقارع الكرام على الضيفان حول جوانب الجفان هو المجنوح نسب كان عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا ومن حل بتلك المثابة فقد اطمان جنبه • وتغمد بالعفو ذنبه •

ولله در القايل

فوحقه لقد انتدبت لوصفه بالبخل لولا ان حمصا داره
بلد متى اذكره تهيج لوعتى واذا قدحت الزند طار شراره

اللهم غفرا وابن قرارة النحل من مثوى الا قلف البخل • ومكمن البخيل • واين ثانية هجر من منبوا من الحد وفجر

من انكر غيثا منشوه فى الارض يتبوا مخلفها
فبنان بنى مزنى مزن تهمل بلطف مصرفها
مزن مدحل بسكره يوما نطف بمصحفها
شكرت حتى بجبارتنا ومعناها وبازخرفها
ضحكت بابى العباس من الايام تنا بازخرفها

جوابى

وتنكرت الدنيا حتى عرفت منه بمعروفها

بل نقول يا محل الولد لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد لقد حل بينك عرى الجلد وخلد الشوق بعدك يا ابن خلدون في التصميم من الخلد محيا الله زمنا شفيت في قربك زمانته واجتليت في صدف مجدك جمانته وقضيت في مرعى خلقك لبانته

واهلا بروض اظلت اشتات معارفك بانته وحمامه بعدك تندب فتباعدها الجدب ونواسه نوف فتتغاشى وعشيانه تحافت وتتلاشى واذ ولحة في ارتباك وحمامه في مأتم ذي اشتباك كان لم تكن قمرها لات قابه ولم يكن اليك شارع بابه الى صفوة الظرف ولبابه ولم يسبح انسان عينك في ماء شبابه فلهفا عليك من درة اختلستها يد النوى ومطل بردها الدهر ولوى ونعق الغراب ببينها في ربوع الهوى ونطق بالزجر فما نطق عن الهوى وباي شيء يعتاض منك ايتها الرياض بعد ان طما نهرك الفياض وفهقت الحياض ولا كان الشانئ المشنوء والجرب المهنوء من قطع ليل اغار على الصبح فاحتمل وشارك في الذم الناقة والجمل واستاثر جنحه ببدر النادي لما كمل تسنم السراع فراع وواصل الاسراع فكانما هو تمساح النيل ضايق الاحباب في البرهه واختطف لهم من الشط نزهة العين وعين النزهة ولحج بها والعيون تنظر والغمر عن الاتباع يحظر فلم يقدر الا على الاسف والتماح الاثر المنتسف انما نشكو الى الله البث والحزن ونستمطر من المزن وبسيف الرجاء نصول

اذا شرعت للبابس اسنة ونصول ما اقدر الله ان يدني على شحط من داره الحزن ممن داره صول

فان كان كلم الفراق رغيبا لما نوبت مغيبا وجللت الوقت الهنيء تشغيبا فلعل الملتقى يكون قريبا وحديثه يروى صحيحا غريبا ايه سيدي كيف حال تلك الشمايل

ايتها

المزهرة الخمايل والنسيم الهامية الديم هل من بالها من راعت بالبعد باله واخمدت بعاصف البين ذباله او ترى لشئون تنابها سكب لا يفتر وشوق يبث حبال الشوق ويبتر وضنى تقصر عن حلله الفايقة صنعاء وتستر والامر اعظم والله يستر وما الذي يضيرك صين من لفح السموم نضيرك بعد ان اضرمت واشعلت واوقدت وحملت وفعلت فعلتك التي فعلت ان تترفق بذماء او تترد بتعتبه ماء ارماق ظماء وتتعاهد المعاهد بتحية يتنم عليها اشر انفاسك او تنظر الينا على البعد بمقلة حورا من بياض قرطاسك وسواد انقاسك فربما قنعت الانفس المحبة بخيال زور وتعللت بنوال منزور ورضيت لما لم تصد الصقر بزرزور

يا من ترحل والرياح لاجله تشتاق ان هبت شذا رياها
تحيى النفوس اذا بعثت تحية واذا عزمت اقرا ومن احياها

ولئن احسبتها فيما سلف نفوسا تفديك والله الى الخير يهديك فنحن نقول معشر موديك شئ ولا يجعلها بيضة الديك وعذرا فاني لم اجترئ على خطابك بالفقر الفقيرة واذللت لدي حرائك بروقع الحقيره عن نشاط بعث من موسه ولا اغتباط بالادب تغرى بسياسته سوسه وانبساط اوحى الى على الفترة ناموسه وانما هو انفاق جرته نفثة المصدور وهناء الجرب المجدور وان تعلل به محارق فثم قياس فارق او لحن غنى به بعيد البعد مخارق والذي هيا هذا القدر وسببه وسهل المكروه الى صنه وحببه ما اقتضاه الصنوبحي مد الله حيابه وحرس من الحوادث ذاته من خطاب ارتشف به لهذه القرحه القريحه بلالتها بعد ان رضي علالتها ورشح الى الصهر الحضرمي سلالتها فلم يسع الا اسعافه بما اعافه فاملت مجيبا مالا يعد في يوم الاملال نجيبا واشعته وجيبا لما سا جلت بهذه النزهات سحرا عجيبا حتى اذا الف القلم العربان سبحه وجمح بر ذون الغرابه فلم اطق كبحه لم افق من غمرة غلوه وموقف متلوه الا وقد تحيز الى فئتك معتذرا بل معترا

الزهار

واستقبلها ضاحكا مغتنما • وهشّ لها برا وان كان من الخجل مصفرا • ولسن باول
من هجر • في التماس الوصل ممن هجر • او لعث النمر الى هجر • واي نسب بني اليوم
وبين زخرف الكلام • واجالة جياد الاقلام • في مجاوزة الاعلام • بعد ان
حال الجريض • دون القريض • وشغل المريض عن التعريض • وعلت خي الكسل •
ونصلت الشعرات البيض كانها الاسل • تروع برقط الحيات
سرب الحياة • ونطرق بذوات الغرر والشيات • عند البيات • والشيب
الموت العاجل • واذا ابيض زرع صبحته المناجل • والمعتبر الاجل واذا
اشتغل الشيخ بغير معاده • حكم في الظاهر بابعاده • واسرفي ملكة عاده
فاغض ابقاك الله واسمح • لمن قصر عن المطمح • وبالعين الكليلة فالمح
واغتنم لباس ثوب الثواب • واشف بعض الجوى بالجواب •
تولاك الله فيما استضفت وملكت ولا بعدت ولا هلكت وكان لك
اينما سلكت ووسمك من السعادة باوضح السمات واتاح لقاءك من قبل
الممات والسلام الكريم يعتمد جلال ولدي وساكن خلدي بل اخي وان اتقيت
عتبه وسيدي ورحمة الله وبركاته من محبه المشتاق اليه محمد بن عبد الله
ابن الخطيب في الرابع عشر من شهر ربيع الثاني من عام سبعين وسبعمائة
وكان تقدم منه قبل هذه الرسالة كتاب اخر الى بعث به الى تلمسان فتاخر وصوله
حتى بعث به الاخ يحيى عند وفادته على السلطان ونص الكتاب
يا سيدي اجلالا واعتدادا واخي ودا واعتقادا ومحل ولدي شفقة سكنت
مني فؤادا طال علي انقطاع انبائك واختفاء اخبارك فرجوت ان تبلغ اليه
هذا المكتوب اليك ويخترق به الموانع دونك وان كنت في مبائتك
كالعاطش الذي لا يروى والاكل الذي لا يشبع شان من تجاوز الحدود الطبيعية
والعوايد المالوفة فاما الان بعد انهاء التحية المطلولة الروض بماء الدموع
وتقرير الشوق الملازم وشكوى البعاد الاليم وسؤال اتاحة
القرب قبل الفوت من الله ميسر العسير ومقرب البعيد اسال عن احوالك
سؤال من لا يجد الناس مجالا في مجال الخلوص لك واشدهم حرصا على اتصال

سعادتك

سعادتك وقد اتصل بي في هذه الايام ما جرى به القدر من تويع الحال الذي
استقر ادراك ببسكرة محل الغبطة بك بالمجال الى الملك الرياسة الزكية الكريمة الاب
الشهيرة الفضل المعروفة القدر على البعد حرسها الله ملجا للفضلاء ومخيما
لرحال العلياء ومنبا لطيب الثناء بحوله وقوته وما كان وقت نتائج السلامة
فاحمدوا الله على الخلاص وقاربوا في معاملة الامال وضنوا بتلك الذات
الفاضلة عن المشاق واخلوا بها على المتالف فمطلوب الحريص على الدنيا
خسيس والموانع الحافة جمة والحاصل حسرة وباقل السعي تحصل حالة
العافية والعاقل لا يستنجح الاستغراق فيما اخره الموت انما ينال منه
الضروري ومثلك لا يحجر مع التماس العافية اضعاف ما يزجى به العمر من الماكل
والمشرب وحسبنا الله وان تشوفت لحال المحب تلك السيادة الفذة
والبنوة البرة فالحال الحال من جعل الزمام بيد القدر والسير في مهيع الغفلة
والتشبه في تيار الشواغل ومن وراء الامور غيب محجوب واجل مكتوب
يؤمل فيه عادة الستر من الله الا ان النجر الذي تعلمونه خفضه الياس لما تحزبت
للحيلة واعوز المناص وسدت المذاهب والشان اليوم شان الناس فيما يقرب
من الاعتدال وفيما يرجع الى السلطان تولاه الله على اضعاف ما بالشر سدى
من الاغياء في البر ووصل سبب الالتحام والاشتمال مع الاستقلال وما ينجه
متعود الظهور والحمد لله وفيما يرجع الى الاحباب والاولاد فعلى ما علمت
الا ان الشوق مخامر القلوب وتصور اللقاء بما يزهد في الوطن وحاضر النعم
سنى الله ذلك على افضل حال وتيسره قبل الارتحال عن دار المحال وفيما يرجع الى الوطن
فاحلام النائم خصبا وهدنة وظهورا على العدو وحسبك بافتتاح حصن
اشر وبرغة القاطعة بين بلاد الاسلام وبلدة والغاربين وبيغة
وحصن السهلة في عام ثم دخول بلده اطربرة بنت اشبيلية عنوة والاستيلاء
على ما ينيف على خمسة الاف من السبي ثم فتح دار الملك ولدة قرطبة مدينة جيان
عنوة في اليوم الاغر المحجل وقتل المقاتلة وسبي الذرية وتعفية الاثار حتى لا يلم بها
العمران ثم افتتاح مدينة ابدة التي تلت جيان في علاتها دار التجر

والرفاهيه والنبى الحافله والنعم الثره نسال الله جل وعلا ان يصل عوايد
نصره ولا يقطع عنا سبب رحمته وان ينفع بما اعان عليه من السعى فى ذلك
والاعانة عليه ولم يتزيد من الحوادث الا ما علمتم من اخذ الله للنسمة السوء
وخبث الارض المسلوب من اثر الخير عمر بن عبد الله وتحكم شر الميته فى نفسه ذاتيه
واتيان النكال على حاشيته والاستيصال على نفسه والاضطراب مستول على الوطن
بعده الان الحرب على علاته لا يرجحه غيره والاندلس اليوم شيخ غزاتها الامير
عبد الرحمن بن على بن السلطان ابى على بعد وفاه الشيخ ابى الحسن على بن بدر الدين
رحمه الله وقد استقر بها بعد انصراف سيدى الامير المذكور والوزير مسعود
ابن رحو وعمر بن عثمان بن سليمن والسلطن ملك النصرى بطره قد عاد
الى ملكه باشبيليه واخوه مجلب عليه بقشتاله وقرطبة مخالفه عليه قايمة
بطايفه من كبار النصارى الخايفين على انفسهم داعين لاخيه والمسلمون قد اغتنموا
هبوب هذه الريح وخرق الله لهم عوايد فى باب الظهور والخير لم تكن
تخطر فى الامال وقد تلقب السلطان ايده الله بعقب هذه المكيفات بالغنى بالله
وصدرت عنه مخاطبات بجمل الفتوح وفصلها يعظم الحرص على اتصالها الى ملك
الفضايل لو امكن واما ما يرجع الى ما يتشوف لليه ذلك الكمال من شغل الوقت
فصدرت تقاييد وتصانيف يقال فيها بعد ما اعملته تلك السيادة من الانصراف
يا ابرهيم ولا ابرهيم اليوم منها ان كتابا رفع الى السلطان فى المحبة
من تصنيف ابن ابى حجله من المشارقه اشار الاصحاب بمعارضته فعارضته وجاء
الموضوع اشرف وهو محبة الله لجاء كتابا ادعى الاصحاب غرابته وقد
وجه الى المشرق صحبه كتاب تاريخ غرناطه وغيره من تاليفى وتعرف
تحبيسه بخانقاه سعيد السعداء من مصر وانثال الناس عليه وهو فى لطافة
الاغراض يتكلف اغراض المشارقه من ملحه ٥
سلمت لمصر فى الهوى من بلدة يهديه هواؤه لدى استنشاقه
من ينكر دعواى فقل عنى له تكفى امراة العزيز من عشاقه
والله يرزق الاعانه فى انتساخه وتوجيهه وصدر عنى جزء سميته الغيرة
٤

على اهل الحيره وجزء سميته حمل الجمهور على السنن المشهور والاكباب
على اختصار كتاب التاج للجوهرى وردّه الى مقدار الخمس مع حفظ ترتيبه
السهل والله المعين على مشغلة يقطع بها هذه البرهة القريبة البداية من
التتمه ولا حول ولا قوة الا بالله والمطلوب المتابعة على تعريف يصل من تلك
السيادة والشوق اذا بعد وجود قافل من حج او لاحق بتلمسان يبعثها السيد
الشريف منها فالنفس شديدة التعطش والقلوب قد بلغت من الشوق
والاستطلاع الحناجر والله اسال ان يصون فى البعد ويحيى منك لديه ويلبسك
العافيه ويخلصك واياى من الورطه ويحملنا اجمعين على الجادة ويختم لنا بالسعاده
والسلام الكريم عودا على بدء ورحمة الله وبركاته من المحب المشوق الذاكر
الداعى ابن الخطيب فى الثانى من جمادى الاول من عام تسعة وستين وسبعمايه
انتهى فاحتبسه عن هذه المخاطبات ونفاذ من السجع خشية العصور
عن مساجلته فلم يكن شاوه يلحق ونص الجواب ٥
سيدى مجدا وعلوا وواحدى ذخرا مرجوا ومحل والدى برا وحنوا مازال
الشوق مذ نات بى وبك الدار واستحكم بيننا البعاد يرعى سمعى انباءك
ويخيل الى من ايدى الرياح تناول رسايلك حتى ورد كتابك العزيز على استطلاع
وعهد غير مضاع وود ذى اجناس وانواع فنشر بقلبى ميت السلو وحشر
انواع المسرات وقدح للفايك زناد الامل ومن الله اسال الامتاع بك قبل الفوت
على ما يرضيك ويسنى امانى واماتيك ويحييه تحيه الهايم لمواقع الغمايم والمدلج
للصباح المتبلج واملى على مقترح الاوليا حصوصا فيك من اطميناك الحال
وحسن القرار وذهاب الهواجس وسكون النفرة وعموما فى البلد وله
من رسوخ القدم وهبوب ريح النصر والظهور على عدو الله باسترجاع
الحصون التى استنقذوها فى اعتلال الدوله وتخريب المعاقل التى هى قواعد
النصرانيه غريبة لا تثبت الا فى الحلم وايه من ايات الله وان خبيته هذا الفتح
فى طى العصور السالفه الى هذه المدة الكريمه لدليل على عناية الله بتلك الذات
الشريفه حين ظهرت على يدها خوارق العاده وما تجدد اخر الايام من معجزات

الملة ولكم فيها والحمد لله حسن التدبير ويمن النقيبة من حميد الاثر وخالد
الذكر طراز في حلة الخلافة الضربة وتاج في مفرق الوزارة كتبها الله لكم فيما
يرضاه من عباده ووقفت عليه الاشراف من اهل هذا القطر المحروس واذعته
في الملا سرورا بعز الاسلام واظهارا للنعمة والله واستطرادا الذكر الدولة المولوية
بما تستحقه من طيب الثناء والتماس الدعاء والحديث بنعمها والاشادة
بفضلها على الدول السالفة والخالفة وتقدمها فانشرحت الصدور رحبا
وامتلأت القلوب اجلالا وتعظيما وحسنت الاثار اعتقادا ودعاء وكان
كتاب سيدي لشرف تلك الدولة عنوانا ولما عساه يستنجح من لعنى في مناقبها
ترجمانا زاده الله من فضله وامتع المسلمين ببقائه وبثه شكوى الغريب من
الشوق المزعج والحيرة التي تكاد تذهب بالنفس اسفا للتجافي عن مهاد الامر والتقويض
عن دار العز بين المولى المنعم والسيد الكريم والبلد الكثير الطيب والاخوان
البررة ولو كنت اعلم الغيب لا ستكثرت من الخير وان تشوفت السيادة
الكريمة الى الحال فعلى ما علمتم سير امع الامل ومغالبة للايام على الحظ واقطاعا
للغفلة جانب العمر هل نافعي والجد في صبب تمري مع الامال في صعد
رجع الله بنا اليه ولعل في عظتكم النافعة شفاء هذا الداء العياء ان شاء الله
على ان لطف الله مصاحب وجوار هذه الرياسة المرينية وحسبك بها عصمة
عصمة وافية صرفت وجه القصد الى ذخيرتي التي كنت اعتد منها كما علمتم على
حين تفاقم الخطب وتلون الدهر والاشفاق من مظان النكبة وافتد رتعت
حولها بعد ما جرته الحادثة بمهلك السلطان المرحوم على يد ابن عمه قريعه
في الملك وشبيهه في النسب والتياث الجاه وتغير السلطان واعتقال الاخ المخلف
واليأس منه لولا تلطيف الله في نجاته والعيث بعده في المنزل والولد واعتصاد
الضياع المقتناة من بقايا ما متعت به الدولة الضربية ابقاها الله من النعم
فآوى الى الوكر وساهم في الحادث واشرك في الجاه والمال واعان على نوائب
الدهر وطلب الوتر حتى راى الدهر مكاني واملت الملوك استخلاصي وتجاروا
في اتحافي والله المخلص من عقال الامال والمرشد الى نبذ هذه الحظوظ المورطة

واباني

وابانى سيدي بما صدر عنه من التصانيف الغريبة والرسائل البليغة في هذه
الفتوحات الجليلة ويودي لو وقع الاتحاف بها او ببعضها فلقد عادني الندم على ما
فرطت واما اخبار هذا القطر فلا زيادة على ما علمتم من استقرار السلطان ابي اسحق
ابن السلطان ابي يحيى بتونس مستبدا بامره بالحضرة بعد مهلك شيخ الموحدين
ابي محمد بن تافراكين القائم بامره رحمة الله عليه مضايقا في جباية الوطن واحتكامه
بالعرب المستظهرين بدعوته مصانعا لهم بوفره على امان الرعايا والسابلة لو امكن حسن
السياسة جهد الوقت ومن انتظام بجاية بمحل د ولتنا في امر صاحب قسنطينة وبونة
والضرب على ايدي المتغلبين من الاعراب منتقض الطاعة اكثرا وفاته لذلك الاما شمل
البلاد من تغلب العرب ونقص الارض من الاطراف والوسط وخمود ذبال الدول
في كل جهة وكل بداية فالى تمام واما اخبار المغرب الاقصى والادنى
فلديكم طلعه واما المشرق فاخبر الحاج في هذه السنة من اختلاله واستقاص
سلطانه من احتكامه له واستقاص سلطانه وانتزاء الجفاة على كرسيه وفساد
المصانع والسقايات المعدة لوفد الله وحاج بيته ما يسخن العين ويطيل البث
حتى لزعموا ان الصبغة اتصلت بالقاهرة اياما وكثر الهرج في ازقتها واسواقها
لما وقع بين سند من المتغلب بعد يلبغا الخاسكي وبين سلطانه ظاهر القلعة
من الجولة التي كانت دائرتها عليه اجلت عن زهاء الخمسمائة قتلى من حاشيته ومواليه
يلبغا ونقض على الباقين فاودع منهم السجون وصلب الكثير وقتل سند من
في محبسه والقى زمام الدولة بيد كبير من موالي السلطان فقام بها مستبدا وقادها
مستقلا وبيد الله تصاريف الامور ومظاهر الغيوب جل وعلا ورغبتي من
سيدي ابقاه الله ان لا يغب خطابه عني متى امكن يصل بذلك منه الحمة وان
يقبل عني اقدام تلك الذات المولوية ويعرفه بما عندي من التشيع لسلطانه والشكر
لنعمته وان يهوا عني لحاشيته واهل اختصاصه التحية المختلسة من انفاس الرياض
كبيرهم وصغيرهم وقد تادى مني الى حضرته الكريمة خطاب على يد الحاج نافع سلمه
الله تناوله من الاخ يحيى عند لقائه اياه بتلمسان بحضرة السلطان ابي حمو ايده الله فربما
يصل وسيدي يوضح من ثنائي ودعائي ما عجز عنه الكتاب والله يبقيكم ذخرا

علا ... علتهم حملا الدولة ... / وفرق تسلبت فوق كعوب ... / من الاستبداد

للمسلمين وملاذا للآملين بفضله والسلام الكريم وعلى من لاذ بكم من السادة الاولاد (عليكم)
المناجيب والاهل والحاشية والاصحاب من المحبة فيكم المعتد بكم شيعة فضلكم
ابن خلدون ورحمة الله وبركاته عنوانه سيدي وعمادي ورب
الصنايع والايادي والفضايل الكريمة الخواتم والمبادي امام الايمة علم الايمة
تاج الملة فخر العلماء الجلة عماد الاسلام مصطفى الملوك الكرام نكتة الدول
كافل الامامة تاج الدول اثر الله ولي امر المسلمين الغني بالله ايده الله ٥
الوزير ابو عبد الله بن الخطيب ابقاه الله وتولى عن المسلمين جزاه ٥
وكتب لي من غرناطة يا سيدي وولي واخي ومحل ولدي كان الله لكم حيث
كنتم ولا اعدمكم لطفه وعنايته لو كان مستقركم بحيث يتأتى لي اليه ترديد
رسول وايفاد منتطلع او توجيه نايب لرجعت على نفسي باللايمة في اغفال حقكم
ولكن العذر ما علمتم واحمد الله على الاستقرار في كهف ذلك الفاضل الذي وسعكم
كنفه وشملكم فضله شكر الله حسبه الذي لم يتخلف وشهرته التي لم تكذب
واني اغتنمت سفر هذا الشيخ وافد الحرمين مجموع الفتوح في ايصال كتابي
هذا ونودي لو وقفتم على ما لديه من البضاعة التي ابتز رئيسها وصدرها
فيكون لكم في ذلك بعض انس وربما تادى ذلك في بعضه مما لم تختم عليه وظاهر
الامور تحيل عليه في تعريفكم بها وأما البواطن فمما لا يتأتى كتبه وصيانة وأخص
بالصاد ما اظن تشوفكم اليه حالي فاعلموا اني قد بلغ بي الماء الزبى واستولى علي
سوء المزاج المنحرف وتوالت الامراض واعوز العلاج لبقاء السبب
والعجز عن دفعه وهي هذه المداخلة جعل الله العاقبة فيها الى خير ولم اترك وجها
من وجوه الحيلة الا بذلته فما اغنى ذلك عني شيا ولولا اني بعدكم شغلت الفكر بهذه
التآليف مع الزهد وبعد العهد وعدم الالماع بمطالعة الكتب لم ينمش حالي من
طريق فساد الفكر الى هذا الحد وآخر ما صدر عني كناش سميته باستنزال اللطف
الموجود في اسر الوجود امليته في هذه الايام التي اقيم بها رسم النيابة عن
السلطان في سفره الى الجهاد بودي لو وقفتم عليه وعلى كتابي في المحبة وعسى
الله ان ييسر ذلك ومع هذا كله والله ما قصرت في الحرص على ايصال مكتوب اليكم

اما

اما من جهة اخيكم او من جهة السيد الشريف ابي عبد الله حتى من المغرب
اذا سمعت الركب يتوجه منه فلا ادري هل بلغكم شيء من ذلك ام لا والاحوال
كلها على ما تركتموها عليه واحبابكم بخير على ما علمتم من التشوف والتشوق
والارتماض لمفارقتكم ولا حول ولا قوة الا بالله والله يحفظكم ويكون لكم ويتولى
اموركم والسلام عليكم ورحمة الله من المحب ابي الحسن الشيخ ابن الخطيب
في عشر ربيع الثاني من عام احد وسبعين وسبع مية وبباطنه مدرجة نصها
سيدي رضي الله عنكم استقر بتلمسان في سبيل تقلب ومطاوعة مزاج تعرفونه
صاحبنا المقدم في الطب ابو عبد الله الشقوري فان اتصل بكم فاعينوه على
ما يقف عليه اختياره وهذا الايجاح معه الى مثلكم عنوانه
سيدي ومحل اخي الفقيه الجليل الصدر الكبير المعظم الرئيس الحاجب العالم
الفاضل الوزير ابن خلدون وصل الله سعده وحرس مجده بمنه ٥
وانما طولت بذكر هذه المخاطبات وان كانت فيما يظهر خارجة عن غرض الكتاب لان
فيها كثيرا من اخباري وشرح حالي فيستوفي ذلك منها من يتشوف اليه من المطالعين
للكتاب ٥ ثم ان السلطان ابا حمو لم يزل معتملا في الاجلاب على بجاية واستيلاف
قبايل رياح لذلك ومعولا على مشايعتي فيه ووصل يده مع ذلك بالسلطان ابي اسحق
ابن السلطان ابي بكر صاحب تونس من بني ابي حفص لما كان بينه وبين ابي العباس
صاحب بجاية وقسنطينة وهو ابن اخيه من العداوة التي تقتضيها مقاسمة النسب
والملك وكان يوفد رسله عليه في كل وقت وبين ونحي وانا ببسكرة فاوكد الوصلة
بمخاطبة كل منهم وكان ابو زيان ابن عم السلطان ابي حمو بعد اجفاله عن بجاية
واختلال معسكره قد سار في اثره الى تلمسان واجلب على نواحيها فلم يظفر بشيء وعاد الى
بلاد حصين فقام بينهم واشتملوا عليه ~~والعصب~~ ونجم النفاق في ساير اعمال
المغرب الاوسط ولم يزل السلطان ابو حمو يستالفهم حتى اجتمع له الكثير منهم
فخرج في عساكره مستصف سنة و شتين الى حصين والى ديان واعتصموا بجبل
تيطري وبعث الي في استنفار الذواودة للاخذ بحجزتهم من جهة الصحراء
وكتب يستدعي اشياخهم يعقوب بن علي كبير اولاد محمد وعثمان بن يوسف

صنعه

واختلف اجازعه على السلط...
وانتبذ الكدر عنه الى القع...

كبيرًا واولاد سباع ابن يحيى وكتب الى ابن مزني قعيد وطنهم بامداديم في ذلك فامدّهم
وسرنا مغربين الى ان نزلنا القطفا قبلة تيطري وقد احاط السلطان
به من جانب التلّ على انه اذا فرغ من شانهم سار معنا الى بجايه وبلغ الخبر الى صاحب
بجايه ابي العباس فاستالف من بقي من قبايل رياح وعسكر بطرف ثنية القصاب
المفضيه الى المسيله وبينما نحن على ذلك لجتمع المخالفون من زغبه وهم خالد بن عامر
كبير بني عامر واولاد عريف كبراء سويد ونهضوا الينا بمكاننا من القطفا فاجفلت
احياء الدواوده وتاخرنا الى المسيله ثم الى الزاب وسارت زغبة الى تيطري
واجتمعوا مع ابي زيان وحصين وهجموا على معسكر السلطان ابي حمو ففلوه ورجع
منهزما الى تلمسان ولم يزل من بعد ذلك على استيلاف زغبه ورياح يؤمل الظفر
بوطنه وابن عمه والكرّه على بجايه عاما فعاما وانا على حالي في مشايعته وايلاف
ما بينه وبين الدواوده والسلطان ابي اسحق صاحب تونس وابنه خالد من بعده
ثم دخلت زغبه في طاعته واجتمعوا على خدمته ونهض من تلمسان لشفاء نفسه
من حصين وبجايه وذلك في اخريات احدى وسبعين فوفدت عليه بطائفة من
الدواوده اولاد يوسف بن سليمان لتشارف احواله وتطالعه بما رسم لهم في
خدمته فلقيناه بالبطحا وضرب لنا موعدا بالجزاير انصرف به العرب الى اهليهم
وتخلفت بعدهم لقضاء بعض الاغراض واللحاق بهم وصليت به عيد الفطر على البطحا
وخطبت به وانشدته عند انصرافه من المصلى اهنيه بالعيد واحرضه

هذي الديار فحيّهن صباحا وقف المطايا بينهن طلاحا
لا تسأل الاطلال ان لم تروها عبرات عينك واكفًا ممتاحا
فلقد اخذن على جفونك موثقًا ان لا يرين مع البعاد شحاحا
ايه عن الحيّ الجميع وربما طرب الفواد لذكرهم فارتاحا
ومنازل للظاعنين استعجمت حزنا وكانت بالسرور فصاحا

وهي طويلة ولم يبق في حفظي منها الا هذا وبينما نحن في ذلك بلغ الخبر بان السلطان
عبد العزيز قد استولى على جبل عامر بن محمد الهنتاتي بمراكش وكان اخذا
بمخنقه وساقه الى فاس فقتله بالعذاب وانه عازم على النهوض الى تلمسان لما

صاحب المغرب الاقصى

سلف من السلطان ابي حمو اثناء حصار السلطان عبد العزيز لعامر في جبله من الاجلاب
على ثغور المغرب ولحين وصول هذا الخبر اضرب السلطان ابو حمو عن ذلك الشان
الذي كان فيه وكر راجعا الى تلمسان واخذ في اسباب الخروج الى الصحراء مع شيعه
بني عامر من احياء زغبة فاستالف وجمع وشد الرحال وطلبت منه الاذن في
الانصراف الى الاندلس لتعذر الوجهه الى بلاد رياح وقد اظلم الجو بالفتنه
وانقطعت السبل فاذن لي وحملني رسالة فيما بينه وبين السلطان ابن الاحمر
وانصرفت الى المرسى بهنين وجاءه الخبر بنزول صاحب المغرب تازا في عساكره
فاجفل بعدي من تلمسان ذاهبا الى الصحراء على طريق البطحاء وتعذر علي ركوب البحر
من هنين فاقمت ونادى الخبر الى السلطان عبد العزيز باني مقيم بهنين وان معي
وديعه احملها الى صاحب الاندلس تخيّل ذلك بعض الغواة فكتب به الى السلطان
عبد العزيز فانفذ من وقته سرية تعترضني لاسترجاع تلك الوديعة واستمر
هو الى تلمسان ووافتني السرية بهنين وكشفوا الخبر فلم يقفوا على صحته وحملوني
الى السلطان فلقيته قريبا من تلمسان واستكشفني عن ذلك الخبر فاعلمته بيقينه
وعنفني على مفارقة دارهم فاعتذرت له بما كان من عمر بن عبد الله المستبد عليهم
وشهد لي كبير مجلسه ووليّ ابيه وابن وليه ونزمار بن عريف ووزيره
عمر بن مسعود بن منديل بن حمامه واحسن الالطاف وسالني في ذلك
المجلس عن امر بجايه وافهمني انه يروم تملكها فهوّنت عليه السبيل الى ذلك فسُرّ به
واقمت تلك الليله في الاعتقال ثم اطلقني من الغد فعمدت الى رباط الشيخ الولي
ابي مدين ونزلت بجواره معتزما على التخلي والانقطاع لو تُركت له

مشايعه السلطان عبد العزيز صاحب المغرب على بني عبد الواد

ولما دخل السلطان عبد العزيز تلمسان
واستولى عليها وبلغه خبر ابي حمو وهو بالبطحا فاجفل من هنالك وخرج
في قومه وشيعته من بني عامر ذاهبا الى بلاد رياح فسرّح السلطان وزيره ابا بكر
ابن غازي في العساكر لاتباعه وجمع عليه احياء زغبه والمعقل باستيلاف
وليه ونزمار وتدبيره ثم اعمل نظره ورأيه في ان تقدمني امامه الى بلاد رياح

لأوطد أمره واحملهم على مناصرته وشفاء نفسه من عدوه بما كان السلطان
آنس مني من استتباع رياح ونصرتهم فيما اريده من مذاهب الطاعة فاستدعاني
من خلوتي بالعباد عند رباط الولي ابي مدين وانا قد عكفت اخذت في تدريس العلم
واعتزمت على الانقطاع فآنسني وقربني ودعاني الى ما ذهب اليه من ذلك فلم يسعني الا
اجابته وخلع علي وحملني وكتب لي الى شيوخ الذواودة بامتثال لما امره القيه
اليهم من اوامره وكتب الى يعقوب بن علي وابن مزني بمساعدتي على ذلك وان يحاولوا على
استخلاص ابي حمو من بين احياء بني عامر ويحولوه الى حي يعقوب بن علي فودعته
وانصرفت في عاشوراء سنة سبعين فلحقت الوزير في عساكره واحياء العرب من المعقل
وزغبة على البطحاء ولقيته ودفعت اليه كتاب السلطان وتقدمت امامه وشيعني
ونزمار بو ميد واوصاني باخيه محمد وقد كان ابو حمو قبض عليه عندما احس منهم بالخلاف
وانهم يرومون الرحلة الى المغرب واخرجه معه من تلمسان مقيدا واحتمله في معسكره
فاكد علي ونزمار بو ميد في المحاولة على استخلاصه بما امكن وبعث معي ابن اخيه عيسى
في جماعة من سويد يبذرقوني ويتقدم الى احياء حصين باخراج ابي زيان من بينهم
فسرنا جميعا وانتهينا الى احياء حصين واخبرهم فرج بن عيسى بوصية عمه ونزمار
اليهم فبذلوا لابي زيان عهده وبعثوا معه منهم من اوصله الى بلاد رياح ونزل على
اولاد يحيى بن علي بن سباع وتوغلوا به في القفر واستمريت انا ذاهبا الى بلاد
رياح فلما انتهيت الى المسيلة الفيت السلطان ابا حمو واحياء رياح معسكرين
قريبا منها في وطن اولاد سباع ابن يحيى من الذواودة وقد سابقوا اليه وبذل فيهم
العطاء ليجمعوا اليه فلما سمعوا بمكاني بالمسيلة جاؤوا الي فحملتهم على طاعة
السلطان عبد العزيز واوفدت اعيانهم وشيوخهم على الوزير ابي بكر بن غازي
فلقوه ببلاد الديالم عند نهر واصل فاتوه طاعتهم ودعوه الى دخول بلادهم
في اتباع عدوه ونهض معهم وتقدمت انا من المسيلة الى بسكرة فلقيت بها يعقوب
ابن علي واتفق هو وابن مزني على طاعة السلطان وبعث ابنه محمدا للقاء ابي حمو
وامير بني عامر خالد بن عامر يدعوهم الى نزول وطنه والبعد به عن بلاد السلطان
عبد العزيز فوجده منتبذا من المسيلة الى الصحرا ولقيه على الدوسن وبات ليلته
نوص

نوص عليهم التحول من وطن اولاد سباع الى وطنهم بالدوسن في الزاب واصبح يومه
كذلك فما راعهم اخر النهار الا انتشار العجاج خارجا اليهم من افواه الثنية ولبثوا
يستشرفون واذا بهوادي الخيل طالعة من الثنية وعساكر بني مرين والمعقل
وزغبة متتابعة امام الوزير ابي بكر بن غازي قد دل بهم الطريق وفد اولاد سباع
الذين بعثتهم من المسيلة فلما اشرفوا على المخيم اغاروا عليه مع غروب الشمس
فاجفل بنو عامر وانتهب مخيم السلطان ابي حمو ورحائله وامواله ونجا بنفسه ولحق
تحت الليل وتمزق شمل ولده وحرمه حتى خلصوا اليه بعد ايام واجتمعوا بقصور
مصاب من بلاد الصحراء وامتلات ايدي العساكر والعرب من نهابهم
واقام الوزير ابو بكر بن غازي على الدوسن اياما اراح فيها وبعث اليه ابن مزني
بطاعته وارغد له من الزاد والعلوفة وارتحل راجعا الى المغرب وتخلفت بعده اياما
عند اهلي ببسكرة ثم ارتحلت الى السلطان في وفد عظيم من الذواودة يقدمهم
ابو دينار اخو يعقوب بن علي وجماعة من اعيانهم فسابقنا الوزير
الى تلمسان وقدمنا على السلطان فوسعنا من حبائه وتكرمته ونزله ما بعد
العهد بمثله ثم احتفال ثم جاء من بعدنا الوزير ابو بكر بن غازي على الصحراء بعد ان
مر بقصور بني عامر هنالك فخربها وكان يوم قدومه على السلطان يوما مشهودا
واذن بعدها لوفود الذواودة بالانصراف الى بلادهم وقد كان ينتظر بهم قدوم
الوزير ووليه ونزمار بن عريف فودعوه وبالغ في الاحسان اليهم وانصرفوا الى
بلادهم ثم اعمل نظره في اخراج ابي زيان من بين احياء الذواودة لما خشي من رجوعه
الى حصين فوامرني في ذلك واطلقني اليهم في محاولة انصرافه عنهم فانطلقت
لذلك وكان احياء حصين قد توجسوا الخيفة من السلطان وتنكروا له وانصرفوا
الى اهلهم بعد مرجعهم من غزاتهم مع الوزير وبادروا باستدعاء ابي زيان
من مكانه عند اولاد يحيى بن علي وانزلوه بينهم واشتملوا عليه وعادوا الى الخلاف
الذي كانوا عليه ايام ابي حمو واستعمل المغرب الاوسط نارا ونجم صبي من
بيت الملك في مغراوة وهو حمزة بن علي بن راشد فاستولى على شلف
وبلاد قومه وبعث السلطان وزيره عمر بن مسعود في العساكر لمنازلته واعيا

وانطلق محمد بن عريف ... اطلقه ابو حمو ... ونزمار ... الى الوزير ... بجبل ...

قد مر معسكر الوزير ابن غازي ايام مقامه على ...

داود وانقطعت انا ببسكرة وحال ذلك ما بيني وبين السلطان الا بالكتاب والرسالة
وبلغني في تلك الايام وانا ببسكرة مفر الوزير ابن الخطيب من الاندلس وقدومه على
السلطان بتلمسان لتوجس الخيفة من سلطانه بما كان له من الاستبداد عليه
وكثرة السعاية من البطانة فيه فاعمل الرحلة الى الثغور الغربية لمطالعتها باذن
سلطانه فلما حاذى جبل الفتح فرضة المجاز دخل الى الجبل وبيده عهد السلطان
عبد العزيز الى القائد هنالك بقبوله واجاز البحر من حينه الى سبتة وسار الى
السلطان بتلمسان وقدم عليه بها في يوم مشهود وتلقاه السلطان من الحظوة
والتقريب وادرار النعم بما لا يعهد مثله وكتب الي من تلمسان يعرفني بخبره ويلم ببعض
العتاب على ما بلغه من حديثي الاول بالاندلس ولم يحضرني الان كتابه وكان جوابي عنه
ما نصه الحمد لله ولا قوة الا بالله ولا راد لما قضاه الله يا سيدي ونعم
الذخر الابدي والعروة الوثقى التي اعتلقتها يدي اسلم عليكم سلام القدوم
على المخدوم والخضوع للملك المتبوع لا بل احييكم تحية المشوق للمعشوق والمدلج
للصباح المنبلج واقرر ما انتم اعلم بصحيح عقدي فيه من حبي لكم ومعرفتي بمقداركم
وذهابي الى ابعد الغايات في تعظيمكم والثناء عليكم والاشادة في الافاق بمناقبكم
ديدنا معروفا وسجية راسخة يعلم الله وكفى به شهيدا وهذا كافي علمكم قسما
ما اختلف فيه اول واخر ولا شاهد ولا غائب وانتم اعلم بما في نفسي واكبر
شهادة في خفايا ضميري ولو كنت ذاك فقد سلف من حقوقكم وجميل اخذكم
واجتلاب الحظ لو هيأه القدر بمساعيكم وايثاري بالمكان من سلطانكم ودولتكم
ما يستلين معاطف القلوب ويستل سخائم الهواجس فانا احاشيكم من استشعار
نبوة او اخفاق ظن ولو تعلق بقلب ساق حر ذرة فحاش لله ان يقدح في
الخلوص لكم او يرجح سوابقكم انما هو خبيئة الفؤاد الى الحشر او اللقاء
والله وجميع ما يقسم به ما اطلع على مستكنه مني غير صديقي وصديقكم
الملابس كان لي ولكم الحكيم الفاضل العلم ابي عبد الله الشقوري اعزه الله
نفثة مصدور ومباثة خلوص اذ انا اعلم الناس بمكانه منكم وقد علم ما كان
مني حين مفارقة صاحب تلمسان واضمحلال امره من اجماع الامر على الرحلة
اليكم

اليكم والخفوف الى حاضرة البحر للاجازة الى عدوتكم تعرضت فيها للتهم ووقفت
بمجال الظنون حتى تورطت في المهلكة بما ارتفع عني مما لم ءاته ولا طويت العقد عليه
لولا حلم مولانا الخليفة وحسن رأيه في وثبات بصيرته لكنت في الهالكين
الاولين كل ذلك سوقا الى لقائكم وتمثلا لانسكم فلا تظنوا بي الظنون ولا تصدقوا
في التوهمات فانا من علمتم صداقة وسذاجة وخلوصا واتفاق ظاهر
وباطن اثبت الناس عهدا واحفظهم غيبا واعرفهم بوزان الاخوان ومزايا
الفضلاء ولامر ما تأخر كتابي من تلمسان فاني كنت استشعر ممن استوصى في
ريبا بخطاب سواه خصوصا جهتكم لقديم ما بين الدولتين من الاتحاد
والمظاهرة واتصال اليد مع ان الرسول تردد الي واعلمني اهتمامكم واهتمام ب م ما ابهم
السلطان تولاه الله باستكشاف ما ابهم من حالي فلم اترك شيئا مما علمت
تشوفكم اليه الا وكشفت له قناعه واكن منته على بلاغه ولم ازل بعد انتياش
مولانا الخليفة لذمائي وجذبه بضبعي ساخا في تيار الشواغل كما علمتم القاطعة
حتى عن الفكر وسقطت الى محل مخدمي من هذه القاصية اخبار خلوصكم
الى المغرب قبل وصول راحلي الى الحضرة عن جليه ولا مليته ولم يعين ملتقى العصى
ولا مستقر النوى فارجيت الخطاب الى استجلائها وافدت مركبا بكم العزيز
على الجاري على سنن الفضل ومذهب المجد غريب ما كيفه القدر من تنويع الحال
لديكم وعجبت من تاني امكم الشارد فيه كما كنا نستبعده عند المفارضة
فحمدنا الله لكم على الخلاص من ورطة الدول على احسن الوجوه واجمل المخارج
الحميدة العواقب في الدنيا والدين الغابطة بحسن المآل في المخلف من اهل
وولد ومتاع واثر بعد ان ضمن جموح الايام وتوقلتم قلل العز وقدتم
الدنيا بحذافيرها واخذتم بآفاق السما على اهلها وهنيئا فقد نالت
نفسكم التواقة ابعد امانيها ثم تاقت الى ما عند الله واشهد لما الهمتم للاعراض
عن الدنيا ونزع اليد من حطامها عند الاصحاب والاقبال وبسى الامال
الا جذبا وعناية من الله وحبا واذا اراد الله امرا يسر اسبابه واتصل
ما كان من حظي المنابة المولوية بكم واهتز الدولة لقدومكم ومثل تلك الخلافة

وتسنا توم

ايدها الله من شاير على المفاخر ويتاثر بالاخاير ولبث ذلك عند افالكم على الحظ
واشكم باجتلاء الامال حتى تحسن المتاع بكم ويجمل السرير الملوكى بمكانكم فالظن
ان هذا الباعث الذى هزم الامال ونبذ الخطوط وهون المفارق العزيز
سيومكم القرار الى الله حتى ياخذ بيدكم الى فضا المجاهده ويستوى بكم على جودى
الرياضه والله يهدى للتى هى اقوم وكان بالاقدام نقلت والبصاير بالهمام
الحق صقلت وللمقامات خلفت بعد ان استقبلت والعرفان شيمت
انواره وبوارقه والوصول انكشفت حقايقه لما ارتفعت عوايقه واما حالى
والظن بكم الاهتمام بها والبحث عنها فغير خفيه بالباب المولوى اعلاه الله
ومظهرها فى طاعته ومصدرها عن امره وتصاريفها فى خدمته والزعم
انى قمت المقام المحمود فى التشيع والاجياش واستماله الكافة الى المناصحة
ومخالصة القلوب للولايه وما يتشوف فيه مجدكم ويتطلع اليه فضلكم واهتمامكم
من خاصها فى النفس والولد فجهينة خبره موكى كتابى اليكم ناشيء نادبى وتمم
تربيتى فتهلوا له الاذن والبنوا له جانب التجوى حتى يودى ما عندى وما عندكم
وحذوه باعقاب الاحاديث ان يقف عند مباديها وامتنوا على ما تحدثون
فليس بطبين على السر ونتشوف لما يرجع به اليكم سيدى وصديقى وصديقكم
المعرب فى المجد والفضل المساهم فى السداد كبير المغرب وظهير الدوله ابو يحيى
ابن ابى مدين كان الله له فى شان الولد والمخلف تشوف الصديق لكم الضنين
على الايام تقلامه الظفر من ذاتيديكم فاطلعونى طلع ذلك ولا يهمكم فالفراق
الواقع حسن والسلطان كبير والاثر جميل والعدو والساعى قليل وحقير
والنيه صالحه والعمل خالص ومن كان لله كان الله له واستطلاع الرياسه المرتبه
الكافله كافاه الله يدها البيضاء عنى وعنكم الى مثله من احوالكم استطلاع
من يتبرح وزانكم ويتشكر الزمان على ولاده مثلكم وقد قررت لعلو همه
من منا قبكم وبعد شاوكم وغريب محاكم ما شهدت به اثاركم الشايعة الخالدة
فى الرسايل المتاديه وعلى الستة الصادر والوارد من الكافه من حمل الدوله
واستقامه السياسة ووقفته على سلامكم وهو يراجعكم بالتحيه ويساهمكم

بالدعا

بالدعا وسلامى على سيدى وفلذه كبدى ومحل ولدى الفقيه الزكى الصدر ابى الحسن نجلكم
اعزه الله وقد وقع منى موقع البشرى حلوله من الدوله بالمكان العزيز والرتبه
النابهه والله يلحفكم جميعا رداء العافيه والستر ويمهد لكم محل الغبطه والامن
ويحط عليكم ما اسبغ من نعمته ويجريكم على عوايد لطفه وعنايته والسلام
الكريم يخصكم من المحب الشاكر الداعى الشايق شيعه فضلكم عبد الرحمن بن خلدون
ورحمه الله وبركاته فى يوم الفطر عام اثنين وسبعين وسبع مايه وكان
بعث الى مع كتابه نسخه كتابه الى سلطانه ابن الاحمر صاحب الاندلس
عند ما دخل جبل الفتح وصار الى ايالة بنى مرين ونص الكتاب مخاطبه من هنالك
بهذا الكتاب ورايت ان اثبته هنا وان لم يكن من غرض التاليف لغرابته ونهايته فى الجوده
وان مثله لا يهمل من مثل هذا الكتاب مع ما فيه من زياده الاطلاع على اخبار الدول
فى نفاصيل احوالها ونص الكتاب

بانوا فمن كان باكيا يبكى هذى ركاب السرى بلا شك
فمن ظهور الركاب معمله الى بطون الربى الى الفلك
تصدع الشمل مثلما انحدرت الى صبوب جواهر السلك
من النوى قبل لم ازل حذرا هذى النوى جل مالك الملك

مولاى كان الله لكم وتولى امركم اسلم عليكم سلام الوداع وادعو الله فى تيسير
اللقا والاجتماع من بعد التفرق والانصداع واقرر لديكم ان الانسان اسير
الاقدار مسلوب الاختيار متقلب فى حكم الخواطر والافكار وان لابد لكل
اول من اخر وان التفرق لما لازم كل انس بموت او فى حياه ولم يكن منه بد كان
خير انواعه الموافقه بين الاحباب ما وقع على الوجوه الجميله البريه من الشرور
ويعلم مولاى حال عبده منذ وصل اليكم من المغرب بولدكم ومقامه لديكم كحال
قلق وقلعه لولا تعليلكم ووعدكم وارتقاب اللطايف فى تقليب قلبكم
وقطع مراحل الايام حريصا على استكمال سنكم ونهوض ولدكم واصطلاعكم
بامركم وتمكن هدنته وطنكم وما تحمل فى ذلك من ترك غرضه لغرضكم وما استقر
بيده من عهودكم وان العبد الان لما تسبب لكم فى الهدنة من بعد الظهور والعز

ونجح السعي وتاتى لسنين كثيرة الصلح ومن بعد أن لم يبق لكم بالاندلس مشغب من
القرابة وتحرك لمطالعة الثغور الغربية وقرب من فرضة المجاز واتصال
الارض ببلاد المشرق طرقته الافكار وزعزعت صبره رياح الخواطر وتذكر
انصراف العمر على التمام وعواقب الاستغراق وسيرة الفضلاء عند شمول
البياض فغلبته حال شديدة هزمت التعشق بالشمل الجميع والوطن المليح
والجاه الكبير والسلطان القليل النظير وعمل بمقتضى قوله موتوا قبل ان تموتوا
فان صحب هذه الحال المرجو من امداد الله تنقلت الاقدام الى الامام وقوي التعلق
بعروة الله الوثقى وان وقع العجز وانتقض العزم فالله يعاملنا بلطفه وهذا
المرتكب مرام صعب لكن سهله علي امور منها ان الانصراف لما لم يكن منه بد
لم يتعين على غير هذه الصورة اذ كان عندكم من باب المحال ومنها ان مولاي
لو سمح لي في غرض الانصراف لم تكن لي قدرة على موقف وداعه لا والله ولكان الموت
اسبق الي ولكفى بهذه الوسيلة الحسنة التي تعرفها وسيلة ومنها
حرصي على ان يظهر صدق دعواي فيما كنت اهتف به واظن اني لا اصدق ومنها
اغتنام المفارقة في زمن الامان والهدنة الطويلة والاستغناء اذ كان الانصراف
المفروض وربما قبح في غير هذه الحال ومنها وهو اقوى الاعداد
انني مهما لم اطق تمام هذا الامر او ضاق ذرعي به لعجز او مرض او خوف
طريق او نفاد زاد او شوق غالب رجعت رجوع الاب الشفيق الى الولد
البر الرضي اذ لم اخلف وراءي مانعا من الرجوع من قول قبيح ولا فعل
بل خلفت الوسائل المرعية والاثار الخالدة والسير الجميلة وانصرفت
بقصد شريف فقت به اشياخي وكبار وطني واهل طوري وتركتكم
على اتم ما ارضاه مثنيا عليكم داعيا لكم وان فسح الله في الامد وقضى الحاجة
فاملي العودة الى ولدي وتربتي وان قطع الاجل فارجو ان اكون ممن وقع اجره
على الله فان كان نظري صوابا وجاريا على السداد فلا يلام من اصاب وان
كان عن حمق وفساد عقل فلا يلام من اختل عقله وفسد مزاجه بل يعذر
ويشفق عليه ويرحم وان لم يعط مولاي امري حقه من العذل وجلبت

الذنوب وحشرت تعدي العيوب فحياؤه وتناصفه ينكر ذلك ويستحضر
الحسنات من التربية والتعليم وخدمة السلف وتخليد الاثار وتسمية الولد
وتلقيب السلطان والارشاد للاعمال الصالحة والمداخلة والملابسة لم يتخلل
ذلك قط خيانة في مال ولا سر ولا غش في تدبير ولا تعلق به عار ولا كدرة نقص
ولا حمل عليه خوف منكم ولا طمع فيما بيدكم فان لم تكن هذه دواعي الرعي
والوصلة والابقاء ففيم تكون من بني ادم وانا قد رحلت فلا اوصيكم بمال
فهو عندي اهون متروك ولا بولد فهم رجالكم وخدام مكم وممن يحرص مثلكم على
الاستكثار منهم ولا بعيال فهي من مربيات بيتكم وخواص داركم انما اوصيكم بحظي
العزيز كان علي بوطنكم وهو انتم فانا اوصيكم بكم فارعوني فيكم خاصة اوصيكم
بتقوى الله والعمل لغد وقبض عنان اللهو في وطن الجد والحياء من الله الذي محص
واقال واعاد النعمة بعد زوالها لينظر كيف تعملون واطلب منكم عوض
ما وفرته عليكم من زاد طريق ومكافاة واعانة زادا سهلا عليكم وهو ان تقولوا
لي غفر الله لك ما ضيعت من حقي خطا او عمدا واذا فعلتم ذلك فقد رضيت واعلموا
ايضا على جهة النصيحة ان ابن الخطيب مشهور في كل قطر وعند كل ملك واعتقاده
وبره والسؤال عنه وذكره بالجميل والاذن في زيارته تجارة منكم وسعة
ذرع ودهاء فاما كان ابن الخطيب بوطنكم سحابة رحمة نزلت ثم اقشعت
وتركت الازاهر تفوح والمحاسن تلوح ومثاله معكم مثال المرضعة ارضعت
السياسة والتدبير الميمون ثم رقدتكم في مهد الصلح والامان وغطتكم
بقناع العافية وانصرفت الى الحمام تغسل اللبن والوضر وتعود فان وجدت
الرضيع نايما فحسن او قد انتبه فلم يتركه الا وجد الفطام وختم لكم هذه الغرارة
بالحلف الاكيد اني ما تركت لكم وجه نصيحة في دين ولا في دنيا الا وفيتها لكم ولا
فارقتكم الا عن عجز ومن ظن خلاف هذا فقد ظلمني وظلمكم والله يرشدكم
ويتولى امركم ونقول حاطكم في ركوب البحر انتهى نسخة الكتاب
وفي طيها هذه الابيات

صاب مزن الدموع من جفن صبك عندما استروح الصبا من مهبك

كيف يسلو يا جنى عنك قلب كان قبل الوجود حقا يحبك
ثم قل كيف كان بعد انتشاء الروح من انسك الشهى وقربك
لم يدع بيتك المنيع حماه لسواه الا الى بيت ربك
أو لعدى الرضا فما جبت بدعا ذم والفضل والرضى من دابك
واذا ما ادعيت كره بالفقدى ان كرهى ووحشتى من كربك
ولدى فى دراك وكونى فى دوحك الخذى ونونى فى تربك
يا زمانا أغرى الفراق بشملى لبثنى اهبنى اخذت لحربك
ادركتنى صرو فك الصعب حتى حبت بالبين وهو اصعب صعبك

وكتب اخر النسخه حاطبنى هذا ما تيسر والله ولى الخيره لى ولكم من هذا الحياط الذى لا نسبه بينه وبين اولى الكمال ردنا الله اليه واخلص توكلنا عليه وصرف الرغبة الى ما لديه ٥ وفى طى النسخه مدرجه نصها رضى الله عن سيادتكم اوتشكم بما صدر منى اثناء هذا الواقع مما استحضره الولد فى الوقت وهو يسلم عليكم بما يحب لكم وقد حصل من حظوة هذا المقام الكريم على حظ وافر واجزل احسانه وتوه بجرايته وابن الوسان خلفه والحمد لله انتهى ٥

ثم اتصل مقامى ببسكره والمغرب الاوسط مضطرب بالفتنه المانعه من الاتصال بالسلطان عبد العزيز وحمزة بن على بن راشد ببلاد مغراوة والوزير عمر ابن مسعود فى العساكر حاصره بحصن تاجحموميت وابو زيان العبد الوادى ببلاد حصين وهم مشتملون عليه وقائمون بدعوته ثم سخط السلطان وزيره عمر بن مسعود ونكر منه تقصيره فى امر حمزة واصحابه فاستدعاه الى تلمسان وقبض عليه وبعث به الى فاس معتقلا فحبس هناك وجهز العساكر مع الوزير ابى بكر بن غازى فنهض اليه وحاصره ففر من الحصن ولحق بمليانه مجتازا عليها فانذر به عاملها فقبض عليه وسيق الى الوزير فى جماعه من اصحابه فضرب اعناقهم وصلبهم عظة ومزدجرا لاهل الفتنه ثم اوعز السلطان الى الوزير بالمسير الى حصين والى زيان فسار فى العساكر واستنفر احياء العرب من زغبة فاوعبهم ونهض الى حصين فامتنعوا بالجبل بتيطرى وكاتب السلطان

الوزير لعساكره ومعه من ... زغبة على الجبل بتيطرى ... من جهة ... فحاصرهم

اشياخ

اشياخ الدواوده من رياح بالمسير الى حصار تيطرى من جهة القبله وكانت احمد بن مزنى صاحب بسكره بامدادهم باعطياتهم وكتب الى بالمسير لهم لذلك فاجتمعوا على وسرت بهم اول سنه اربع وسبعين حتى نزلنا بالقطفه ووفدت فى جماعه منهم على الوزير بمكانه من حصار تيطرى فجدد لهم حدود الخدمه وشارطهم على الجزاء ورجعنا الى احيائهم بالقطفه فاشتدوا فى حصار الجبل والجؤهم سواهم وظهرهم الى قنته فهلك لهم الخف والحافر وضاق ذرعهم بالحصار من كل جانب وراسل بعضهم فى الطاعه خفيه فارتاب بعضهم من بعض فانفضوا الليلا من الجبل وابو زيان معهم ذاهبين الى الصحراء واستولى الوزير على الجبل بما فيه من مخلفهم ولما بلغوا ما منهم من القفر سدوا الى ابى زيان عهده فلحق بحال غمرة ووفد اعيانهم على السلطان عبد العزيز بتلمسان وفاؤوا الى طاعته فقبل فيئتهم واعادهم الى اوطانهم وبعد مرالى الوزير عن امر السلطان بالمسير مع اولاد يحيى بن على بن سباع للقبض على ابى زيان فى جبل غمره وفاء بحق الطاعه لان غمرة من رعاياهم فمضينا لذلك فلم نجده عندهم واخبرونا انه ارتحل عنهم الى بلد واركلا من مدن الصحراء فنزل على صاحبها ابى بكر بن سليمان فانصرفنا من هنالك ومضى اولاد يحيى بن على الى احيائهم ورجعت انا الى اهلى ببسكره وخاطبت السلطان بما وقع فى ذلك واقمت منتظرا اوامره حتى جاءنى استدعاؤه الى حضرته فارتحلت اليه فصل وكان هذا الوزير ابن الخطيب آيه من ايات الله فى النظم والنثر والمعارف والادب لا يساجل مداه ولا يهتدى فيها بمثل هداه فمما كتب عن سلطانه الى سلطان تونس جوابا عن كتاب وصل اليه مصحوبا بهديه من الخيل والرقيق مراجعهم عنه بما نصه الى اخره الخلافه التى ارتفع فى عقائد فضلها الاصيل القواعد الخلاف واستقلت مبانى فخرها الشائع وعزها الذائع على ما اسسته الاسلاف ووجب لحقها الجازم وفرضها اللازم الاعتراف ووسعت الامل لها الجوانب الرحيبه والاكناف فامتزجت بعلائها المنيف وولائها الشريف كما امتزج الماء والسلاف وشاونا على مجدها الكريم وفضلها العميم كما ارجت الرياض الاوراف لما زارها الغمام الوكاف ودعونا بطول بقائها واتصال علائها سموه الى قرع ابواب السموات العلا الاستشراف وحرصنا على توفيه حقوقها العظيمه وفواضلها العميمه لا يحصرها الحدود ولا تدركه الاوصاف وان عذر فى التقصير عن نيل ذلك المرام الكبير الحق والانصاف خلافه وجهة تعظيمنا اذا توجهت الوجوه ومن نوثر اذا اهمنا ما نرجوه ونفديه ونبديه اذا استمنح المحبوب واستدفع

المكرم، السلطان الكذا ابي اسحق ابن السلطان الكذا ابي يحيى ابي بكر ابن السلطان
الكذا ابي زكريا ابن السلطان الكذا ابي اسحق ابن الامير الكذا ابي زكريا ابن الشيخ الكذا ابي محمد
عبد الواحد ابن ابي حفص ابقاه الله ومقامه مقام ابراهيم رزقا وامانا لا يحصر حلب
الثمرات اليه وفيا ولا يعسر زمانا، وكان على من عطف الناس من حوله مويدا بالله معانا،
معظم قدره العالي على الاقدار، ومقابل داعي حقه بالابتدار، المثني على معاليه المخلدة
الاثار، في اصونة المطام والنثار، ثناء الروضة المعطار على الامطار، الداعي الى الله بطول
بقايه في عصمة منسدلة الاستار، وعزة ثابتة المركز مستقيمة المدار، وان يختم له بعد
بلوغ غايات الحال ونهاية الاعمال بالزلفى وعقبى الدار، سلام كريم كما حملت احاديث الازهار
نسمات الاسحار، وروت ثغور الاقاحي والبهار عن مسلسلات الانهار، وتجلى على منصة
الاستهار وجه عروس النهار، يخص جلالتكم الكريمة النجار العزيزة الجار، ورحمة الله
وبركاته اما بعد حمد الله الذي احمى حكمته البالغة عن ادهان البشر فحجبت
عن قياسها، وجعل الارواح كما ورد في الخبر اجنادا مجندة تحن الى اجناسها، مخلد هذه
الملة من اوليائه الجلة لمن يروض الامال بعد شماسها، وييسر الاغراض قبل التماسها،
ويعنى بتجديد المودات في ذاته واستغلال مرضاته على حسن اخلاق لباسها، الملك الحق واصل
الاسباب بعد انتكاث مراسها، ومغني النفوس بطوله بعد افلاسها، حمدا يبدد
اخلاق النعم بعد ابتئاسها، وينشر رمم الامال من ارماسها، ويقدس النفوس بصفات
ملائكة السموات بعد ابلاسها، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله سراج
الهداية ونبراسها، عند اقتناء الانوار واقتباسها، مطهر الارض من اوضارها وادناسها،
ومصطفى الله من بين ناسها، وسيد الرسل الكرام ما بين شيعتها والياسها، الابي مهيمنا على
اثارها في حين فترتها ومن بعد نصرتها واستئناسها، من عنصر الصراعم في اجناسها بعد افرادها
وامراسها، ومعفر اجرام الاصنام ومصمت اجراسها، والرضى عن اله واصحابه وعترته
واحزابه حماة شرعته البيضاء وحراسها وملحي غراسها لبوث الوغى عند احتدام مراسها،
ورهبان الدجى تكفل بمناجاة السميع العليم في وحشة الليل البهيم بايناسها، وتفاوح نسيم
الاسحار عند الاستغفار بطيب انفاسها، والدعاء لخلافتكم العلية المستنصرية
بالصنايع التي تشعشع ايدي العزم المعتساء من اكوابها، ولا زالت العصمة الالهية كفيلة
باحترامها واحتراسها، واساة الفتوح المويدة بالملائكة والروح رحال حلاسها، واماب
المفاخر الى ترك الاول للاخر مكتتبة الاسطار باطراسها، ومبادي الوجود مجالا لاجياد
جودها وناسها، والعز والعدل مستويين في بساطها وقسطاسها، وصفحة النصر
العزيز تقتص كفها المويدة بالله على رياسها، عند اهتياج اضدادها وشره انكاسها،

لانهاب

لانتهاب البلاد وانتهاسها، وهبوب رياح رياحها وتمرد مردائها، فانا كتبناه الكم
كتب الله لكم من كتايب نصره امدادها بدعن اعناق الايام لطاعة ملككم المنصور الاعلا م
عند احساسها، واياكم من اياب العنايات انه نصر الصحيح الصماء من عصاها بعصاها
سادر بانجاسها من حمراء غرناطة حرسها الله ودار الاسلام بعناية الملك العلام
محتفل وفود الملائكة الكرام بولايتها واعراسها، وطواعين الطعان في عدو الدين
المعاند لحدد عهدها بتمام عمواسها، والحمد لله حمدا معادا بتفقد شوارد النعم
وسند رمواهب للجود والكرم، وتومن من انسكاب الحدود وانتكاسها، ولي الامال
وبكاسها، وجلالتكم هي المثابة التي برهي الوجود بمحاسن مجدها وهو الرياض بوردها
واسها، ويستمد اضواء الفضائل من مقباسها، ويروي رواة الافادة والاجادة
غريب الوجادة عن ضحاكها وعباسها، والى هذا اعلى الله معارج قدركم وقد
فعل، واطوق بحجج فخركم من احتفى وانتعل، فانه وصلنا كتابكم الذي حسبناه على
صنايع الله لنا نعمة لا يلمع بعدها غبن، وجعلناه على جلل مواهبه قلادة لا يحتاج
معها زين، ودعوناه من جيب الكتابة اية بيضاء للكتابة لم يبق معها شك ولا مين،
ورايا منه وشقة ود هضم فيها عن عنبر الرمان دين، ورايا منه انشا خادم
البراع بين يديه وشاء، واحترم هميان عقدته مشاء، وسيل عن معانيه الاختراع
فقال ايابا اسا بامر انشاء، فاهلا به من عزلي ابي بصف الساح والبانة، وسير فحسن
الابانة، ادي الامانة، وسيل عن حسبه فانتمى الى كنانة، وافصح وهو لا ينبس، وتهللت
قسماته وليل حبره يعبس، وكان خاتمه المقفل على صوانه المتحف باكر الورد في عنبر
اوانه، رعف من مسك عنوانه، ولله من قلم دبج تلك الحلل، ونقع بمجاج الدواة المستمد
من عين الحياة الغلل، فلقد جارى في الجود مقيدا بالخلافة التي جلد بحرها في الوجود
فجاد بسر البيان ولبابه، وسح في سبيل الكرم حتى بماء شبابه، وجمح بفرط نشاطه وبهمته
بعد شهادة السيف بشهامته، تمشى من الرحب في الطرس الرحب على امر هامته
واكرم به من حكيم افصح بملغوز الاكسير في اللفظ اليسير، وشرح بلسان الخبير سر
صناعة التدبير كانما خدم الملكة الساحرة بتلك البلاد قبل اشتجار الجلاد، فاثرته
بالطارف من سحرها والتلاد، او عثر بالمعلقة وبيكت القديمة المطلقة بدفينة دار
او كنز تحت جدار، او ظفر بساني الجنابا قبل ان يقطع به عن امانه المنايا ببدايعه
او حلف جرجير الرومي قبل منازلة القروم على ودائعه او اسلمه ابن ابي سرح في نشب
للفيح وسرح، او ختم له روح ابن حاتم بسلوع المطالب، او علب الخطوط بخدمة ال
الاغلب، او خصه زيادة الله بمزيد، او شارك الشيعة في امر ابي يزيد او سار على

منهاج في مناصحه بني صنهاج ، ونصح بجلد امد احصر كل هاج ، واعجز به وقد عجز منه
شي اللسان ثالث لحلت سحر الاسماع ، واسترقا والطباع من مثار للابداع ومثالث
كيف امد ر على هدا المجد ، وناصح مع الثالث مقام التوحيد ، نستغفر الله ولى العون
على الصمت والصون ، فالقلم هو الموحد قبل الكون ، والمتصف من صفات السادة اولى
العادة بعور الجسم وصفرة اللون ، انما هي كرامه فاروقيه ، وأبان من حديث
ساريه ونقيبه ، سفر وجهها الى الاعقاب ، بعد طول الاسقاب ، وبداول الاحقاب ،
ولسان منان عن كريم جناب ، واصابه السهم لسواه محسوبه ، والى الرامي الذي سدده منسوبه
ولا ينكر على الغمام بارقه ، ولا على المحقق بمقام التوحيد كرامه خارقه ، ما شاء الفضل
من غرائب بوجد ، ومحارس خلق كريم ولع الشكر فيها وسجل ، جدبه بيان استثارت
نواسم الابداع من مهبها ، واستزارت غمائم الطباع من مصبها ، فانت اكلها من بين يادي
ربها لابل كسه عزطاعت بقنا الالقاب سطورها ، فلا يروعها النقد ولا يطورها ،
وبوعت عن تسي النونات خطوطها واصطف من بياض الطرس وسواد النقس لو يحوطها ،
ثم كاس المدير على الغدير ، بين الحور نوو السدير بقامر بزد الحباب عقول دوي
الالباب ، ولغرق كسرى في العباب ، وتهدي وهي الشمطاء نشاط الشباب ، وقد
اسرج ان سرح والجبر ، وافصح العرايض بعد ما جمجم ، واعرب النائي الاعجم ، ووقع معبد
بالقضيب ، وشرعت في حساب العقد بنان الكف الخضيب ، وكان الانامل فوق مثالث
العود ومثانيه ، وعند اغراء الثقيل ثانيه ، واجابه صدى الغناء معانيه ، المراود تشرع
في الوشي ، او العناكب تسرع في المشي ، وما المخبر بنيل الرغائب ، او قدوم الحبيب الغائب ،
لامل اسار البشير بكم المشير على العشير ، باحلى للسرور مراين المتلقي بالبروز وادعى
للحبور من سفين المبهج السفور ، فلم نر مثله من كسه كاب يحسب الجرد يمرح في
الارسان ، ويسوق مجالي ظهورها الى عرائس الفرسان ، ويهز معاطف الارساح ،
من صهيلها الصراح بالمغاب للحسان ، اذا اوجسنا الصرخ بارعت افنا الاعنه ، وكانت
باسنه اذا نها مشرعه الاسنه ، فان ادعى الظليم اشكالها فهو ظالم او نازعها الظبى
هواديها واكفالها فهو هاذ او حالم ، وان سيل الاصمعي عن عيوب الغر والاوضاح ، قال
مشيرا الى وجوهها الصباح جلت عن الغر والانف سالمه من كل عيل الشوى مسابق للنجم
اذا هوى ، سامي التليل عريض ما تحت الشليل ممسوحه اعطافه بمنديل النسيم العليل ،
من احمر كالمدام ، يجلى على الندام عقب الفدام ، احف لونه بالورد في زمن البرد ،
وحتى افق محياه بكوكب السعد ، وتشوف الواصفون الى عهد محاسنه فاعتت على العد ،
لحو ساحل البحر عند المد ، وريح تبارى الريح عند الشد بالدراع الاشد ، حكم له مدير

فلك

فلك الكفل باعتدال فصل القد ، ومتن قدره المميز عند الاستباق بقصب السباق
عند اعتبار الحد ، وولد يختلط غرته اشكال الجمال على الكمال بين الباصر والجمر ونفاذ
الخد ، وحفظ روايه الحلو الوجيه عن جلد الوجه ولا تنكر الروايه على الحافظ ابن الجد
واشقر ابا الخلق ، والوجه الطلق ان يحقر كانما صيغ من العسجد وطرق بالدد
وانعل بالزبرجد ، وسم في الحديث بسمه اليمن والبركه ، واختص بفلج الخصام عند اشتجار
المعركه ، وانفرد بمضاعف السهام المنكسره على الهام في الفرائض المشتركه ، واتصل فلك
كفل يحركني الاراده والطبع من اصناف الحركه ، اصغى الى السماء باذن ملهم واغرى
لسان الصهيل عند التباس معاني الهمز والتسهيل ببيان المبهم ، وقيد العيون من ذهب
حسنه ، ولجين جسده بالدينار والدرهم ، كان بعض فرجمه ، او رتح لها حجم وان اعترض فسق
لاح به للنجم نجم ، واصفر قيد الاوابد الحرة وامسك المحاسن والحلو الغرة
وسبيل من ابت في فؤاد الكاتب واولى الاخبار العجائب فقال انا المهلب ابن ابي صفره
من حسن هذا الالوان في رياض الاكوان تحيى به وجوه الحرب العوان اغار بحوه الصابل
على معصفرات الاصائل فارتداها وعمد الى خيوط شعاع الشمس عند جانحه الامس
فالحمر منها حلته واسداها واسعدت عليه تلك المحاسن فما اعداها فهو اصيل يمسك
بذيل الليل عرفه وذيله وكوكب يطلعه من القتام ليله فيحسد فرقد الافق وسهيله
واشهب يغشى من لونه مفاضه ويسربل منه لامه فضفاضه قد احتفل زينه
لمار فهم بالسال الجبينه فهو الاشمط الذي حقه لا يغمط والدارع المسارع والاعزل الدارع
وراي الهضاب الفارع ومكنوب الكثيب البارع واكرم به من مرتاض سالك ومجتهد على غابات
السابقين الاولين منها لك واشهب روى من الخليفة ذي الشيم المنيفة عن مالك وحبا
كلما سابق وبارا استعار جناح الحبارى فاذا اعملت الحسبه قيل من هنا جاءت النسبه طرد
النمر لما عطر امره وامر مسح وجوده بقدمه واتزن الفروه ملطخه بدمه وكان مضاعف
الورد نثر عليه من طبقه او الفلك لما ذهب الحلك مزج فيه بياض صبحه بحمرة شفقه
وقرطاسي حقه لا يجهل متى ما ر في العرفيه تستهل ان نزع عنه جله فهو نجم
كله انفرد بماده الالوان قبل ان يشوبها بد الاكوان او يمزجها اقلام الملوان سقدم
الكتيبه منه لواء ناصع او ابيض ماصع لبس وقار المشيب في ريعان العمر القشيب
واصبت الاذان من صهلته المطل المطيب لما ارتدى بالبياض الى نعمه الخطب وان تعتب
منه للناظر متعتب فلما الواو ولا ريب مابين حلا وحرج وبرمانه ودرج وبالله من
ابتسام عن ووضوح بمر في طرف وبهجه العمر وقرن وان ولع الناس بامتداح القدم وحصوا
الحدث بغرى الادم واوجب المنعصب وارباب المنصب مزيه التقدم وطمح الى رسه المخدوم

طرق الحدم، وتورث المثرى بالعدم، وحس في سوق الكسد الكحل، ودجى الليل، وطهر
في فلك الاتصاف الميل لمائد وكرب الحمل تحيّة بالوجه والخطار، والرائد ودى
الحمار، وداحس والسكب، والاجرور زاد الركب، والجموح والنحوم، والكمت ومكسوم،
والاعوج وحلوان، ولاحق والغضبان، وعفزر والزعفران، والمحبر واللعاب
والاغر والغراب، وشعله والعقاب، والفاضح والنعسوب، والمذهب والنعسوب
والصموت والقطب، وهيذب والضُّبيب، واهاوب وبداج، وللحرون وخراج، وعلوى
والجناح، والاحوى ومجاح، والعصى والنعامه، والبلقاء والحمامه، وسكاب والجراده ٥٠
وخوصا والجراده، فكم بين الشاهد والغائب، والمروض والرغائب، وفرق ما بين الاثر
والعيان، عنى عن البيان، وشتان بين الصحيح والمشبه وللّه در القائل
خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به، والناسخ يحلف به الحكم، وشر الدواب عند الفضل بين
هذه الدواب الصم البكم الامار كبه نبى او كان له يوم الافتخار برهان جلي، ومفضل ما
سمع على ما راءاى غبيّ، فلو انصف محاسنها الى وصف، لا تضمحب القلوب علقا، واوردت
ماء التشبيه نطقا، واتخذت لهاما عدد الحدور والملاح عذار موشيه، وعلت بصفر الجان
القار كل عشيه، وانعلت بالاهله، وغطت بالرياض بدل الاجله، الى الرونق الجليلي
بالحسن الحقيقي، نسوقه الى مثوى الرعايه دوقه القنان رعاته، ونهدى عتقها من
سحه اسكا الاستشهد للمخترع سبحانه باحكام مخترعاته، ووقف ناظر الاستحسان لا يرسم
لما بهر ناظرها الوسيم، وتخامل الظليم وتطأل الريم، واخرس مفوه اللسان وهو يملكات
البيان الحفيظ العليم، وناب لسان الحال عن لسان المقال عند الاعتقال، فقال مخاطب
المقام الذى اطلع ازهارها عمايم جوده، واقتضب اختيارها بركات وجوده، لو علمنا
ايها الملك الاصيل، الذى كرم منه الاجمال والتفصيل، ان الشاء يوازيها لكلنا لك بكيلك
او الشكر يعادلها ويجازيها لتعرضنا بالوسل الى نيل نيلك او قلنا هى التى اشار اليها مستخرج
سلفك المستنصر بقوله ادرك بخيلك حين شرق بدمعه الشرق والعرم الجمع واستوى
الفرق واسع فيه والحكم للّه للحرق ورءا ان مقام التوحيد بالمظاهر على التثليث
وحزبه الخبث الاولى والاحق والان بعد اغنى اللّه تلك البنيه عن الجياد الطوال الرديبيه
وبالرعامر يلك المتابه الدينيه الى رب البنيه عن الامداد السنيه والاجواد خوض
لجج الماء الى الحرم المنيه وعن الجرد العربيه فى مقاود اللبوب الابيّه وحدد برسم هذه
الهديه مراسم العهود الوديه والذمم الموحديه لتكون علامه على الاصل ومكد بة
لدعوى الوقف والوصل واشعارا بالالفه التى لا تزال الفها الف الوصل ولا مها
حراما على النصل وحضر بين يدينا رسولكم فلان فعرفنا من فضلكم ما لا ينكر من عرف
علوّ

علو مقداركم واصالة داركم وفلك ابدار كم وقطب مداركم واجبناه عنه بجهد
ما كنا لنقنع من جناه المهتصر بالمقتضب المقتصر ولا لنقابل طول طوله بالقصر لولا
طرو الحصر وقد كان من الاسلاف رحمة اللّه عليهم ورضوانه ودام رمت من اجل اللّه
معاقلهم ووثب للخلوص الحلى النصوص مضاجعه القار ومرافقه وتعاهد بالجميل توجع
لفقده فاقده الى اللّه الا ان يكون لكم الفضل فى تجديده والعطف بتوكيده فنحن الان
لا ندرى اى مكارمكم نذكر او اى فواضلكم نشكر امفاتحتكم التى هى فى الحقيقه
عند بافتح امر هدنتكم وفى وصفها للاقلام سبح ولعد والاسلام بحكمه حكمتها كح ٥
انما نكل الشكر لمن يوفى جزاء الاعمال البر ولا نحسن مقال الدين ولا دلى من مقال
الدين ذى الرحمه التى والالطاف المنفصله المستمر لا اله الا هو ٥
وان تشوفتم الى الاحوال الراهنه واسباب الكفر الواهيه بعد ان اللّه الواهنه
فنحن نظر فكم بطرفها ونطلعكم على سبيل الاجمال بطرفها وهو ان لما اعادنا اللّه من التمحيص
الى ما به التحصيص من بعد المرام العويص كحلنا بتوفيق اللّه بصر البصيره ووقفنا
على سبيله مساعى الحيوه القصيره ورأينا كما نقل الينا وكرر على من قبلنا وعلمنا ان
الدنيا وان غر الغرور وانام على سرر الغفله السرور فلم يسع الخطور على اجدات
الاحداث والمرور جسر تعبر ومتاع لا يغبط من حبى به ولا يحبر انما هو خبر لخبر وان
الحسن بمقدار ما على تركه يجبر وان الاعمار احلام وان الناس نيام وربما رحل الراحل
عن الخان وقد جلله بالاذى والدخان او ترك به طيبا وساء يقوم بعد الاى خطيبا
فجعلنا العدل فى الامور ملاكا والتفقد للثغور مسواكا وصحيح الجهاد حديث
الجهاد واحكامه مناط الاجتهاد وقوله يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجاره
من حجج الاستشهاد وبادرنا رمق الحصون المضاعه وحج النعمه دامس وعوراتها
لا تزيد بذ لامس وساكنها بايس والاعصم فى شعفاتها من العصمه يايس
فرسنا ببيض الشرفات ثناياها وافعمنا بالعذب الفرات ركاياها وغشينا بالصفيح
المضاعف ابوابها واحتسبنا عند موفى الاجور ثوابها وبيضنا بناصع الكلس اثوابها
فهى اليوم يوهم حسن العيان انها قطع من بيض العنان وتكاد تتناول قرص البدر بالبنان
متكفله للمومنين من روع الدنيا والاخره الامان واقرضنا اللّه قرضا واوسعنا مدونه
الجيش عرضا وفرضنا انصافه مع الاهله فرضا واسندنا من التوكل على اللّه الغنى الحميد
الى ظل لواء ونبذنا الى الطاغيه عهده على سواء وقلنا ربنا العزيز وكل جبار لعزك ذليل وحزبك
هو الكثير وما سواه قليل انت الكافى ووعدك الوعد الوافى فافض علينا مدارع الصابرين
واكتبنا من الفائزين بحظوظ رضاك الظافرين وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين

فحركنا اول الحركات وفاتحة مصحف البركات في جحف من الحشود واقتصاد على من حضر ساير
العساكر المظفرة والجنود الى حصن اشر البازي المطل وركاب العدو الضال المضل
ومهدي نفاثات الضل على اساعه وارتفاعه وسمو يفاعه ومابذل العدو فيه من استعداده
وتوفر اسلحته وازواده وانتخاب انجاده فصلينا بنفسنا نارهم ورجمنا عليه الشهب أتصابر
أوارهم ولم نبال بالجوارح العزين سهامه المسمومة وجلامد المملومة واحجارهم حتى فرغنا
بحول من لا حول ولا قوة الا به ابراجه المنيعة واسوارهم وكففنا عن البلاد والعباد اضرارهم
بعد ان استضفنا اليه حصن السهلة جارهم ودخلناه بعد ان شحناه رابطة وحامية
وازوادا نامية وعملنا سدنا في رم ماثلم القتال ونقرض بطون مسالفه الرجال واقتدينا
بنبينا صلوات الله عليه وسلامه في الخندق لما حمى ذلك المجال ووقع الارتجاز المنقول حديثه
والارتجال وماكان ليفر الاسلام من بركة الفرار وقد كسب الجوار وتداعي الذعر وتعاوي
الشرار وقد كنا اعزنا من بالجهة الغربية من المسلمين بمدينة برغة التي سدت من القاعد بين
رندة ومالقة الطريق ومنعتهما ان تسيغا الريق فلا سبيل الى الالمام لطيف المنام الا في
الاحلام ولا رسالة الا في اجنحة هدل الحمام فيسر الله فتحها ومحل منحها بعد حرب ابيضت
فيها النحور وترنت الحور وتبع هذه الامرنات شهين ونقع للروع والصرع خيم فتشفى
الثغور بوسه وتهلل وجه الاسلام سلك الناحية الناجية بعد عبوسه ثم اعملنا
الحركة الى مدينة اطبيرة على بعد المدى وتغلغلها في بلاد العدى واقتحام هول الفلى
وهول الردى مدينة متنها حصين واسعت الدار واعلت الشوار وراعت الاستكبار وسطت
الاعتمار الج لدينا قصدها على البعد والطريق الجعد مااسفه المسلمين من استيصال طائفة من
اسراهم رواها امنين بطائرها المشؤوم متيمنين قد انهكهم الاعتقال والقيود الثقال واضرعهم
الاسار وجللهم الانكسار فجدلوهم في مصرع واحد وتركوهم عبرة للرائي والمشاهد واهدوا
بوقعهم الى الاسلام ثكل الواجد وترة الماجد فكبسناها كبسا وفجاناها بالهام من لا نضل ولا
بنبسي وصبحتها الخيل ثم تلاحق الرجل الماجر الليل وحاق بها الويل فابيح منها الذمار واخذها
الدمار ومحقت من مصانعها البيض الاهلة وخسفت الاقمار وسفرت من دماء اهلها الضلوع الحرار وسلطت
عليها كلها النار واستولى على الالاف العديدة من سبيها الاوسار وانتهى الى اشبيلية الثكلى المغارة
تحلاحي من بها من كبار النصرانية الصغار واستولت الايدي على ما لا يسعه الوصف ولا تقله الاوقار
وعدنا والارض تموج سبيا لم يترك يعفر شبلا ولا بوجرة ظبيا والعقائل حسرى والعيون يبهرها الصنع
الاسنى وصبح السرى قد حمد من بعد المسرى فسبحان الذي اسرى ولسان الحمية ينادي في تلك الكناس
الغربية والبوادي بالثارات الاسرى ولم يكن الا ان بلغت الانفال ووسمت بالاوضاح الاغفال وترويت
الهوادي والاكفال وكان الى غزو مدينة جيان الاحتفال قدنا اليها الجرد تلاعب الظلال

نشاطا

نشاطا والابطال تقتحم الاخطار رضا بما عند الله واغتباطا والمهند الذلوق يسبق الى الرقاب
استلالا واختراطا واستكثرنا من عدد القتال احتياطا وازحنا العلل عن من اراد جهادا متجيا
عن نار من دخان جهنم ورباطا وناديتنا الجهاد الجهاد ياامة الجهاد راية النبي الهاد الجنة تحت
ظلال السيوف الحداد فهز النداء الى الله كل عامر وغامر واستنفر الجم من دعوة الحق الى امره امر
والى الناس من الفجوج العميقة رجالا وعلى كل ضامر وكاثرت الرايات ازهار البطاح لونا وعددا
وسدت للحسود مسالك الطرق العريضة سدا ومد بحرها الزاخر مدا فلا تجد لها الناظر ولا المناظر
حدا وهذه المدينة هي الام الولود والجنة التي في النار لسكانها من الكفار الخلود وكرسي الملك
ومجنبة الوسطى من السلك باتت بالمزايا العديدة تحف وعند الوزان تعبرها من امات البلدان
تحت عاب الاسود ومجر الحيات السود ومنصب التماثيل الهائلة ومعلق النواقيس الصائلة
فادنينا اليها المراحل وعبينا بحار المحلات المستقلات منها الساحل ولما اكتسحنا حوارها وكدنا نلتهم
نارها حركنا اليها وساح الافق المرقوم بزهر النجوم قد دار دائرهم والليل من جوف الصباح على
سطحه المستباح قد شابت غدائرهم والنسر يرفرف بالتمن طائرهم والسماك الرامح ثائر بعز الاسلام
ثائرهم والنعائم راعية فرائص الحسد من جوف الاسد والقوس يرسل سهم السعادة بوتر العادة الى
اهداف النعم المعادة والجوزاء عابرة نهر المجرة والزهرة تغار من الشعرى العبور بالضرة وعطارد
يسدي في حبل الحروب على البلد المحروب ويلحمه ويناظر على اشكالها الهندسية فيفحمه والاحمر
يبهر ويعلمه الاسنى يقوى ويتهم والمشتري يبدي في فضل الجهاد ويعيد ويزاحم في الحلقات
على ما للسعادة من الصفقات ويزيد وزحل عن الطالع منتحل وعن العاشر مترحل وفي زلق السعود
وحل والبدر بطالع حجر المنجنيق كيف يهوى الى الشق ومطلع الشمس يرقب وجدار الافق يكاد
بالعيون عنها ينقب ولما فشا سر الصباح واهتزت اعطاف الرايات بتحيات مبشرات الرياح اطللنا
عليها اطلال الاسود على الفرائس والفحول على العرائس فنظرنا منظرا يروع باسا ومنعة ويروق
وضعا وصنعة تلمعت بعاقلة السيم للسحاب برود ووردت من عذر المرنج برود واشرعت لاقتطاف
ازهار النجوم والذراع من البطاح معاصم زود وبلد يعيي الماسح والذارع وينتظم المجاني والاجارع
فقلنا اللهم نقله ايدي عبادك وارناهم انه من ابار جهادك ونزلنا بساحتها العريضة المتون
نزول الغيث الهتون وتيمنا من فحصها بسورة التين والزيتون متبركة من امان الرحمن للبلد المفتون
واعجلنا الناس بحمية نفوسهم النفيسة وسجية شجاعتهم البئيسة عن ان تبوأ للقتال المقاعد
وتدلى باسماع شهير النفير سهم الاباعد وقبل ان يلتقي الحديد بالمخذوم ويركع المنجنيق ركعتي القدوم
فدفعوا من اصحر اليهم من الفرسان وسبق الى حومة الميدان حتى احجروهم في البلد وسلبوهم لباس
الجلد في موقف يذهل الوالد عن الولد صابت السهام فيه غماما وطارت كاسراب الحمام تهدي
حماما واضحت القنا قصدا بعد ان كانت شهابا رصدا وماج بحر القتام بامواج النصول واخذ

الأرض الرجفان لزلزال الصباح الموصول فلا ترى الا شهيدا يظلل مصرعه الحور وصريعا
يعدو به الى الساحل تلك البحور وتواثب تشابها الوجود الوجيهه عند الله والنحور
فالمعصب قوده يخضب والاسمر عصيه يستثمر والمغفر حماه يحفر وطهور القسي يقصم
وعصم الحس الكوافر تعصم وورق اليلب في المنقلب يسقط والبيض يكب والسمر ينقط
فانحم الربط الاعظم لجنبه واظهر الله لعيون المبصرين والمستبصرين عن دينه وتبرا
الشيطان من حزبه ولهب الكفار وخذلوا وبكل مرصد جدلوا لمن دخل البلد بعده غلابا
وجلل تلالا واستلابا فلا تسل الا الظبا والاسل عن بيان ساعته وهول يومها وشناعته
وخرب المبانى والمغانى وعفى الايدى من جراى تلك المغالى ونقل الوجود الاول الى الوجود
الثانى وبحار السيف لجاثم المعتاد ونهلت القنا الردينيه من الدماء حتى كادت تورق
كالاغصان المغروسه والاوتاد وهمت افلاك القسي وسحت وارتحى تحت وبعد
موادها فسحت بما الحب وسدت المسالك حيث القتلى لمنعه العابر واستاصل الله من عدو
الشانه وقطع الدابر وازلف الشهيد واحسب الصابر وسقف رسل الفتح الذى لم يسمع بمثله
فى الزمن الغابر سهل البشرى من افواه المحابر الى اذان المنابر اقمنا بها اياما نعفر الاشجار
ونستاصل بالتخريب الوجار ولسان الاسلام من عبده الاصنام ينادى بالثاره الاسكندريه
نسعفا من الفجار ورعيا للحق الجار وقفلنا واجنحه الرايات برياح العنايات خافقه واوفاق
التوفيق الباسه من خطوط الطريق موافقه واسوار العرابه خافقه وجملا الرفق مصاحبه
والحمد لله موافقه وقد ضاقت دروع الحبال عن اعناق الصهب السبال ورعت على الاكفال
ردفاء كرائم الانفال وتلقلت من النواقيس اجرام الحبال بالهدم والاحتبال وهلك بمهلك
هذه الام بناتكن من صغيرتها الحوافل ويستوثق جحرها الكافل شمل التخريب اسوارها
وعجلت البوار لبوارها ثم تحركنا بعدها حركه الفتح وارسلنا دلاء الادلاء قبل المنح
مبشره بالمنح وقصدنا مدينه ابده وهى ثانيه الحاضره وكبرى الاخيره ومساهمه جيان فى حسن
الحسن مدينه احدت عرض الفضاء الاخرق ويمشي فيه ارباطها مشى الكتائب الجامحه فى المهرق
المشتمله على المتاجر والمكاسب والوضع المناسب والفلج المعنى ربعه عمل الحاسب وكون الدبر
اللاسب المعدده العاسب فاناخ العفاف بربوعها العامره ودارت كوس عقار الحتوف
ببنان السيوف على مديرها المعاقره وصبحتها طلائع الفاقره واعزب سطون اسوارها
عوج المعاول الباقره ودخل مدينها عنوه السيف اسرع من طرف الطرف ولا تسال عن
الكيف فلم يسلع العقاب مدينه حافله وعقيله فى حلل المحاسن رافله ماالمع من هذه
البائسه التى سحبت لالهه النيران ابراجها وتضائل بالرغام معراجها وصفق على اعطافها
ملابس الجدلان واغفرت كانسها كاس الغزلان ثم باهت العروام القرى

الكافره

الكافره وخزائن المزان الوافره وربت الشهور السافره والابناء المسافره
وطبه وما ادراك ماهيه ذات الارجاء الحاليه الكاسيه والاطواد الراسخه
الراسيه والمبانى المباهيه والزهراء الزاهيه والمحاسن غير المتناهيه حيث
هاله بدر السماء قد استدارت من السور المشيد البناء دارا ونهر المجره من نهرها
الفياض المسلول حسامه من غمود الغياض قد لصق بها جارا وفلك الدولاب
المعتدل الانقلاب قد استقام مدارا ورجع الحسن اسفا الى الحسب الاول وادكارا
حيث الطود كالتاج يزدان بجسر العرب الحجاج فيزرى بتاج كسرى ودارا ن
حيث قسى الجسور المديره كانها عوج المطى العديده تعبر النهر قطارا حيث اثار العامرى
المجاهد تسوق من تلك المعاهد شدا معطارا حيث كرائم السحائب تزور عرائس الرياض
الحبائب فيحمل لها من الدر نثارا حيث شمول الشمال تدار على الادواح بالغدو والرواح
فترى الغصون سكارى وماهى بسكارى حيث ايدي الافساح تعتصر من شفائق البطاح
ابكارا حيث ثغور الاقاح الناسم تقبلها بالسحر زوار النواسم فيحمر قلوب النجوم
الغبارا حيث المصلى العتيق قد رحب مجالا وطال منارا وازرى بلاط الوليد احتقارا
حيث الظهور المثاره بسلاح الفلاح تحيى من مثل اسنمه المهارا والبطون كانها الندمث
العمائم بطون العذارا والادواح العاليه تحرق اعلامها الهادبه بالجداول الجبارا ن
فما شئت من جو نقيل ومعرس للحسن ومقيل وما لك للعقل وعقيل وخمائل كم فيها
للبلابل من قال وقيل وحفيف يحاور صقيل وسنابل تحكى فوق سوقها وقصب سوقها
الهمزات على الالفات والعصافير البديعه الصفات فوق الغصن المولفات تميل
لهبوب الصبا والجنوب مائله بالجيوب بدر الحبوب وبطاح لا تعرف عين المحل فتطلبه
بالدخل ولا تصرف فى خدمته بيض قباب الازهار عبيد افساح السوسن والبهار غير
العيدان من سودان النحل وبحر الفلاحه الذى لا يدرك ساحله ولا يبلغ الطيه
المعلم راحله الى الوادى وسمر النوادى وقرار دموع الغوادى للمتجاسر على خطبه
فند تمطيه للجسر العادى والوطن الذى ليس من عمرو ولا زيد والفرا الذى فى جوفه
كل صيد اقل كرسيه خلافه الاسلام واغار بالرصافه والجسر دار السلام وما
عسى ان يطنب فى وصفه السنه الاقلام او يعبر به عن ذلك الكمال فنون الكلام
فاعملنا اليها السرى والسير وقدنا اليها الخيل قد عقد الله فى نواصيها الخير
ولما وقفنا بظاهرها المبهج المعجب واصطففنا بخارجها المنبت المنجب والقلوب
تلتمس الاعانه من منعم مجزل ويستنزل مدد الملائكه من منجد منزل والركائب
من خلفنا بمعزل تناشد فى معاهد الاسلام قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بوز من حاميتها المحامية، ووقود النار الحامية، وبقية السيف الوافر على
الحصاد النابتة، وقطع الغمام الهامية، وامواج البحور الطامية، واستخنت
بطلال ابطال المجال اعداد الرجال الناشبة والرامية، وتصدى للنزال
من صناديدها الصهب السبال، امثال الهضاب الراسية، لجنها جنن
السوابغ الكاسية، وقواميسها المفاد به للصلبان يوم بوسها بنفوسها
المواسية، وخنازيرها التي عد بها عن قبول حجج الله ورسوله ستور الظلم الغاشية
وصخور القلوب القاسية، وكان من الفريقين امام جسرها الذي فرق البحر
وحلى لجينه، ولالى رسه، منها البحر حرب لم يسمح الايام على مثالها، ولا اتت
الايام الجبالى بمثل اجنة اهوالها، من قاسها بالفجار افك وفجر، او مثلها بجفر
الهباءة حرف وهجر، ومن شبهها حرب داحس والغبراء فما عرف للخبر، ن
فليسل من جرب وخبر، ومن نظرها يوم شعب جبله فهو دونه او عادلها
سطن عاقل، بغير عاقل، او احج يوم ذى قار، فهو الى المعرفة ذو افتقار،
او افضل يوم الكديد، شبهه غير السديد، انما كان مقاما غير معتاد،
ومرعى نفوس لم يف بوصفه لسان مرتاد، وزلزال جبال اوتاد، ومتلف
مدخور لسلطان الشيطان وعتاد، اعلم فيه البطل الباسل، وبورد الابيض
السائر وارد الاسمر العاسل، ودوم الجلمد المتكاسل، واسعف من حدب
الحنية الى الهدف الرمية الناشر الناسل، ورويت لمرسلات السهام المراسل،
ثم افضى امر الرماح الى التشاجر والارتباك، وتشبث الاسنة في الدروع تشبث
السمك في الشباك، ثم اختلط المرعى بالهمل، وعزل الردينى عن العمل،
وعادت السيوف من فوق المفارق تيجانا، بعد ان سقت غدر السوابغ خلجانا، والحدث
جداول الدروع فصارت بحرا، وكان العناق فلا ترى الا نحرا ملازما نحرا، عناق وداع،
وموقف شمل ذى انصداع، واجابة مناد الى فراق الادوداع، واستكشف مثال الصبر
الا بعد الشقافة، وهب ريح النصر الطلائع المنشرة الهفافة، ثم امد السيل
ذلك العباب، وصقل الاستبصار الالباب، واستخلص العزم صفوة اللباب،
وقال لسان النصر ادخلوا عليهم الباب، فاصبحت طوائف الكفار حصائد مناجل الشفار،
فمغافرهم قد رصعت جماجمها بالاحفار، ورؤسهم محطوطة في غير مقام الاستغفار،
وعلت الرايات من فوق تلك الابراج المستطرفة والاسوار، ورفرف على المدينة
جناح البوار لولا الانتهاء الى الحد والمقدار، والوقوف عند احتجاج سر
الاقدار، ثم عبرنا نهرها، وشددنا بيد الله قهرها، وضيقنا حصرها وادرنا

ملآلى

ملآلى القباب البيض خصرها، واقمنا بها اياما نلحوم عقبان السود على فرستها حياما
ونرمى الادواح بنوارها، ونسلط النيران على اقطارها، فلولا عائق المطر
لحصلنا من فتح ذلك الوطن على الوطر، فرايناان نروضها بالاحتياب
والانتساف، ونوالى على زروعها وربوعها كرات رياح الاعتساف، حتى
بتهيأ للاسلام لوك طعمتها وتهنا بفضل الله ارث نعمتها ثم كانت عن موقفها
الافاضة من بعد نحر البحور ووقف جماد الدمار على العدو والمدحور وتدافعت
خلفنا السيقات المسعفات بدافع امواج البحور وبعد ان الحنا على جنانها
المصحح وكرومها المستبحرة بحاح الغريم وعوضناها المنظر الكريه من المنظر
الكريم وطاف عليها طائف من ربك فاصبحت كالصريم واغرينا حلاق النار
بجمم الجميم، وراكمنا في اجواف اجرامها عمائم الدخان بذكر طيبه البان يوم
الغيم، وارسلنا رياح الغارات لا تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم واستعملنا
الوادى بهول مدا، وبروع سعفه الصقل جدا، فسرح الله من بعد الاعواز، وانطلقت
على الفرصة بلك الفرصة ايدى الانتهاز، وسالنا من سابلة اسد ابن الفراب فاقتنى
من مجال الجوار، نعم الاكتساح والاستباح جميع الاحواز، فاذيل المصون واستبت القرى
والحصون، واجتثت الاصول وحطمت الغصون، ولم نرفع عنها الى اليوم غارة تصابحها
بالبوس، وتطلع عليها غررها الضاحكة في اليوم العبوس، فهي الان بجرى السوابق
ومجر العوالى على التوالى، والحسرات تجدد في اطلالها البوالى، وكان بها قد ضرعت
والى الدعوة المحمدية اسرعت بقدرة من لو انزل القرآن على الجبال لخشعت من خشية
الله وتصدعت، وعزم مراد عنت للجبار لعزه وخضعت، وعساد يا والبود
لا يعرف الالف بشرها، والوجوه المجاهدة لا تخالط التقطب بشرها، والايدى بالعروة
الوثقى معلقة، والالسن بشكر نعم الله منطلقة، والسيوف في مضاجع الغمود
قلقة، وسرابيل الدروع خلقة، والجياد من ردها الى المرابط والاوارى
رد العوارى حنقة، ولعبرات الغيظ المكظوم مختنقة، سطر الساطر العاتب
وتعود من ميادين الاجيال والمراح بحمل السلاح، عود الصبيان الى المكاتب
والطبل بلسان العز هادر، والعزم الى منادى العود الحميد مبادر، ووجود
نوع الرماح من بعد ذلك الكفاح هادر، والقاسم من بين يديه من السبى النوادر
ووارد مناهل الاجور غير المحلاء ولا المحجور غير صادر، ومناظر الفضل الالهى
عن اجنة الشانى على المطلوب الموالى مصادر، والله على تيسير الصعاب وتخويل
المنن الرغاب قادر، لا اله الا هو فما اجمل لنا صنعه الخفى، واكرم بنا لطفه الحفى،

اللهم لا احصي ثناء عليك ولا ملجا منك الا اليك ولا ملتمس خير الدنيا والاخرة
الا لديك فاعد علينا عوايد نصرك بامدى بامعهد واعنا من وسايل شكرك
على ما ننال به المزيد ناحي بالقوم بافعال لما يريد وقارنت رسايلكم
الميمونه لدينا حدق بج لعدصته مشر ببر ليته وتحرم فوق النجوم
العوايم مبينه مجسنا من تاتي امله السارد وقلنا البركه في قدم الوارد
وهو ان ملك النصارى لاطفنا بجمله من الحصون كانت من مملكه الاسلام
قد غصبت والتماسل فيها ضعوف الله قد نصبت اذ اهلها الله يحاولسا الطيب
من الخبث والتوحيد من الشليث وعاد اليها الاسلام عود الاب الغايب
الى البنات الحباب يسئل عن شونها ويمسح دموع الرحمه من جفونها ٥
وهي للروم خطه خسف ملما ارتكبوها فيما بعكم من العهود ونادره من نوادر
الوجود والى الله علينا وعليكم عوارف الجود وجعلنا في محارب الشكر من
الركع السجود عرفناكم بجملات امور حمتها تعسير ولمن من الله وتيسير اذ استوفينا
للجزء باب عسير لنسركم بما منح الله دينكم ونتوج بعز الملة الحنيفيه جبينكم
ولخطب بعلى دعاكم وباسنكم فان دعا المومن لاخيه بظهر الغيب سلاح ماض
وكفيل للمواهب المسوله من المنعم الوهاب متقاض واسم اولى من ساهم في بر
وعامل الله بخلوص سر وان يذهب العضل عن بيتكم وهو صفه حدكم
ووراث بينكم ولكم مزيه القدم ورسوخ القدم والجلاله بعرفها ابوانكم
واصحاب الامام مالك رضي الله عنه مستقر هم قيروانكم وهجر المنابر
ذكر امامكم والتوحيد اعلام اعلامكم والوقايع الشهيره في الكفر
منسوبه الى ايامكم والصحابه الكرام فتحه اوطانكم وسلاله الفاروق عليه
السلام وشاح سلطانكم وحرسكم ثم بركه خطابكم ووصله جنابكم
ولولا الاعذار لوالينا المزيدات بعريف ابوابكم والله عز وجل يتولى عنا
من شكركم المختوم ما قصر المكتوب منه عن المكتوم ويتقبلكم لا قامه الرسوم
ولحل محبتكم من القلوب محل الارواح من الجسوم وهو سبحانه يصل سعدكم
ويحرس مجدكم ويوالي نعمه عندكم والسلام الكريم الطيب الزكي المبارك البر
العميم يخصكم كثيرا اثيرا ما طلع الصبح وجها منيرا وعدا ارسل النسيم سفيرا ٥
وكان الوميض الباسم لاكواس الغمايم على ازهار الكمايم مديرا ورحمة الله وبركاته
وكتب الى يهنيني بمولود ويعاتب على تاخر الخبر بولاده عنه ٥
هنيئا ابا الفضل الرضي وابا زيد وامنت من يعني يخاف ومن كيد

بطالع

بطالع من طالع السعد شاوه فما هو من عمرو الرحال ولا زيد
وقد شكر الله النعمه التي اوليدها تابا سوى الشكر من قيد
اهلا بدري المكاتب وصدري المراتب وعتبى الزمن العاتب وبكر المشتري والكاتب
ومرحبا بالطالع في اسعد المطالع والثاقب في اجلى المراقب وسهلا بعنى
البشير وعز الاهل والعشير وتاج الفخر الذي يقصر عنه كسرى واردشير
الان اعتضدت الحله الحضرميه بالفارس وامن السارح في حمى الحارس وسعدت
بالمنير الكبير افلاك التدوير من حلقات المدارس وقرب بالجني الكريم عن الغارس
واحتقرت اقطار الابلج واجاءت ابن الدارس وقيل للمشكلات طال ما الفت الحيرة
وامضت على الاذهان الامره فتناهى للغارة المبيحه لحماك وتحرى الى فئة
البطل المستاثر بشرف لماك ولله من نصبه احتفى فيها المشتري واحتفل
وكفى العمر سني تربيتها وكفل واختال عطارد في حلل الجدل لها ورفل وانفحت
الحدود وتهللت الوجوه وتنافست المثلثات تومل الحظ وترجوه ونبه البث
على واجبه واشار الحظ الشرف لحاجبه واسرع نير النوبه في الاوبه فلما
في الاعداد مقام التوبه واستاثر بالبروج الموكل بيت البنين ولحظ خطا
العمر راس الجوزهر ودنب التنين وساوى منهما حكم الاصل حدوث الفعل
بالفعل بحلول السنبل وحقق هذا المولود من الموالد سنه عمر الوالد فتجاوز
درجه الميل واقترن بعاشره السعدان اقتران الجسد وبسط فقه مركزه
قلب الاسد وسرق من بيت اعدايه خرثي الغل والحسد ويطف طرف
البشير كما يعقل بين يدي الساده عند المسير وسقط الشيخ الهرم
من الدرج في البير ودفع المقاتل الى الوبال الكبير ٥ ٥
لم لا ينال العلا ويعقد التاج والمشتري طالع والشمس هيلاج
والسعد يركض في ميدانها مرحا جذلان والفلك الدوار هملاج
كان به والله يهديه قد انتقل من مهد التنويم الى النهج القويم ومن اريكه
الدراع الى يصريف البراع ومن كبد الدايه الى مسلم الهدايه والعنايه المختطبه
البدايه جعل الله وقايته عليه عوده ووسم حسدته وسمه محرم اللحم بين
محنقه وبطحه ومترديه وموقوده وحفظ هلاله في البدار الى تمه وبعد تمه
واقربه عين ابيه وامه غير اني والله يغفر لسيدي بيد اني راكع في سبيل الشكر
وساجد فانا عاتب وواجد اذ كان ظني ان البريد بهذا الخبر الي يعمل
وان احتفاني به لا يهمل فانعكس القضيه ورابت للحال المرضيه وفضلت

الامور الذاتية الامور العرضية والحكم جازم، واخذ العرض لازم، اما عدم
السويه وتعارضه علم بمقدار الحقوق اعتناء جبله مغار، وعمدة سلم لم
يدخلها جزيه ولا اعتقاد، او جهل بمقدار الهبه وتعارضه علم بمقدار الحقوق،
ورضا مناف للعقوق، فوقع الاشكال، وربما لطف عذر كان عليه الاتكال،
واذا لم يبشر مثلي بمحبه الله مثل تلك الذات السريه، المخلقة بالشيم الحريه، ثم الذي
بشر، وعلى من يعرض برها وبشر، وهي التي واصلت التفقد وطرحت المعامله ٥
وانت ان تعقد واشت الغربه وحرجها غير متبذل، ونفست الكربه وجنحها على
الجوانح مشتمل، فمتى فرض نسيان الحقوق لم يسلي فرض، ولا شهد به على سما ولا ارض،
وان قصر فيما يجب لسيدي عمل لم يقصر رجاء ولا امل، ولي في شرح حمده ناقة وجمل،
ومنه جل وعلى ان يسل ابن بيه فرع العين في نفسه وماله وبنيه، وجعل اكبر عطايا
الهياج اصغر سنيه، ويقلد عواتق الكواكب البابانيه حمائل امانيه، وان شوف
سيدي لحال وليه لحلوه طيبه، ورحمه من جانب الله صيبه، وبرق نشام، يقال
حدث ما وراك ياهشام، ولله در سعنا اذ يقول ——

لا بارك الله لي ان لم اصرف النفس في الاهم
وكثر الله لي هموي ان كان غير الخلاص همي

وان انعم سيدي بالالماع بحاله وحال الولد المبارك فذلك من غرر احسانه، ومنزلته
في الحظ لحظي بمنزلة انسانه، والسلام

العوده الى المغرب الاقصى

اشياخ الدواودة من رياح بالمسير الى حصار تيطري من جهة القبلة وكاتب
احمد بن مزني صاحب بسكرة بامدادهم باعطياتهم وكتب الي بامري بالمسير معهم
لذلك فاجتمعوا علي وسرت بهم اول سنة اربع وسبعين حتى نزلنا بالقطفة ووفد
في جماعة منهم على الوزير بمكانه من حصار تيطري فجدد لهم جدد واخذ مده وسار معهم
في الجزاير ورجعنا الى احيائهم بالقطفة فاستندوا الى حصار الجبل والجأوهم
الى سوامهم وظهرهم الى فئتيه فهلكهم الخف والحافر، وضاق ذرعهم بالحصار
من كل جانب فانفضوا البلا من الجبل وابو زيان معهم ذاهبين الى الصحراء واستولى الوزير
على الجبل بما فيه من مخلفهم ولما ملعوا امنا منهم من الفقر نبذوا الى ابي زيان عهده فلحق بجبال
غمرة، ووفد اعيانهم على السلطان عبد العزيز بتلمسان ووفاوا الى طاعته
فتقبل فيئتهم واعادهم الى اوطانهم وتقدم الى بطلوا الى الوزير عن امر السلطان
بالمسير مع اولاد يحيى بن علي بن سباع للقبض على ابي زيان في جبل غمرة وقاد بحق
الطاعة لان غمرة من رعاياهم فمضينا لذلك فلم نجده عندهم واخبرونا انه ارتحل
عنهم الى بلد وارجلا من مدن الصحراء فنزل على صاحبها ابي بكر بن سليمان فانصرفنا من هنالك
ومضى اولاد يحيى بن علي الى احيائهم ورجعت انا الى اهلي ببسكرة وخاطبت السلطان بما وقع
في ذلك واقمت منتظرا اوامره حتى جاءني استدعاؤه الى حضرته فارتحلت اليه ٥

العودة الى المغرب الاقصى

٥ ولما كنت في الاعمال ب
متابعة السلطان عبد العزيز ملك المغرب كما ذكرت تفاصيله لم اشعر وانا
مقيم ببسكرة في جوار صاحبها احمد بن يوسف بن مزني وهو صاحب زمام رياح
واكثر عطاياهم من السلطان مفروض عليه في جباية الزاب وهم يرجعون اليه في
الكثير من امورهم فلم اشعر الا وقد حدثت المنافسة منه في استتباع العرب
ووغر صدره وصدق في ظنونه وتوهماته وطاوع الوشاة فيما يوردون
على سمعه من القول والاختلاق وجاش صدره بذلك فكتب الى ونزمار بن عريف
ولي السلطان وصاحب شوراه بنفس الصعداء من ذلك فانهاه الى السلطان ٥
فاستدعاني لوقته وارتحلت من بسكرة بالاهل والولد متوجها الى السلطان
وقد كان طرقه المرض فما هو الا ان وصلت مليانة من اعمال المغرب الاوسط فلقيني هنالك

وراسل بعضهم في الطاعة خفية فارتاب بعضهم من بعض

ال

في يوم المولد الكريم سنة اربع وسبعين

خبر وفاته وان ابنه ابا بكر السعيد نصب بعده للامر في كفالة الوزير ابي بكر بن غازي
وانه ارتحل الى المغرب الاقصى مجدّا السير الى فاس وكان على مليانة يومئذ علي بن حسون
ابن ابي علي البناطي من قواد السلطان ... فارتحلت معه الى احياء العطاف ومواليهم
ونزلنا على اولاد يعقوب بن موسى من امرائهم وبذرق لبعضهم الرحلة اولاد عريف
امراء سويد ثم لحقونا بعد ايام علي بن حسون في عسكره وارتحلنا جميعا
الى المغرب على طريق الصحراء وكان ابو حمو قد رجع من مكان انتباذه
بالقفر في تيكورارين الى تلمسان فاستولى عليها وعلى سائر اعماله فاوعز
الى بني يغمور من شيوخ عبيد الله المعقل ان يعترضونا بحدود بلادهم
من راس العين مخرج وادي زا فاعترضونا هنالك فنجا من نجا منا على
خيولهم الى جبل دبدو وانتهبوا جميع ما كان معنا وأرجلوا الكثير من
الفرسان وكنت فيهم وبقيت يومين في قفرة ضاحيا عاريا الى ان خلصت
الى العمران ولحقت باصحابي بجبل دبدو ووقع في خلال ذلك من الالطاف
ما لا يعبر عنه ولا يسع الوفاء بشكره ثم سرنا الى فاس ووفدت
على الوزير ابي بكر وابن عمه محمد بن عثمان وكان لي معه قديم صحبة واختصاص
منذ نزع معي الى السلطان ابي سالم بجبل الصفيحة عند اجازته من
الاندلس لطلب ملكه كما مر في غير موضع من الكتاب فلقيني من بر الوزير
وكرامته وتوفير جرايته واقطاعه فوق ما احتسب واقمت بمكاني
من دولتهم أثير المحل نابه الرتبة عريض الجاه منوه المجلس عند
السلطان ثم انصرم فصل الشتاء وحدث بين الوزير ابي بكر بن غازي وبين
السلطان ابن الاحمر منافرة بسبب ابن الخطيب وما دعا اليه ابن الاحمر
من ابعاده عنهم وأنف الوزير من ذلك فاظلم الجو بينهما واخذ الوزير
في تجهيز بعض القرابة من بني الاحمر للاجلاب على الاندلس فبادر ابن الاحمر
الى اطلاق الامير عبد الرحمن بن ابي يفلوسن من ولد السلطان ابي علي
والوزير مسعود بن رحّو بن ماسّاي كان حبسهما ايام السلطان عبد العزيز
وباشارة بذلك لابن الخطيب حين كان في وزارته بالاندلس واطلقهما الان

وبعثهما

وبعثهما لطلب الملك بالمغرب واجازهما في الاسطول الى سواحل غساسة فنزلوا
بها ولحقوا بقبائل بطوية هنالك فاشتملوا عليهم وقاموا بدعوة الامير عبد الرحمن
ونهض ابن الاحمر من غرناطة في عساكر الاندلس فنزل على جبل الفتح محاصره
وبعث الاخبار بذلك الى الوزير ابي بكر بن غازي القايم بدولة بني مرين فجهز لحينه
ابن عمه محمد بن عثمان بن الكاس الى سبتة لامداد الحامية الذين بجبل الفتح ونهض
هو في العساكر الى بطوية لقتال الامير عبد الرحمن وكان السلطان عبد العزيز
قد جمع شبانا من بني ابيه المرشحين ... فحبسهم بطنجة فلما وصل محمد بن الكاس
سبتة وفتحت المراسلة بينه وبين ابن الاحمر وعتب كل منهما صاحبه على ما كان منه
واشتد عذل ابن الاحمر على اخلائهم الكرسي من كفوه ونصبهم السعيد بن عبد العزيز
صبيا لم يثغر فاستعتب له محمد واستقال من ذلك وحمله ابن الاحمر على ان يبايع
لاحد الابناء المحبوسين بطنجة وقد كان الوزير ابو بكر اوصاه بانه ان تضايق
عليه الامر من الامير عبد الرحمن فيفرج عنه بالبيعة لاحد اولئك الابناء
وكان محمد بن الكاس قد استوزره السلطان ابو سالم لابنه احمد ايام ملكه
فبادر من وقته الى طنجة واخرج احمد بن السلطان ابي سالم من محبسه وبايع له
وسار به الى سبتة وكتب لابن الاحمر يعرفه بذلك ويطلب منه المدد على ان ينزل له
عن جبل الفتح فامده بما شاء من المال والعسكر واستولى على جبل الفتح
وتجنبه محاميته وكان احمد بن السلطان ابي سالم قد تعاهد مع بني ابيه
في محبسهم على ان من صار الملك اليه منهم ... يجيز الباقين الى الاندلس
فلما بويع له ذهب الى الوفاء لهم بعهدهم واجازهم جميعا فنزلوا على
السلطان ابن الاحمر فاكرم نزلهم ووفر جراياتهم وبلغ الخبر بذلك كله
الى الوزير ابي بكر بمكانه من حصار الامير عبد الرحمن بتازا فاخذه المقيم المقعد من فعله
ابن عمه وقوض راجعا الى دار الملك وعسكر بكدية العرايس من ظاهرها وتوعد
ابن عمه محمد بن عثمان فاعتذر بانه انما امتثل وصيته فاستشاط وتهدده
واستمع الخبر فيه ... وارتحل محمد بن عثمان بسلطانه ومدده من عسكر
الاندلس الى ان احتل بجبل زرهون المطل على مكناسة وعسكر به واشتملوا

عليه وزحف اليهم الوزير ابو بكر وصعد الجبل فقاتلوه وهزموه ورجع الى
مكانه بظاهر دار الملك وكان السلطان ابن الاحمر قد اوصى محمد بن عثمان
بالاستغناء بالامير عبد الرحمن والاعتضاد به ومساهمته في جانب من
اعمال المغرب يستبد به لنفسه فراسله محمد بن عثمان في ذلك واستدعاه
واستماله وكان ونزمار بن عريف ولي سلفهم قد اظلم الجو بينه وبين
الوزير ابي بكر لانه ساله وهو محاصر تازى في الصلح مع الامير عبد الرحمن
فامتنع واتهمه بمداخلته والميل له فاعتزم على القبض عليه ودس اليه بذلك
بعض عيونه فركب الليل ولحق باحياء الاحلاف من المعقل وكانوا شيعة للامير
عبد الرحمن ومعهم علي بن عمر الويغلاني كبير بني ورتاجن كان انتقض على الوزير
ابن غازي ولحق بالسوس ثم خاض القفر الى هؤلاء الاحلاف فنزل بينهم
معتملا لدعوة الامير عبد الرحمن فجاءهم ونزمار مفلتا من حباله الوزير ابي بكر
وحرضهم على ما هم فيه ثم بلغهم خبر السلطان احمد بن ابي سالم ووزيره
محمد بن عثمان وجاءهم وافد الامير عبد الرحمن يستدعيهم وخرج من تازى
فلقيهم ونزل بين احيائهم ورحلوا جميعا الى امداد السلطان ابي العباس حتى انتهوا
الى صفروي ثم اجتمعوا جميعا على وادي النجا وتعاقدوا على شانهم
واحتفل الوزير ابو بكر واصبحوا من الغد على التعبية كل من ناحيته وركب
الوزير ابو بكر لقتالهم فلم يطق وولى منهزما فانحجر بالبلد الجديد وخيم
القوم بكدية العرائس محاصرين له وذلك ايام عيد الفطر من خمس
وسبعين فحاصروها ثلاثة اشهر واخذوا بمخنقها الى ان جهد الحصار
الوزير ومن معه فاذعن للصلح على خلع الصبي المنصوب السعيد بن السلطان
عبد العزيز وخروجه الى السلطان ابي العباس ابن عمه والبيعة وكان
السلطان ابو العباس والامير عبد الرحمن قد تعاهدوا عند الاجتماع
بوادي النجا على التعاون والتناصر على ان الملك للسلطان عبد العزيز
لسائر اعمال المغرب وان للامير عبد الرحمن بلد سجلماسة ودرعة
والاعمال التي كانت لجده السلطان ابي علي اخي السلطان ابي الحسن ثم بدا

للامير

للامير عبد الرحمن في ذلك ايام الحصار واشتط بطلب مراكش واعمالها فاغضوا له
في ذلك وشارطوه عليه حتى يتم لهم الفتح فلما انعقد ما بين السلطان ابي العباس والوزير ابي بكر
وخرج اليه من البلد الجديد وخلع سلطانه الصبي المنصوب ودخل السلطان ابو العباس
الى دار الملك فاتح ست وسبعين وارتحل الامير عبد الرحمن يغذ السير الى مراكش وبدا للسلطان
ابي العباس ووزيره محمد بن عثمان في شانه فسرحوا العساكر في اتباعه وانتهوا اخلفه الى وادي
بهت فواقفوه ساعة من نهار ثم احجموا عنه وولوا على ادبارهم وسار هو الى مراكش ورجع
عنه وزيره مسعود بن ماساي بعد ان طلب منه الاجازة الى الاندلس يتودع بها فسرحه
لذلك وسار الى مراكش فملكها واما انا فكنت مقيما بفاس في ظل الدولة وعنايتها منذ
قدمت على الوزير سنة اربع وسبعين كما مر عاكفا على قراءة العلم وتدريسه فلما جاء السلطان
ابو العباس والامير عبد الرحمن وعسكروا بكدية العرائس وخرج اهل الدولة اليهم من الفقهاء
والكتاب والجند واذن للناس جميعا في مباكرة ابواب السلطانين من غير نكير في ذلك
فكنت اباكرهما معا وكان بيني وبين الوزير محمد بن عثمان ما مر ذكره من هذا فكان يظهر لي رعاية ذلك
ويكثر من المواعيد وكان الامير عبد الرحمن يميل الي ويستدعيني اكثر اوقاته يشاورني في
احواله فغص بذلك الوزير محمد بن عثمان واغرى سلطانه فقبض علي وسمع الامير عبد الرحمن
بذلك وعلم اني انما اتيت من جراه فحلف ليقوضن خيامه وبعث وزيره مسعود بن ماساي
لذلك فاطلقوني من الغد ثم كان افتراقهما لثالثه ودخل السلطان ابو العباس دار الملك
وسار الامير عبد الرحمن الى مراكش وكنت انا يومئذ مستوحشا فصحبت الامير عبد الرحمن
معتزما على الاجازة الى الاندلس من ساحل اسفي معولا في ذلك على صحابة الوزير مسعود
ابن ماساي لهواي فيه فلما رجع مسعود انثنى عزمي انثنى عزمي في ذلك ولحقنا بونزمار
ابن عريف بمكانه من نواحي كرسيف لنقدمه وسيلة الى السلطان ابي العباس صاحب
فاس في الجواز الى الاندلس ووافينا عنده داعي السلطان فصحبناه الى فاس واستاذنته في
شاني فاذن لي بعد مطاولة وعلى كره من الوزير محمد بن عثمان وسليمان بن داود بن اعراب
ورجال من الدولة وكان الاخ يحيى لما ارتحل السلطان ابو حمو من تلمسان رجع عنه من بلاد زغبة
الى السلطان عبد العزيز فاستقر في خدمته وبعده في خدمة ابنه المنصوب مكانه ولما استولى
السلطان ابو العباس على البلد الجديد استاذن الاخ في اللحاق بتلمسان فاذن له وقدم على

السلطان ابي حمو فاعاده الى كتابة سره كما كان اول مره واذن لي بعد ذلك في الانطلاق
الى الاندلس بقصد القرار والدعة الى ان كان ما نذكره ٥

الاجازة ثانية الى الاندلس ثم الى تلمسان واللحاق باحياء العرب والمقامة عند اولاد عريف ٥

ولما كان ما قصصته من تنكر السلطان ابي العباس صاحب فاس والذهاب مع الامير عبد الرحمن ثم الرجوع عنه الى ونزمار بن عريف طلبا للوسيلة في انصرافي الى الاندلس بقصد القرار والانقباض والعكوف على قراءة العلم فتم ذلك ووقع الاسعاف به بعد الامتناع واجزت الى الاندلس في ربيع ست وسبعين ولقيني السلطان بالبر والكرامه وحسن النزل على عادته وكنت لقيت بجبل الفتح كاتب السلطان ابن الاحمر من بعد ابن الخطيب الفقيه ابا عبد الله بن زمرك ذاهبا الى فاس في غرض التهنئة واجاز الى سبتة في اسطوله واوصيته باجازة اهلي وولدي الى غرناطة فلما وصل الى فاس وتحدث مع اهل الدولة في اجازتهم تنكروا لذلك وساءهم استقراري بالاندلس واتهموا اني ربما احمل السلطان ابن الاحمر على الميل الى الامير عبد الرحمن الذي اتهموني بملابسته ومنعوا اهلي من اللحاق بي وخاطبوا السلطان ابن الاحمر في ان يرجعني اليهم فابى من ذلك فطلبوا منه ان يجيزني الى عدوة تلمسان وكان مسعود بن ماساي قد اذنوا له في اللحاق بالاندلس فحملوه مشافهة السلطان بذلك وابدوا له اني كنت ساعيا في خلاص ابن الخطيب وكانوا قد اعتقلوه لاول استيلائهم على البلد الجديد وظفرهم به وبعث الي ابن الخطيب من محبسه مستصرخا بي ومتوسلا فخاطبت في شانه اهل الدولة وعولت فيه منهم على ونزمار وابن ماساي فلم تنجح تلك السعاية وقتل ابن الخطيب بمحبسه فلما قدم ابن ماساي على السلطان ابن الاحمر وقد اغروه بي والقى الى السلطان ما كان مني في شان ابن الخطيب فاستوحش لذلك واسعفهم باجازتي الى العدوة ونزلت بهنين والجو بيني وبين السلطان ابي حمو مظلم بما كان مني في اجلاب

العرب

العرب عليه بالزاب كما مر فاوعز بمقامي بهنين ثم وفد عليه محمد بن عريف فعذله في شاني فبعث عني الى تلمسان واستقررت بها بالعباد واخذت في بث العلم وعرض للسلطان ابي حمو اثناء ذلك راي في الذواودة وحاجة الى استئلافهم فاستدعاني وكلفني السفارة اليهم في هذا الغرض فاستوحشت منه ونكرته على نفسي لما اثرته من التخلي والانقطاع واجبته الى ذلك ظاهرا وخرجت مسافرا من تلمسان حتى انتهيت الى البطحاء فعدلت ذات اليمين ولحقت باحياء اولاد عريف قبلة جبل كزول فتلقوني بالتحفي والكرامه واقمت بينهم اياما حتى بعثوا عن اهلي وولدي من تلمسان واحسنوا العذر الى السلطان عني في العجز عن قضاء خدمته وانزلوني باهلي في قلعة ابن سلامه من بلاد بني توجين التي صارت لهم باقطاع السلطان فاقمت بها اربعة اعوام متخليا عن الشواغل كلها وشرعت في تاليف هذا الكتاب وانا مقيم بها واكملت المقدمة منه على ذلك النحو الغريب الذي اهتديت اليه في تلك الخلوة فسالت فيها شابيب الكلام والمعاني على الفكر حتى امتخضت زبدتها وتالفت نتائجها وكانت من بعد ذلك الفيئة الى تونس كما نذكره

الفيئة الى تونس والمقام بها

ولما نزلت بقلعة ابن سلامه من احياء اولاد عريف وسكنت منها بقصر ابي بكر بن عريف الذي اختطه بها وكان من احفل المساكن واوثقها ثم طال مقامي هنالك وانا مستوحش من دولة المغرب وتلمسان وعاكف على تاليف هذا الكتاب وقد فرغت من مقدمته الى اخبار العرب والبربر وزناته وتشوقت الى مطالعة الكتب والدواوين التي لا توجد الا بالامصار بعد ان امليت الكثير من حفظي واردت التنقيح والتصحيح ثم طرقني مرض اوفى بي على الثنية لولا ما تدارك من لطف الله فحدث عندي ميل الى مراجعة السلطان ابي العباس والرحلة الى تونس حيث قرار ابائي ومساكنهم واثارهم وقبورهم فبادرت الى خطاب السلطان بالفيئة الى طاعته والمراجعة وانتظرت فما كان غير بعيد واذا بخطابه وعهوده

ولحق بي اهلي وولدي من فاس واقاموا معي وذلك في عيد الفطر سنة ... وسبعين ... الى الاندلس

السلطان ابو العباس

بالامان والاستحثاث للقدوم فكان الخفوف للرحلة وظعنت عن اولاد
عريف مع عرب الاخضر من بادية رياح كانوا هنالك ينتجعون الميرة بمنداس
وارتحلنا في رجب سنة ثمانين وسلكنا القفر الى الدوسن من اطراف الزاب
ثم صعدت الى التل مع حاشية يعقوب بن علي وجدتهم بفرفار الضيعة
التي اختطها بالزاب ورحلتهم معي الى ان نزلنا عليه بضاحية قسنطينة ومعه صاحبها
الامير ابرهيم بن السلطان ابي العباس بمخيمه وفي عسكره فحضرت عنده وقسم لي
من بره وكرامته فوق الرضى واذن لي في الدخول الى قسنطينة واقامة اهلي
في كفالة احسانه ريثما اصل الى حضرة ابيه وبعث يعقوب بن علي معي ابن اخيه ابي دينار
في جماعة من قومهم وسرنا الى السلطان ابي العباس وهو يومئذ قد خرج
من تونس في العساكر الى بلاد الجريد لاستنزال شيوخها عن كراسي الفتنة
التي كانوا عليها فوافيته بظاهر سوسة فحيا وفادتي وبر مقدمي وبالغ في تانيسي
وشاورني في مهمات اموره ثم ردني الى تونس واوعز الى نائبه بها مولاه فارح
بتهيئة المنزل والكفاية من الجراية والعلوفة وجزيل الاحسان فرجعت الى
تونس في شعبان من السنة وأويت الى ظل ظليل من عناية السلطان وحرمته
وبعثت عن الاهل والولد وجمعت شملهم في مرعى تلك النعمة والقيت عصى
التسيار وطالت غيبة السلطان الى ان افتتح امصار الجريد وذهب فلهم
في النواحي ولحق زعيمهم يحيى بن يملول ببسكرة ونزل على صهره ابن مزني
وقسم السلطان بلاد الجريد بين ولده فانزل ابنه محمد المنتصر بتوزر وجعل
نفطة ونفزاوة من اعماله وانزل ابنه ابا بكر بقفصة وعاد الى تونس
مظفرا ماهدا فاقبل علي واستدناني لمجالسته والنجي في خلوته فغص بطانته
بذلك وافاضوا في السعايات عند السلطان فلم تنجح وكانوا يعكفون على
امام الجامع وشيخ الفتيا محمد بن عرفة وكانت في قلبه نكتة من الغيرة من لدن اجتماعنا
في المربى بمجالس الشيوخ فكثيرا ما كان يظهر شفوفي عليه وان كان اسن مني فاسودت
تلك النكتة في قلبه ولم تفارقه ولما قدمت تونس انثال علي طلبة العلم
من اصحابه وسواهم يطلبون الافادة والاشتغال واسعفتهم بذلك فعظم عليه
وكان

وكان يسر التنفير الى الكثير منهم فلم يقبلوا واشتدت غيرته ووافق ذلك اجتماع
البطانة اليه فاتفقوا على شانهم في التاليب علي والسعاية بي والسلطان خلال
ذلك معرض عنهم في ذلك وقد كلفني بالاكباب على تاليف هذا الكتاب لتشوفه
الى المعارف والاخبار واقتناء الفضائل فاكملت منه اخبار البربر وزناتة
وكتبت من اخبار الدولتين وما قبل الاسلام ما وصل الي منها واكملت منه نسخة
رفعتها الى خزانته وكان مما يغرون به السلطان علي قلة امتداحي له
فاني كنت قد اهملت الشعر وانتحاله جملة وتفرغت للعلم فقط فكانوا يقولون
له انما ترك ذلك استهانة بسلطانك لكثرة امتداحه للملوك قبلك وتنسمت
ذلك عنهم من جهة بعض الصديق من بطانتهم فلما رفعت له الكتاب وتوجته
باسمه انشدته ذلك اليوم هذه القصيدة امتدحه واذكر سيره وفتوحاته
واعتذر عن انتحال الشعر واستعطفه بهدية الكتاب اليه وهي هذه ٥

هل غير بابك للغريب مؤمل او عن جنابك للاماني معدل
هي همة بعثت اليك على النوى عزما كما شحذ الحسام الصيقل
متبوأ الدنيا ومنتجع المنى والغيث حيث العارض المتهلل
حيث القصور الزاهرات منيفة تعنى بها زهر النجوم وتحفل
حيث الخيام البيض ترفع للقرى قد غام في ارجائهن المندل
حيث الحمى للعز في ساحاته ظل افاءته الوشيج الذبل
حيث الرماح يكاد يورق عودها مما تعل من الدماء وتنهل
حيث الجياد املهن بنو الوغى مما اطالوا في المغار واوغلوا
حيث الوجوه الغر قنعها الحيا والبشر في صفحاتها يتهلل
حيث الملوك الصيد والنفر الالى عز الجوار لديهم والمنزل
من شيعة المهدي بل من شيعة التوحيد جاء به الكتاب يفصل
بل شيعة الرحمن القى حبهم في خلقه فسموا بذاك وفضلوا
شادوا على التقوى مباني عزهم لله ما شادوا بذاك واثلوا
قوم ابو حفص اب لهم وما ادراك والفاروق جد اول

نسبٌ كما اطّردتْ انابيبُ القنا واتا على تقويمهنّ معدّلُ
سامٍ على هام الزمان كانه للفخر تاجٌ بالبدور مكلّلُ
فَضَلَ الانامَ حديثهم وقديمهم ولانتَ ان فضلوا اعزُّ وافضلُ
وبنوا على قلل النجوم ووطّدوا وبناؤك العالي اشدُّ واطولُ
ولقد اقول لخائضٍ بحرَ الفلا والليلُ مُربَدُّ الجوانب أليلُ
ماضٍ على غول الدجى لا يتّقي تيهًا وذابلهُ ذبالٌ مُشعَلُ
متقلّدٌ فوق الرحال كانه طيفٌ باطراف المهاد موكّلُ
يبغي منال الفوز من طرق الغنى ويرود مخصبها الذي لا يمحلُ
أرِح الركاب فقد ظفرتَ بواهبٍ يعطي عطاء المنعمين فيجزلُ
لله من خلقٍ كريمٍ في الندى كالروض حيّاه ندًى مُتخضِّلُ
هذا امير المومنين امامنا في الدين والدنيا اليه الموئلُ
هذا ابو العباس خيرُ خليفةٍ شهدت له الشيمُ التي لا تجهلُ
مستنصرٌ بالله في قهر العدى وعلى إعانة ربه متوكلُ
سبق الملوكَ الى العلى متمهّلا لله منك السابقُ المتمهّلُ
ولانت اعلى المالكين وان غدوا يتسابقون الى العلاء واكملُ
فابسُط يدًا بمانكم بقديمهم فالامر فيه واضحٌ لا يجهلُ
دانوا لقومكم باقوم طاعةٍ هي عروة الدين التي لا تفصلُ
سائل تلمسانًا بها وزناتةً ومرينَ قبلهمُ كما قد ينقلُ
واسأل باندلسٍ مدائنَ مُلكها تخبرك حين استنبطوا سُوا واستوهلوا
واسأل بذا مراكشًا وقصورها ولقد تجيب رسومها من يسألُ
يا ايها الملك الذي في نعته ملكُ القلوب وفوق ما يتمثّلُ
لله منك مؤيَّدٌ عزماتُهُ تمضي كما يمضي القضاء المرسَلُ
جبتَ الزمانَ بحيث أعضلَ خطبُهُ فافترّ عنه وهو اكلحُ أعصلُ
والشملُ من ابنائه متصدّعٌ وحمى خلافته مضاعٌ مهملُ
والخلقُ قد صرفوا اليك قلوبهم ورجوا اصلاح الحال منك واملوا

فجلله

فجلّلتهُ لما انتدبتَ للامر بالباس والعزم الذي لا يُمهَلُ
ذلّلتَ منه جامحًا لا ينثني سهّلتَ وعرًا كاد لا يتسهّلُ
وألنتَ من شرس القناة وذدتهم عن ذلك الحوم الذي قد حلّلوا
كانت لصولةَ صولةٌ ولقومه نجدٌ وذويبٌ بها ونسطوا المعقلُ
ومهلهلٌ تشتدي وتحتمي في التي ما احكموها بعدُ فهي مهلهلُ
المراد بصولة هنا صولة بن خالد بن حمزة امير اولاد ابي الليل وذويب
هو ابن عمه احمد بن حمزة والمعقل قوم من العرب من احلافهم ومهلهل هم
بنو مهلهل بن قاسم انظارهم واقتالهم ثم رجع الى وصف العرب واحبابهم
عجبَ الانامُ لشانهم بادون قد قذفت بهم المطيُّ الذُلّلُ
رفعوا القبابَ على العماد وعندها الجردُ السلاهبُ والرماحُ العسّلُ
في كل طامي الترب منقد الحصى تهوي لنجته الظماء فتنهلُ
جنٌّ شرابهم السراب ورزقهم رمحٌ يروح به الكميُّ ومنصلُ
حيٌّ حلولٌ بالعراء ودونهم قذف النوى ان يظعنوا او يقبلوا
كانوا ابرّ وعوف الملوك بما بدوا وغدت ترقّه بالنعيم وتخضلُ
فبدوتَ لا تلوي على دعةٍ ولا تاوي الى ظل القصور تبدّلُ
طورًا يصًا تحلّ الهجيرَ وتارةً فيه بمخفاق البنود تظلّلُ
واذا تعاطى ضمّرًا يوم الوغى كاس النجيع فالصهيل تعلّلُ
مخشوشنًا في العز معتملا له في مثل هذا يحسن المستعملُ
تفري حشا البيداء لا يسري بها ركبٌ ولا يهوي اليها جحفلُ
وتجرّ اذيال الكتائب فوقها تختال في السمر الطوال وترفلُ
ترميهم منها بكل مدجّجٍ شاكي السلاح اذا استعار الاعزلُ
وبكل اسمر غصنه متاوّدٌ وبكل ابيض شطّه متهدّلُ
حتى تفرّق ذلك الجمعُ الالى عصفت بهم ريح الجلاد فزلزلوا
ثم استملتهم بنعمتك التي خضعوا لعزّك بعدها وتذللوا
ونزعت من اهل الحرب غوايةً كانت بهم ابدًا تجدّ وتهزلُ

حَرَبت من بنيانهاما شيدوا وقطعت من أسبابها ما أصلوا
ونظمت من امصارها وثغورها للملك عقدا بالفتوح يفصل
فسددت مطلع النفاق وانت لا تنبو ظباك ولا العزيمة تنكل
بشكيمة مرهوبة وسياسة تجري كما يجري فرات سلسل
عذبت الزمان لها ولذ مذاقه من بعد ما قد مر منه الحنظل
فضوي الانام لعز اروع مالك سهل الخليقة ماجد متفضل
وتطابقت فيك القلوب على الرضى سيان منها الطفل والمتكهل
يا مالكا وسع الزمان واهله دعة وامنا فوق ما قد أملوا
فالارض لا يخشى بها غول ولا يعدو بساحتها الهزبر المشبل
والسفر يجتابون كل تنوفة سرب القطا ما راعهن الاجدل
سبحان من بعلاك قد احيا المنى واعاد حلي الجيد وهو معطل
سبحان من بهداك اوضح للورى قصد السبيل فابصر المتأمل
فكانما الدنيا عروس تجتلي فتميس في حلل الجمال وترفل
وكان مطبقة البلاد بعدله عادت فسيحا ليس فيه مجهل
وكان انوار الكواكب ضوعفت من نور غرته التي هي اجمل
وكانما رفع الحجاب لناظر فراى الحقيقة في الذي يتخيل
مولاي غاضت فكرتي وتبلدت مني الطباع فكل شيء مشكل
تسمو الى درك الحقائق همتي فاصد عن ادراكهن واعزل
واجد ليلي في امتراء قريحتي وتعود غورا بينما تسترسل
فابيت يغلق الكلام بخاطري والنظم يشرد والقوافي تجفل
واذا امتريت العفو منه جاهدا غابت الجهابذ صنعه واسترذلوا
من بعد حول انتقيه ولم يكن في الشعر حولي تعاب ويهمل
فاصونه عن اهله متواريا ان لا يضمهم وشعري محفل
ولي البضاعة في القبول نفاقها سيان فيها المحفل والمتطفل
وبنات فكري ان اتتك كليلة مرهاة عطر في القصود وتخطل

فلها

فلها الفخار اذا منحت قبولها وانا على ذاك البليغ المقول

ومنها في ذكر الكتاب المولف لخزانته

والبك من سير الزمان واهله عبرا يدين بفضلها من يعدل
صحفا تترجم عن احاديث الالى غبروا فتجمل عنهم وتفصل
تبدي التبابع والعمالق سرها وثمود قبلهم وعاد الاول
والقائمون بملة الاسلام من مضر وبربرهم اذا ما حصلوا
لخصت كتب الاولين لجمعها وانيت اولها بما قد اغفلوا
والنت حوشي الكلام كانما شرد اللغات بها لنطقي ذلل
اهديت منه الى علاك جواهرا مكنونة وكواكبا لا تافل
وجعلته لصوان ملكك مفخرا يبأى الندي به ويزهو المحفل
والله ما اسرفت فيما قلته شيا ولا الاسراف مما يجمل
ولانت ارسخ في المعارف رتبة من ان يموه عنده متطفل
فملاك كل فضيلة وحقيقة بيديك تعرف وضعها ان بدلوا
وللحق عدل في الامور مقدم ابدا فما ذا يدعيه المبطل
والله اعطاك التي لا فوقها فاحكم بما ترضى فانت الاعدل
ابقاك ربك للعباد تربهم فالله يخلفهم ورعيك يكفل

وكنت لما انصرفت عنه من معسكره على سوسه الى تونس بلغني وانا مقيم بها
انه اصابه في طريقه مرض وعقبه ابلال فخاطبته بهذه القصيدة

ضحكت وجوه الدهر بعد عبوس وتجللتنا رحمة من بوس
وتوضحت غرر البشائر بعد ما انبهمت فاطلعها حداه العيس
صدعوا بها ليل الهموم كانما صدعوا الظلام بجذوة المقبوس
فكانهم نثروا جمانة في الورى نشرت لها الامال من مرموس
قرت عيون الخلق منها بالتي اضفت من النعماء خير لبوس
فكان قومي نادمتهم قرقف شربوا النعيم لها بغير كؤوس
يتمايلون من المسرة والرضى ويقابلون اهلة بشموس

درجوا

ومنها في الفخر عن مرضه

من راكبٍ وافى بجي راكبا وجليس انسٍ قاده لجليس
ومشفع لله يونس عنده انر الهدى في المعهد المانوس
يجد منها رحمة قدسية فيبوء للرحمن بالتقديس
طب باخلاص الدعاء وانه يشفي من الداء العياء وبوسي
والمعني به امام الجامع الاعظم جامع الزيتونه بتونس
بابن الخلايف والذين بنورهم نهجت سبيل الحق بعد دروس
والناصر الدين القويم بعزمة طرد استقامتها بغير عكوس
هجر المنى فيها ولذات المنى في لذة التهجير والتغليس
حاط الرعية بالسياسة فانضوت منه لاكرم ملك وسوس
اسد يحامي عن حمى اشباله حتى ضوى وامنه لامنع خيس
فسما بوشي البطاح وقد غدت تختال زهوا في ثياب عروس
والمائلات من الحنايا جثما تحبو بعز طسم وفل جديس
خوص مضمرة البطون كانها انضاد ركب في الفلاة جبيس
وخزائن البلى منها العوارب والذرى فلقين حرزا بالعيون الشوس
لبقاك حرز للانام وعصمة وجاه ارواح لنا ونفوس
ولانت كافل ديننا بحماية لولاك ضيع عهدها ونسي
الله اعطاك التي لا فوقها وحباك خط البشر بالموكوس
تعنو القلوب اليك قبل وجوهنا سيان من راس ومن مرؤوس
فاذا اقمت فان رعبك راحل يحمي على الاعداء كل وطيس
واذا رحلت فللسعادة راية تقتادها في موكب وخميس
وادا الادلة في الكمال تطابقت جاءت بمسموع لها ومقيس
فانعم بملكك دولة عادية تشفي الاعادي بالعذاب البيس
واليكها مني على خجل بها عذراء قد جليت بكل نفيس
عذرا فقد طمس الشباب ونوره واضا صبح الشيب عند طموس
لولا عنايتك التي اوليتني ما كنت اعنى بعدها بطروس

والله

والله ما ابقت ممارسة النوى مني سوى مرس احم دريس
انحى الزمان عليه في الادب الذي دارسته بمجامع ودروس
فسطا على وفري وروع تماسي واجتث من دوح النشاط غروسي
ورضاك رحمتي التي اعتدها تحيي مني نفسي وتذهب بوسي

ثم كثرت سعاية البطانة بكل نوع من انواع السعايات وابن عرفة يزيد في اغرايهم متى اجتمعوا اليه الى ان اغروا السلطان بسفري معه ولقنوا النايب بتونس القايد فارح من موالي السلطان ان يتفادى من مقامي معه خشية على امره مني بزعمه وتواطوا على ان يشهد ابن عرفه بذلك للسلطان فشهد به في غيبة مني ونكر السلطان عليهم ذلك ثم بعث الي وامرني بالسفر معه فسارعت الى الامتثال وقد شق ذلك علي الا اني لم اجد محيصا فخرجت معه وانتهيت الى تبسه وسط تلول افريقية وكان مجدا الى عساكره وتوالنهه من العرب الى توزر لان ابن يملول كان اجلب عليها سنة ثلاث وثمانين واسترد ها من يد ابنه فسار السلطان اليه وشرده عنها واعاد اليها ابنه واولياءه ولما نهض من تبسه رجعني الى تونس فاقمت بضيعتي الرياحين من نواحيها لضم زروعي بها الى ان قفل السلطان ظافرا منصورا فصحبته الى تونس ولما كان شهر شعبان من سنه اربع وثمانين اجمع السلطان الحركه الى الزاب بما كان صاحبه ابن مزني قد اوى ابن يملول اليه ومهد له في جواره فخشيت ان يعود في شاني ما كان في السفر قبلها وكانت بالمرسى سفينة لتجار الاسكندرية قد شحنها التجار بامتعتهم وعروضهم وهي مقلعة الى الاسكندرية فتطارحت على السلطان وتوسلت اليه في تخلية سبيلي لقضاء فرضي فاذن لي في ذلك وخرجت الى المرسا والناس متسايلون على اثري من اعيان الدوله والبلد وطلبة العلم فودعتهم وركبت البحر منتصف شعبان من السنة وقوضت عنهم بحيث كانت الخيرة من الله سبحانه
٥ وتفرغت لتجديد ما كان عندي من اثار العلم والله ولي الامور سبحانه
٥ الرحله الى المشرق وولاية القضاء بمصر

ولما رحلت من تونس منتصف شعبان من سنه اربع وثمانين اقمنا في البحر نحوا من اربعين ليلة ثم وافينا مرسى الاسكندرية يوم الفطر ولعشر ليال من جلوس الملك الظاهر على التخت واقتعاد كرسي الملك دون اهله بني قلاون وكنا على ترقب ذلك لما كان يوثر بنواحيه البلاد من سموه لذلك وتمهيده له واقمت بالاسكندريه شهرا لتهيئة اسباب الحج ولم يقدر عامئذ فانتقلت الى القاهره

اول ذي القعده فرايت حضرة الدنيا وبستان العالم ومحشر الامم ومدرج الذر من البشر
وايوان الاسلام وكرسي الملك تلوح القصور والاواوين في جوه وتزهر الخوانك
والمدارس بآفاقه وتضيء البدور والكواكب من علمايه قد مثل بشاطي بحر النيل نهر الجنة
ومدفع مياه السماء يسقيهم النهل والعلل سيحه ويجبي اليهم الثمرات والخيرات ثجه
ومررت في سكك المدينة تغص بزحام المارة واسواقها تزخر بالنعم وما زلنا نحدث
عن هذا البلد وبعد مداه في العمران واتساع الاحوال ولقد اختلفت عبارات من لقيناه
من شيوخنا واصحابنا حاجهم وتاجرهم بالحديث عنه سالت صاحبنا قاضي الجماعة بفاس
وكبير العلماء بالمغرب ابا عبد الله المقري فقلت له كيف هذه القاهرة فقال من لم يرها لم يعرف
عز الاسلام وسالت شيخنا ابا العباس بن ادريس كبير العلماء ببجايه مثل ذلك فقال كانما انطلق اهله
من الحساب يشير الى كثرة اممه وامنهم العواقب وحضر صاحبنا قاضي العسكر بفاس الفقيه الكاتب
ابو القاسم البرجي بمجلس السلطان ابي عنان منصرفه من السفارة عنه الى ملوك مصر وتادية رسالته النبوية
الى الضريح الكريم سنه ست وخمسين وساله عن القاهرة فقال اقول في العبارة عنها على سبيل
الاختصار ان الذي يتخيله الانسان فانما يراه دون الصورة التي تخيلها لاتساع الخيال عن كل محسوس
الا القاهرة فانها اوسع من كل ما يتخيل فيها فاعجب السلطان والحاضرون بذلك ولما دخلتها اقمت
اياما وانثال علي طلبة العلم بها يلتمسون الافادة مع قلة البضاعة ولم يوسعوني عذرا فجلست
للتدريس بالجامع الازهر منها ثم كان الاتصال بالسلطان فابر اللقاء وانس الغربة ووفر الجراية من صدقاته
شانه مع اهل العلم وانتظرت لحاق اهلي وولدي من تونس وقد صدهم السلطان هنالك عن السفر
اغتباطا بعودي اليه فطلبت من السلطان صاحب مصر الشفاعة اليه في تخليه سبيلهم فخاطبه في ذلك ثم هلك
بعض المدرسين بمدرسه القمحيه بمصر من وقف صلاح الدين بن ايوب فولاني تدريسها مكانه وبينا انا
في ذلك اذ سخط السلطان قاضي المالكيه في دولته لبعض النزعات فعزله وهو رابع اربعه بعدد المذاهب
يدعى كل منهم قاضي القضاة تمييزا عن الحكام بالنيابة عنهم لاتساع خطة هذا المعمور وما يرتفع من
الخصومات في جوانبه وكبير جماعتهم قاضي الشافعيه لعموم ولايته في الاعمال شرقا وغربا وبالصعيد
والفيوم واستقلاله بالنظر في اموال الايتام والوصايا ولقد يقال ان مباشر السلطان قديما بالولايه
انما كانت تكون له فلما عزل هذا القاضي المالكي سنه ست وثمانين اختصني السلطان بهذه الولاية تاهيلا
لمكاني وتنويها بذكري وشافهته بالتفادي من ذلك فابى الا امضاءه وخلع علي بايوانه وبعث من كبار الخاصة
من

البينات والنظر في عدالة المنتصبين لتحمل الشهادات فقد كان البر منهم
مختلطا بالفاجر والطيب ملتبسا بالخبيث والحكام ممسكون عن انتقادهم
متجاوزون عما يظهرون عليه من هناتهم لما يموهون به من الاعتصام باهل
الشوكه فان غالبهم مختلطون بالامراء معلمين للقران وايمة في الصلوات
يلبسون عليهم بالعداله فيظنون بهم الخير ويقسمون لهم الحظ من الجاه في
تزكيتهم عند القضاة والتوسل لهم فاعضل داوهم وفشت المفاسد بالتزوير
والتدليس بين الناس منهم ووقفت على بعضها فعاقبت فيه بموجع العقاب
ومولم النكال وتادى الي العلم بالجرح في طايفه منهم فمنعتهم من تحمل الشهادة
وكان منهم كتاب لدواوين القضاة والتوقيع في مجالسهم قد دربوا على املاء
الدعاوى وتسجيل الحكومات واستخدموا للامراء فيما يعرض لهم من العقود
باحكام كتابتها وتوثيق شروطها فصار لهم بذلك شفوف على اهل طبقتهم
وتمويه على القضاة بجاههم يدرعون به مما يتوقعونه من عتبهم لتعرضهم
لذلك بفعلاتهم وقد يسلط بعض منهم قلمه على العقود المحكمه فيوجد السبيل
الى حلها بوجه فقهي او كتابي ويبادر الى ذلك متى دعاه اليه داعي جاه او
منحة وخصوصا في الاوقاف التي جاوزت حد النهاية في هذا المصر بكثرة
عوالله فاصبحت خافية الشهرة مجهولة الاعيان عرضة للبطلان باختلاف
المذاهب المنصوبة للحكام بالبلد فمن اختار فيها بيعا او تمليكا شارطوه واجابوه
مفتاتين فيه على الحكام الذين ضربوا دونه سد الحظر والمنع
حمايه عن التلاعب وفشا من ذلك الضرر في الاوقاف وطرق الغرر في العقود
والاملاك فعاملت الله في حسم ذلك بما اسفهم علي واحقدهم ثم التفت
الى اهل الفتيا بالمذهب وكان الحكام منهم على جانب من الحيرة لكثرة معارضتهم
وتلقينهم الخصوم وفتياهم بعد نفوذ الحكم واذا فيهم اصاغر بيناهم يتشبثون
باذيال الطلب والعداله ولا يكادون اذ ابهم طفروا الى مراتب الفتيا والتدريس
فاقتعدوها وتناولوها بالجزاف واجازوها من غير مرتب ولا مستند
للاهليه ولا مرشح اذ الكثرة فيهم بالغة ومن كثرة الساكن مشتقه وقلم

الفتيا فى هذا المصر طلق وعنانها مرسل يجاذب كل الخصوم منه رسنا ويتناول
من حافتيه شقا يروم به الفلج على خصمه ويستظهر به لارغامه فيعطيه المفتى من
ذلك ملء رضاه وكفاء امنيته متتبعا اياه فى شعاب الخلاف فتتعارض
الفتاوى وتتناقض ويعظم الشغب ان وقعت بعد نفوذ الحكم والخلاف فى
المذاهب كثير والانصاف متعذر واهلية المفتى او شهرة الفتيا ليس تمييزها
للعامى فلا يكاد هذا المدد ينحسم ولا الشغب ينقطع فصدعت فى ذلك بالحق
وكبحت اعنة اهل الهوى والجهل ورددتهم على اعقابهم وكان فيهم ملتقطون
سقطوا من المغرب يشعوذون بمفترق من اصطلاحات العلوم هنا وهناك
لا ينتمون الى شيخ مشهور ولا يعرف لهم كتاب فى فن قد اتخذوا الناس هزؤا
وعقدوا المجالس مثلبة للاعراض ومابنة للحرم فارغمهم ذلك منى وملأهم
حسدا وحقدا علىّ وخلوا الى اهل جلدتهم من سكان الزوايا المنتحلين
للعبادة يشترون بها الجاه ليجيروا به على الله وربما اضطر اهل الحقوق الى
تحكيمهم فيحكمون بما يلقى الشيطان على السنتهم يترخصون به للاصلاح لا يزعهم
الدين عن التعرض لاحكام الله بالجهل فقطعت الحبل فى ايديهم وامضيت
احكام الله فيمن اجاروه فلم يغنوا عنه من الله شيا واصبحت زواياهم
مهجورة وبيرهم التى يمتاحون منها معطلة وانطلقوا يراطنون السفهاء
فى النيل من عرضى وسوء الاحدوثة عنى بمختلق الافك وقول الزور يبثونه فى
الناس ويدسون الى السلطان التظلم منى فلا يصغى اليهم وانا فى ذلك محتسب
عند الله ما منيت به من هذا الامر ومعرض فيه عن الجاهلين وماض على سبيل سواء
من الصرامة وقوة الشكيمة وتحرى المعدلة وخلاص الحقوق والتنكب
عن خطة الباطل متى دعيت اليها وصلابة العود عن الجاه والاغراض متى غمزنى
لامسها ولم يكن ذلك شان من رافقته من القضاة فنكروه علىّ ودعونى الى
تبعهم فيما يصطلحون عليه من مرضات الاكابر ومراعاة الاعيان والقضاء
للجاه بالصور الظاهرة او دفع الخصوم اذا تعذرت بناء على ان الحاكم لا يتعين
عليه الحكم مع وجود غيره وهم يعلمون ان قد تمالئوا عليه وليت شعرى

ما

ما عذرهم فى الصور الظاهرة اذا علموا خلافها والنبى صلى الله عليه وسلم
يقول فى ذلك من قضيت له من حق اخيه شيا فانما اقضى له من النار فابيت فى ذلك
كله الا اعطاء العهدة حقها والوفاء لها ولمن قلدنيها فاصبح الجميع علىّ البا
ولمن ينادى بالتافف منى عونا وفى النكير علىّ امة واسمعوا الشهود الممنوعين ان
قد قضيت فيهم بغير الحق لاعتمادى على علمى فى الجرح وهى قضية اجماع وانطلقت
الالسنة وارتفع الصخب وارادنى بعض على الحكم بغرضهم فتوقفت واغروا بى الخصوم
فتنادوا بالتظلم عند السلطان وجمع القضاة واهل الفتيا فى مجلس حفل
للنظر فى ذلك فخلصت تلك الحكومة من الباطل خلوص الابريز وتبين امرهم للسلطان
وامضيت فيها حكم الله ارغاما لهم فغدوا على حرد قادرين ودسوا لاولياء
السلطان وعظماء الخاصة يقبحون لهم اهمال جاههم ورد شفاعاتهم
مموهين بان الحامل على ذلك جهل المصطلح وينفقون هذا الباطل بعظائم
ينسبونها الى تبعث الحليم وتغرى الرشيد يستثيرون حفائظهم علىّ
ويشربون البغضاء لى والله مجازيهم ومسائلهم فكثر الشغب علىّ
من كل جانب واظلم الجو بينى وبين اهل الدولة ووافق ذلك مصابى
بالاهل والولد وصلوا من المغرب فى السفين فاصابها قاصف من الريح
فغرقت وذهب الموجود والسكن والمولود فعظم المصاب والجزع ورجح
الزهد واعتزمت على الخروج عن المنصب فلم يوافقنى عليه النصيح ممن
استشرته خشية من نكير السلطان وسخطه فوقفت بين الورد والصدر
وعلى صراط الرجا والياس وعن قريب تداركنى اللطف الربانى وشملتنى نعمة
السلطان ايده الله فى النظر بعين الرحمة وتخلية سبيلى من هذه العهدة
التى لم اطق حملها ولا عرفت كما زعموا مصطلحها فردها الى صاحبها الاول
وانشطنى من عقالها فانطلقت حميد الاثر مشيعا من الكافة بالاسف والدعا
وحميد الثناء تلحظنى العيون بالرحمة وتتناجى الامال فىّ بالعودة
ورتعت فيما كنت راتعا فيه قبل من مراعى نعمته وظل رضاه وعنايته قانعا
بالعافية التى سالها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه عاكفا على التدريس

علم او قراة كتاب او اعمال قلم في تدوين او تاليف مومّلا من الله قطع
صبابة العمر في العبادة ومحو عوايق السعادة بفضل الله ونعمته ٥

السفر لقضاء الحج ٥

ثم مكثت بعد النزول بلد سنين
واعتزمت على قضاء الفريضه فودّعت السلطان والامراء وزودوا واعانوا
فوق الكفايه وخرجت من القاهره منتصف رمضان تسع وثمانين الى مرسى
الطور وركبت البحر من هنالك عاشر الفطر ووصلنا الى الينبع لشهر ووافينا المحمل
ورافقتهم من هنالك الى مكه ودخلناها ثاني ذي الحجه فقضيت الفريضه في هذه
السنه ثم عدت الى الينبع فاقمت به خمسين ليله حتى تهيأ لنا ركوب البحر ثم سافرنا
الى ان قاربنا مرسى الطور فاعترضتنا الرياح فما وسعنا الا قطع البحر الى جانبه
الغربي ونزلنا بساحل القصير ثم بذرقنا مع اعراب تلك الناحيه الى مدينه قوص
قاعدة الصعيد فارحنا بها ايّاما ثم ركبنا في بحر النيل الى مصر فوصلنا اليها لشهر من
سفرنا ودخلناها في جمادى تسع وقضيت حق السلطان في لقايه واعلامه
بما اجتهدت فيه من الدعاء له فتقبل ذلك بقبول حسن واقمت فيما عهدت
من رعايته وظل احسانه وكنت لما نزلت بالينبع لقيت بها الفقيه الاديب المتفنن
ابا القاسم ابن محمد ابن شيخ الجماعه وفارس الادباء ومنفق سوق البلاغه
ابي اسحق ابرهيم الساحلي المعروف جده بالطويجن وقد قدم حاجا واوصل
وفي صحبته كتاب رسالة من صاحبنا الوزير الكبير العالم كاتب سر السلطان
ابن الاحمر صاحب غرناطه الحظي لديه ابي عبد الله ابن زمرك خاطبني فيه
بنظم ونثر يتشوق ويذكر بعهود الصحبه ونصه

سلوا البارق النجدي من علمي نجد تبسم فاستبكى جفوني من الوجد
أجاد ربوعي باللوى بورك اللوى وسح به صوب الغمام من بعدي
ويا زاجري الاظعان وهي ضوامر دعوها ترد هيما عطاشا على نجد
ولا تنشقوا الانفاس منها مع الصبا فان زفير الشوق من مثلها يعدي
براها الهوى بري القداح وخطها حروفا على صفح من القفر ممتد
عجبت لها اني تجاذبني الهوى وما شوقها شوقي ولا وجدها وجدي
لئن

بالجانب الشرقي من بحر السويس

لئن شاقها من العذيب وبارق مياه بفي الطل للبان والرند
فما شاقني الا بدور خدورها وقد لحن يوم النفر في قضب ملد
تكم في قباب الحي من شمس كله وفي فلك الازرار من قمر سعد
وكم صارم قد سل من لحظ احور وكم ذابل قد هز من ناعم القد
خذوا الحذر من سكان رامه انها ضعيفات كر اللحظ تفتك بالاسد
سهام جفون عن قسي حواجب يصاب بها قلب البري على عمد
وروض جمال ضاع عرف نسيمه وما ضاع غير الورد في صفحه الخد
ونرجس لحظ ارسل الدمع لولوا فرش على الورد روضا من الورد
وكم غصن قد عانق الغصن مثله وكل على كل من الشوق يستعدي
تبيح وداع قد حلا لعيوننا محاسن من روض الجمال بلا عد
رعى الله ليلى لو علمت طريقها فرشت لاخفاف المطي به خدي
وما شاقني والطيف يرهب ادمعي ويسبح في بحر من الليل مزبد
وقد سل خفاق الذوايب بارق كما سل لماع الصقال من الغمد
وهزت محلاه يد الشوق في الدجى لحل الذي ابرمت للصبر من عقد
وافلق خفاق الجوانح نسمه سرت مع الاصباح حافقه البرد
وهب عليل الخطي برودة احاديث اهداها الى الغور من نجد
سوى صادح في الايك لم يدر ما الهوى ولكن دعى مني الشجون على وعد
فهل عند ليلى نعم الله ليلها بان جفوني ما تمل من السهد
وليلة اذ ولى الحجيج على منى وفت لي المنى منها بما شيت من قصد
فقضيت منها فوق ما احسب المنى وبرد عفافي صانه الله من برد
وليس سوى لحظ خفي نجيله وشكوى كما ارفض الجمان من العقد
عفرت لدهري بعدها كل ما جنى سوى ما جنى وفد المشيب على فودي
عرفت بهذا الشيب فضل شبيبتي وما زال فضل الضد يعرف بالضد
ومن نام في ليل الشباب ضلاله سينبهه صبح المشيب الى الرشد
اما والهوى ما حلت عن سنن الهوى ولا جرت في طرق الصبابة عن قصدي

جاوزت حد العاشقين الأُلى مضوا واصبحت في دين الهوى امه وحدي
نسيت وما انسى وفائي وخلتي واقفر ربع القلب الا من الوجد
اليك ابا زيد شكاه رفعتها وما انا من عمرو لديك ولا زيد
بعثتك حبري وما رأيت مفصلا اعدك من شوق كمثل الذي عندي
فكم ثار بي شوق اليك مبرح فظلت يد الاشواق تقدح من زندي
وصفق حتى الريح لي لمم الربى واشفق حتى الطفل في كبد المهد
يقابلني منك الصباح بوجه حكى شمعه الحياء الذي يندي
وتوهمني الشمس المنيرة عن بوجهك صان الله وجهك عن رد
محياك احلى في العيون من الضحى وذكرك احلى في الشفاه من الشهد
وما انت الا الشمس في علو افقها تعدك من قرب ويلحظ من بعد
وفي عمه من لا يرى الشمس عينه وما ينفع نور الشمس في الاعين الرمد
من القوم صانوا المجد صون عيونهم كما قد اباحوا المال نهبا للرفد
اذا ازدحمت يوما على المال اسرة فما ازدحموا الا على مورد المجد
ومهما اغاروا منجدين صريخهم يشبون نار الحرب في الغور والنجد
ولم يقتنوا بعد الثناء ذخيرة سوى الصارم المصقول والصافن النهد
وما اقتسم الانفال الا ممدح بلاها باعراف المطهمة الجرد
أنسى ولا تنسى ليالينا التي خلسنا بها العيش من جنة الجلد
ركنا الى اللذات في طلق الصبا مطالنا الليالي وادعن الى حد
فان لم يردها الكوس فاننا وردنا بها للانس مستعذب الورد
ابيتك في غرب وانت رئيسه وانك للاعلام مجتمع الوفد
فانست حتى ما شكوت بغربة والست حتى لم اجد مضض الفقد
وعدت لقطري شاكرا ما بلوته من الخلق المحمود والحسب العد
الى ان جرت البحر بالجر نحونا وزرت مزارا العتب في عقب الجهد
الذم البعي على حال فاقة واسمى من الوصل الهنى على صد
وان سائي ان غوضت رحلك النوى وعوضت عنا بالذميل وبالوخد

لقد

لقد سرني ان حث في أفق العلى على الطائر الميمون والطالع السعد
طلعت بافق الشرق نجم هداية تجنبت مع الانوار فيه على وعد
تمثيا من تشرى المطي سواسما عليها سهام قد رمت هدف القصد
الى بيته كيما تزور معاهدا اباك بها جبريل عن كرم العهد
لانت الذي يهمي دجا ليل مشكل قدحت به للنور وارية الزند
وحيث استقلت بي ركاب لطية فانت نجي النفس في القرب والبعد
واني بباب الملك حيث عهدتني مديد ظلال الجاه مستحصف العقد
اجهز بالانشاء كل كتيبة من الكتب والكتاب في عرضها جندي
تلوذ من المولى الامام محمد بظل على نهر المجرة ممتد
اذا فاض من يمناه بحر سماحة وعم به الطوفان في النجد والوهد
ركبنا الى الاحسان في سفن الرجا بحور عطاء ليس تجزر عن مد
فمن مبلغ الانصار عني الوكة مغلغلة في الصدق منجزة الوعد
تثابه ما اعطى الخليفة ربه مفاتيح فتح ساقها سابق السعد
ودونك من روض المحامد نفحة تفوت اذا اصطف الندي عن الند
ثناء يقول المسك ان ضاع عرفه ابا لك من ند اما لك من ند
وما الماء في جوف السحاب مروقا باطهر ذاتا منك في كنف المهد
فكيف وقد حلتك اسرابها الحلى وباهت بك الاعلام بالعلم الفرد
وما الطل في ثغر من الزهر باسم باصفى وازكى من ثنائي ومن ودي
ولا البدر معصوبا بتاج تمامه بابهر من ودي واسير من حمدي
بقيت ابن خلدون امام هداية ولا زلت من دنياك في جنة الخلد
ووصلها بقوله سيدي علم الاعلام كبير روسا الاسلام مشرف
جملة السيوف والاقلام جمال الخواص والظهراء انير الدول
خالصة الملوك مجتبى الخلفاء متوافق العلا اوحد الفضلا قدوة العلما
حجة البلغاء ابقاكم الله بقاء جميلا يعقد لواء الفخر ويعلي منار
الفضل ويرفع عماد المجد ويوضح معالم السودد ويرسل

اسنة السعادة ويفيض انوار الهدايه ويطلق السنه المحامد
وينشر افق المعارف ويَجذب موارد العنايه ويمتع بعمر النهايه
ولا نهاية ماى النجاب افاتحك وقدرك اعلى ومطلع فضلك اوضح واجلى
ان قلت تحيه كسوى ونبع فانى لا يقتفى ولا ينبع تلك تحيه عجماء لا تبين (فى الثناء)
ولا تبين وزمزمة نافرها اللسان العربى المبين وهذه جهالة جهلاء
لا ينطبق على حروفها الاستعلاء قد محا رسومها الجفاء وعلى اثار
د منتها العفاء وان كانت الحيتان طا لما اوجف بها الركاب وقعقع
البريد ولكن ابن يقعان مما اريد تحية الاسلام اصل فى الفخر
نسبا واوصل بالشرع سببا فالاولى ان احييك بما حيا الله فى
كتابه رسله وانبياءه وحبب به ملكته فى جوار اولياءه فاقول
سلام عليكم يرسل من رحمات الله غماما ويفتق من الطروس عن
ازهار المحامد كماما ويستصحب من البركات ما يكون على الذى
احسن من ذلك تماما واجدد السوال عن الحال الحاليه بالعلم والدين
المستنيرة من انوارها سرج المهتدين زادها الله صلاحا وعرفها
نجاحا يتبع فلاحا واقرر ما عندى من تعظيم ارتقى كل اوانه شرفه
واعتقاد جميل يرفع عن وجه الود كلفه وثناء انشر بيد الترك
صحفه وعلى ذلك ايها السيد المالك فقد تشعبت على فى مخاطبتك
المسالك ان اخذت فى تقرير فخرك العميم وحسبك الصميم فوالله
ما ادرى باى ثنية للفخر يرفع العلم وفى اى بحر من ثنايك يسبح القلم
الامر جلل والشمس تكبر عن حلى وعن حلل وان اخذت فى شكاة
الفراق والاستعداد على الاشواق اتسع المجال وحضرت الروية
والارتجال فالاولى ان اترك عذبة اللسان تلعب بها رياح الاشواق
واسلة اليراع تخضب مفارق الطروس بنجيع الحبر المراق وعن
من تركض فى مخاطبته جياد اليراع فى مجال الرقاع مستولية على امد
الابداع والاختراع انما هو بث يشكى وفراق يبكى فيعلم الله
حرصى

حرصى على ان اشافهه عن انبايك تغور البروق البواسم وان احملك
الرسائل حتى مع سفراء النواسم وان اجتلى غرر ذلك الجبين فى محيا الشارق
ولمح البارق ولقد وجهت لك جملة من الكتب والقصايد ولا كالقصيدة
الفريدة فى تابين الجواهر اللاى استاثرتهن البحر قدس الله ارواحهم واعظم اجرك
فيهم فانها انافت على مائة وخمسين بيتا ولا ادرى هل بلغكم ذلك ام غاله
الضياع وعذر وصوله بعد المسافه والذى يطرق لى سوء الظن بذلك ما
صدر فى مقابله منكم فانى على علم من كرم قصدكم وحسن عهدكم ومن حين استقل
نيركم بذلك الافق الشرقى لم يصلنى منكم كتاب مع علمى بضياع اثنين منها بهذا الافق
الغربى انتهى وفى الكتاب اشاره الى انه بعث قصيدة فى مدح الملك الظاهر
صاحب مصر ويطلب منى رفعها الى السلطان وعرضها عليه بحسب الامكان ومطلعها
وهى على روى الهمزة ومطلعها
أمدامع منهلة ام لؤلؤ لما استهل العارض المتلالى
وبعثها فى طى الكتاب واعتد ربانه استنساب فى نسخها فكتبت همزة رويها
الفا قال وحقها ان تكتب بالواو لانها تبدل بالواو وتسهل بين الهمزة والواو
وحرف الاطلاق ايضا يسوقها واوا ولكن هذا مقتضى الصناعة وان قال
بعض الشيوخ تكتب الفا على كل حال على لغة من لا يسهل لكنه لم يبين شى واذن لى
فى نسخ القصيدة المذكورة بالخط المشرقى لتسهل قراتها عليهم ففعلت ذلك
ورفعت النسخه والاصل ولم يرجع الى منه شى ولم استجز ان انسخها قبل
رفعها الى السلطان فضاعت من يدى وكان فى الكتاب فصل عرفنى فيه بشان الوزير
مسعود بن رحو المستبد بامر المغرب لذلك العهد وما جاء به من الانتقاض
عليهم والكفران لصنيعهم يقول فيه كان مسعود بن رحو الذى اقام بالاندلس
عشر بن عاما يتبتك النعيم ويقود الدنيا ويتخير العيش والجاه قد اجير صحبه
ولد ابى عنان كما تعرفتم من نسخة كتاب انشاته بحمل الفتح لاهل الحضرة فاستولى
على الملكه وحصل على الدنيا وانفرد برياسه دار الغرب لضعف السلطان رحمه الله
ولم يكن الان كفرت الحقوق وحنظلت نخلته السحوق وشف على سواد

جلدته سواد الحقوق ودا خل من بسِنة فانتقضت طاعة اهلها وظنوا ان
القصبه لا تثبت لهم وكان قايدها الشيخ البهمة فل الحصار وحلى القتال
ومحش الحرب ابو زكريا بن شعيب فثبت للصدمة ونور للاندلس فبادر المدد
من الجبل ومن مالقه وتوالت الامداد وخاف اهل البلد وراجع شرفاؤهم ودخلوا
القصبة واستغاث اهل البلد بمن جاورهم وجاءهم المدد ايضا ثم دخل
الصالحون فى رغبة هذا المقام ورفع القتال وفى اثنا ذلك غدروا ثانيه فاستدعى
الحال اجازة السلطان المخلوع ابى العباس لينا در القصبه به ويتوجه منها
الى المغرب لرغبه من بل وغيرهم فيه وهو ولد السلطان المرحوم ابى سالم الذى
قلدكم رياسة داره واوجب لكم المزية على اوليايه وانصاره ولم يعط الحال
ان تكون الا اقامة بمالقه الا يومين او ثلثة انتهى ٥ وبعده فصل اخر يطلب فيه
كتبا من مصر يقول فيه والمرغوب من سيدى ان يبعث لى ما امكن من كلام فضلا الوقت
واشياخهم على الفاتحه اذ لا يمكن بعث تفسير كامل لانى اثبت فى تفسيرها ما
ارجو النفع به عند الله وقد اعلمتكم ان عندى التفسير الذى اوصله الى المغرب
عثمان التجانى من تاليف الطيبى والسفر الاول من تفسير ابى حيان وملخص اعرابه
وكتاب المغنى لابن هشام وسمعت عن بدأة تفسير للامام بهاء الدين ابن عقيل
ووصلت الى بدأة من كلام اكمل الدين الانيرى رضى الله عن جميعهم
ولكن لم تصل الا للبسمله وذكر ابو حيان فى صدر تفسيره ان شيخه سليمان
النقيب او ابو سليمان لا ادرى الان صنف كتابا فى البيان فى سفر بن جعله
مقدمه فى كتاب تفسيره الكبير فان امكن سيدى توجيهه انتهى ٥ وفى الكتاب
فصول اخرى فى اغراض متعددة لا حاجه الى ذكرها هنا ثم ختم الكتاب بالسلام
وكتب اسمه محمد بن يوسف بن زمرك الصريحى وتاريخه العشرون من
محرم تسع وثمانين ٥ وكتب الى قاضى الجماعه بغرناطه ابو الحسن على بن
الحسن البنى ٥ الحمد لله والصلاه والسلام على سيدنا ومولانا
محمد رسول الله ٥ يا سيدى وواحدى ودا وحبا ومحيى الروح بعدا وقربا
ابقاكم الله وثوب سنا دنكم سابغ وقمر سعادتكم كلما افلت الاقمار بازغ

اسلم

اسلم بانم السلام عليكم واقرر بعض ما لدى من الاشواق اليكم من حضرة
غرناطه مهدها الله عن ذكر لكم يتضوع طيبه وشكر لا يذوى وان طال الزمان
رطيبه وقد كان بلغ ما جرى من تاخيركم عن الولايه التى تقلدتم امرها وتحملتم
مرها فتمثلت بما قاله شيخنا ابو الحسن بن الجياب عند انفصال صاحبه
الشريف ابى القاسم عن خطة القضاء ٥

لا مرحبا بالناشز الفارك … اذ جهلت رفعة مقدارك
لو انها قد اوتيت رشدها … ما برحت تعشو الى نارك

ثم تعرفت كيفيه انفصالكم وانه كان عن رغبه من السلطان المؤيد هنالكم
فرددت وقد توهمت مشاهدتكم هذه الابيات

لك الله يا بدر السماحة والبشر … لقد حزت فى الاحكام منزلة الفخر
ولكنك استعفيت عنها تورعا … وتلك سبيل الصالحين كما تدرى
جريت على نهج السلامه فى الذى … تخيرته ابشر بامنك فى الحشر
وحقق بان العلم والاك خطة … من العز لا تنفك عنها مدى العمر
تزيد على مر الجديد بن جده … وتسرى النجوم الزاهرات ولا تسرى
ومن لاحظ الاحوال وازن بينها … ولم ير للدنيا الدنيه من خطر
وامسى لانواع الولايات نابذا … فغير نكيران تواجه بالنكر
فيهنيك بينيك الذى انت اهله … من الزهد فيها والتوقى من الوزر
ولا تكترث من حاسديك فانهم … حصى والحصى لا يرتقى مرتقى البدر
ومن عامل الاقوام بالله مخلصا له … فيهم نال الجزيل من الاجر
بقيت لربع الفضل تحمى ذماره … وخار لك الرحمن فى كل ما تجرى

ابه سيدى رضى الله عنكم وارضاكم واطنبتم فى كتابكم فى الثناء على السلطان
الذى انعم بالابقاء والمساعده على الانفصال عن خطه القضاء واستوهبتم الدعاء
له ممن هنا من الاولياء ولله دركم فى التنبيه على الارشاد الى ذلكم فالدعاء
له من الواجب اذ فيه استقامه الامور وصلاح الخاصه والجمهور
وعند ذلك ارتفعت اصوات العلماء والصلحاء بهذا القطر له ولكم بجميل الدعا

اجاب الله فيكم احسنه واجمله وبلغ كل واحد منكم ما قصده وامله
وانتم ايضا ممن انتم من اهل العلم والجلاله والفضل والاصاله وقد بلغتم
بهذه البلاد الغاية من التنويه والحظ الشريف النبيه لكن اراد الله
سبحانه ان يكون لمحاسنكم في تلك البلاد المعظمه ظهور وتحدث بعد الامور
امور ولكل اعتبار فالزمان بكم حيث كنتم مباه والمحامد مجموعه لكم جمع تناه
ولما وقف على مكتوبكم اليه مولانا السلطان ابو عبد الله اطال الثنا على مقاصدكم
وتحقق صحيح ودادكم وجميل اعتقادكم وعمر مجلسه بومئذ بالثناء عليكم
والشكر لما لديكم ثم ختم الكتاب بالسلام من كاتبه علي بن عبد الله بن الحسن
مورخًا بصفر تسعين ٥ وفي طيه مدرجه بخطه [redacted]
نصها سيدي رضي الله عنكم وارضاكم واظفر بمناكم بذوايب مناكم ٥
اعتذر لكم عن الكتاب المدرج هذا طيه بغير خطي فاني في الوقت بحال مرض
من عينيّ ولكم العافيه الواقيه فيسعني سمحكم وربما ان لديكم نشو فالماثول
في هذه المده بالمغرب من الهرج حاطه الله وامن جميع بلاد المسلمين والموجب
ان الحصه الموجهه لتلك البلاد في خدمه اميرهم الواثق ظهر له ولوزيره
ومن ساعده على رايه امساكها رهينه وجعلهم في القيود الى ان يقع الخروج
لهم عن مدينه سبته وكان القايد على هذه الحصه العلج المدعو مهند وصاحبه
الفتى المدعو نصر الله وكثر التردد في القضيه الى ان ابرز القدر توجيه
السلطان ابي العباس تولاه الله صحبه فرج بن رضوان بحصه ثانيه وكان
ما كان حسبما تلقيتم من الركبان هذا ما وسع الوقت من الكلام ثم دعا
وختم وانما كتبت هذه الاخبار وان كانت خارجه عن غرض هذا التعريف
بالمولف لان فيها تحقيقا لهذه الواقعات وهي مذكوره في اماكنها من الكتاب
فربما يحتاج الناظر الى تحقيقها من هذا الموضع وبعد قضاء الفريضه
رجعت الى القاهره محفوظا بستر الله ولطفه ولقيت السلطان فتلقاني
ايده الله بمعهود مبرته وعنايته وكانت فتنه الناصري بعدها سنه
احدى وتسعين ولحقت السلطان النكبه التي محصه الله فيها واقاله
وجعل

وجعل الى الخير فيها عاقبته ومآله ثم اعاده الى كرسيه للنظر في مصالح عباده
وطوقه القلاده التي ألبسه كما كانت فاعاد لي ما كان اجراه من نعمته ولزمت
كسر البيت ممتعا بالعافيه لابسا برد العزله عاكفا على قراءه العلم وتدريسه
لهذا العهد فاتح سبع وتسعين

ولايه الدروس والخوانق

اهل هذه الدوله التركيه بمصر والشام معنيون على القدم منذ عهد مواليهم ملوك بني
ايوب بانشاء المدارس لتدريس العلم والخوانق لاقامه رسوم الفقراء في التخلق باداب الصوفيه
السنيه في مطارحه الاذكار ونوافل الصلوات اخذ ذلك عمن قبلهم من الدول الخلافيه
فيختطون مبانيها ويقفون الاراضي المغله للانفاق منها على طلبه العلم ومتدربي الفقراء وان
استفضل الريع شيء عن ذلك جعلوه في اعقابهم خوفا على الذريه الضعاف من العيله واقتدا
بسنتهم في ذلك من تحت ايديهم من اهل الرياسه والثروه فكثرت لذلك المدارس والخوانق بمدينه
القاهره واصبحت معاشا للفقراء من الفقهاء والصوفيه وكان ذلك من محاسن هذه الدوله التركيه
واثارها الجميله الخالده وكنت لاول قدومي على القاهره وحصولي في كفاله السلطان شغرت
مدرسه بمصر من انشاء صلاح الدين ابن ايوب وقفها على المالكيه يدارسون بها الفقه ووقف
عليها اراضي من الفيوم تغل القمح فسميت لذلك القمحيه كما وقف اخرى على الشافعيه هنالك
وتوفي مدرسها حينئذ فولاني السلطان تدريسها واعقبه بولايه قضاء المالكيه سنه ست
وثمانين كما ذكرت ذلك من قبل وحضرني يوم جلوسي للتدريس فيها جماعه من اكابر الامراء
تنويها بذكري وعنايه من السلطان ومنهم بجانبي وخطبت يوم جلوسي في ذلك الحفل
بخطبه ألممت فيها بذكر القوم بما يناسبهم ويوفي حقهم ووصف المقام وكان نصها
الحمد لله الذي بدا بالنعم قبل سوالها ووفق من هداه للشكر على منالها وجعل جزاء المحسنين
في محبته ففازوا بعظيم نوالها وعلم الانسان الاسماء والبيان ما لم يعلم من امثالها ومنّ بالعقل
الذي فضله على اصناف الموجودات واجيالها وهداه لقبول امانه التكليف وحمل اثقالها
وخلق الجن والانس للعباده ففاز منهم بالسعاده من جد في امتثالها ويسر كلا لما خلق له من هدايته
نفسه او اضلالها وفرغ ربك من خلقها وخلقها وارزاقها واجالها والصلاه على سيدنا
ومولانا محمد نكته الاكوان وجمالها والحجه البالغه لله على كمالها الذي رقاه في اطوار
الاصطفاء وادم بين الطين والماء جايلا في ابنايها وارسالها ونسخ الملل بشريعته البيضاء

فسمت حرامها من حلالها * ورضي لنا الاسلام دينا فاتم علينا النعمه باكمالها * والرضى عن اله
واصحابه عيون رحمته المسجمه وظلالها * وليوث ملاحمه المشتهره وابطالها * وخير امه
اخرجت للناس في توسطها واعتدالها * وظهور الهدايه والاستقامه في احوالها * صلى الله
عليه وعليهم صلاه تتصل الخيرات باتصالها * وتنال البركات من خلالها * اما بعد فان
الله سبحانه لما ابو هذه المله الاسلاميه في نصابها * وشفاها من ادوائها واوصابها * ٥
واورث الارض عباده الصالحين من ابدى غصابها * بعد ان باهلت فارس بتاجها وعصابها هم
وخلت الروم الى تماثيلها وانصابها * وجعل لها من العلما حفظه وقواما * ونجوما يهتدي بها
التابع واعلاما * تقربونها للدرايه بيانا وافهاما * ويوسعونها بالتدوين ترتيبا واحكاما *
ويهذبون اصولها وفروعها ونظاما * ثم اختار لها الملوك يرعون عهدها * ويعمون صنعاها بالقامه
السياسه واودها * ويدفعون بعزايمهم الماضيه في صدر من ارادها بكياد او قصدها * فكان
لها بالعلما الظهور والاستناد * والذكر السيار * والبركات المخلده والاثار * ولها بالملوك العز
والفخار * والصوله التي يلين لها الجبار * ويذل بعزه المومنين بها الكفار * ويجلل وجوه الشرك
معها الصغار * ولم تزل الاجيال يتداول على ذلك والاعصار * والدول تحفل والامصار * والليل
يخلف والنهار * حتى اطلب الاسلام دول هذه العصابه المنصوره من الترك الماحين بانوار
اسنتهم ظلم الضلاله والشك * القاطعين بصالهم المرهفه علايق المين والافك * المصيبين
بسهامهم النافذه نحر الجهاله والشرك * المطهرين بسر قوله لا تزال طايفه من امتي فيما
يتناولونه من الاخذ والترك * فمسحوا احطه الاسلام وقاموا بالدعوه الخلافيه احسن القيام *
وشوها في اقصى التخوم من الحجاز والشام * واعتمدوا في خدمه الحرمين الشريفين ما وصلوا
به ملوك الانام * واقتعدوا كرسي مصر الذي القت له الاقاليم يد الاستسلام * على قدم الايام *
فرخرت بها مندد ولتهم بحر العمران * وتجاوبت فيها المدارس بترجيع المثاني والقران * وعمرت
المساجد بالصلوات والاذان * تكاثر عدد الحصى والشهبان * وقامت المئاذن على قدم الاستعار
والسحان * معلنه بشعار الايمان * وازدانت جوها بالقصر والقصر والايوان والايوان ٥
ويطرد سبها بالعزيز والظاهر والامير والسلطان * كما شيت من ملك يجعو العز في اعلامه *
ويوقد في ليل المواكب سراج الكواكب من اسنته وسهامه * ومن اسس للعلما بساو العلم
بوعد الصاد ويعلو باعنان السماء * ويسر سراجه في جوانب الشبه المدلهمه الظلما * ومن
فضاه

قضاه يباهون بالعلم والسودد عند الانتما * ويشملون الفضايل والمناقب اشتمال الصما *
ويفصلون الخصومات براي يفرق بين اللبن والما * ولا كدوله السلطان الظاهر * والعزيز
القاهر * يعسوب العصايب والجماهر * ومطلع انواع العز الباهر * ومصرف الكتايب بزري
بالبحر الزاخر * ويعوم بالمحبه للسني على الاهله في المفاخر * سيف الله المنتضى على العدو
الكافر * ورحمته المتكفله للعباد بما للطف الساتر * رب التيجان والاسره والمنابر ٥
والاواوين العاليه والقصور الازاهر * والملك المويد بالبيض البواتر * والرماح الشواجر *
والاعلام المرتفعه اخلاق العز في نهود المحابر * والمدد الرباني الذي فاق قدره القادر *
وسفر به العنايه للاواخر * سيد الملوك والسلاطين كافل امير المومنين ابو سعيد ايده
الله بالنصر المصاحب والسعد الموازر * وعرفه اثار عنايته في الموارد والمصادر * واراه
حسن العاقبه في الاولى وسرور المنقلب في الاخر * فانه لما تناول الامر بعزايمه وعزايمه *
واوى الملك الى كنفه العزيز وحرمه * لصاب شاكله الراي عندما سدد من سهمه * واوقع
الرعايا في ظل من امنه وعدل من حكمه * وقسم الباس والجود بين حربه وسلمه * ثم اقام
دولته بالامرا الذين اختارهم باختيار الله لاركانها * وشد بهم ازره في رفع القواعد من بنيانها *
من بين مصرف لعنانها * متقدم القدم على اعيانها في بساط ايوانها * ورب مسول نضي جواب
الملك بلمعانها * ولا يذهب الصواب عن مكانها * وينفذ احكام سر الحق في بيانها * وصوغ
العدل من ازدانها * ويجلو في المهم الاعظم من شانها * وصاحب قلم يفضي بالاسرار
الي الاسل الحرار * ويشفي الغليل باعلانها * حفظ الله جميعهم * وسهل بالسعاده والخيرات
المداه المعاده بالنعم ومسوعهم * ولما سحت في اللج الازرق * وخطوت من افق
المغرب الى افق المشرق * حيث بهر النهار سنيت من صفحه المشرق * وبحر الملك التي اعتز بها
الاسلام يهمر في دوحه المعرق * وازهار الفنون يسقط علينا من غصنه المورق * وينابيع
العلوم والفضايل يمد وشلنا من فراته المغدق * اولوني عنايه وتشريفا * وعمروني احسانا
ومعروفا * واوسعوا همتي ايضاحا ونكرتي تعريفا * ثم اهلوني للقيام بوظيفه الساده
المالكيه بهذا الوقف الشريف من حسنات السلطان صلاح الدين ايوب مكمل الجلاد والجهاد
وماحي اثار الثالث والرفض الخبث من البلاد * ومطهر القدس الشريف من رجس الكفر بعد
ان كانت للنواقيس والصلبان فيه مكان العقود من الاجياد * وصاحب الاعمال المتقبله

نسعى نورها بين يديه في يوم السادّ • فاقامني السلطان ايده الله لتدريس العلم بهذا
المكان لا بعد ما على الاعيان • ولا رغبه عن الفضلاء من اهل الشان • والى موقف
بالعصور من اهل العصور معترف بالعجز عن المضا في هذا القضا • وانا ارغب من اهل
الذا السضا • والمعارف المتسعه الفضا • ان يلحوا بعين الارتضا • ويسعدوا بالصفح
والاغضا • والضاعه سهم مزجاه • والاعتراف من اللوم ان شا الله منجاه • والحسنى
من الاحوان مرتجاه • والله تعالى يرفع لمولانا السلطان في مدارج القبول اعماله • ويبلغه
في الدارين اماله • ويجعل الحسنى والمقر الاسنى منقلبه ومآله • ويديم على السادة
الامرا نعمته • ويحفظ على المسلمين بانتظام الشمل دولتهم ودولته • ويمد قضاه المسلمين
وحكامهم بالعون والتسديد • ويمتعنا بانفساح اجالهم الى الامد البعيد • ويشمل الحاضرين
برضوانه في هذا اليوم السعيد بمنه وكرمه • وانفض ذلك المجلس وقد شعتني العيون
بالتجله والوقار وساحت النفوس بالاهليه للمناصب وانمن على الاشتغال بالعلم وتدريسه
الى ان سخط السلطان قاضي المالكيه لو سد في نزعه من النزعات الملوكيه فعزله واستدعاني
للولايه في مجلسه وبين امرايه فتفاديت من ذلك وابى الا امضاه وخلع علي وبعث معي
من اجلسني بمقعد الحكم في المدرسه الصالحيه في رجب ست وثمانين فقمت في ذلك المقام
المحمود • ووفيت عهد الله في اقامه رسوم الحق وتحري المعدله حتى سخطني من لم ترضه
احكام الله ووقع من شغب اهل الباطل والمرا ما تقدم ذكره وكنت عند وصولي
الى مصر بعثت عن ولدي من تونس فمنعهم سلطان تونس من اللحاق بي اغتباطا بمكاني
فرغبت من السلطان ان يشفع عنده في شانهم فاجاب وكتب اليه بالشفاعه فركبوا
البحر من تونس في السفين فما هو الا ان وصلوا الى مرسى الاسكندريه فعصفت بهم
الرياح وغرق المركب بمن فيه وما فيه وذهب الموجود والمولود فعظم الاسف
واختلط الفكر واعفاني السلطان من هذه الوظيفه واراحني وفرغت لشاني من
الاشتغال بالعلم تدريسا وتاليفا ثم فرغ السلطان من اختطاط مدرسته
بين القصرين وجعل فيها مدافن اهله وعين لي فيها تدريس المالكيه فانشات
خطبه اقوم بها في يوم مفتتح التدريس على عادتهم في ذلك ونصها • الحمد لله
الذي من على عباده • بعد خلقه وايجاده • وصرفهم في اطوار استعباده • بين قدره

ومراده

ومراده • وعرفهم اسرار توحيده في مظاهر وجوده واثار لطفه في وقايع عباده • وعرضهم
على امانه التكاليف ليبلوهم بصادق وعده وايعاده • ويسر كلا لما خلق له من
هدايته او اضلاله وغيه او رشاده • واستخلف الانسان في الارض بعد ان
هداه النجدين لصلاحه او فساده • وعلمه ما لم يكن يعلم من مدارك سمعه وبصره
والبيان عما في فواده • وجعل منهم انبياء وملوكا يجاهدون في الله حق جهاده •
ويسيرون على مرضاته في اعتمال العدل واعتماده • ورفع البيوت المقدسه بسبحات
الذكر واوراده • والصلاه والسلام على سيدنا ومولانا محمد سيد البشر من نسل ادم
واولاده • لا بل سيد الثقلين في العالم من انسه وجنه وارواحه واجساده • لا بل
سيد الملايكه والنبيين الذي ختم كمالهم بكماله وامدادهم بامداده • الذي شرف به
الاكوان فاضا ارجا العالم بنور ولاده • وفصل له الذكر الحكيم تفصيلا كذلك
ليثبت من فواده • والقى على قلبه الروح الامين بتنزيل رب العالمين ليكون من المنذرين
لعباده • فدعا الى الله على بصيره بصادق جداله وجلاده • وانزل عليه النصر العزيز
وكانت ملايكه السما امداده • حتى ظهر نور الله على رغم من رغم باطفايه واخماده •
وكمل الدين الحنيف فلا يخشى والحمد لله عايله انقطاعه ولا نفاده • ثم اعد له من
الكرامات ما اعد في معاده • وفضله بالمقام المحمود في عرصات القيامه بين اشهاده •
وجعل له الشفاعه فيمن استظل في امته واعتصم بمقاده • والرضى عن اله واصحابه
غيوث رحمته وليوث انجاده • من ذوي رحمه الطاهره واهل وداده • المتزودين
بالتقوى من خير ازواده • والمراغمين بسيوفهم من جاهر بكفره للحق وعناده • واراد في
الدين بظلمه والحاده • حتى استقام الميسم في دين الله وبلاده • واستطير دعوه الاسلام
اقطار العالم وشعوب الانام من عربه وعجمه وفارسه ورومه وبركه واكراده ۞
صلى الله عليه وعليهم صلاه تؤذن باتصال الخير واعتياده • وتؤهل لاقتبال الثواب
وزياده • وسلم كثيرا وعن الايمه الاربعه علماء السنه المتبعه • والفيته
المجتباه المصطنعه • وعن امامنا منهم الذي حمل الشريعه وبينها • وحرر مقاصدها
الشريفه وعينها • ولعوض في الافاق منها والمطالع من شهبها اللوامع فزينها
نكته الهدايه اذا احقق مناطها • وشرط التحصيل والدرايه اذا روعيت اشراطها

وقصد الركاب اذا ضربت في طلب العلم اباطها * عالم المدينة وامام هذه الامة
الامينة * ومقتبس انوار النبوة من مشكاتها المبينة * الامام مالك بن انس الحقه الله
برضوانه * وعرفنا بركة الاقتداء بهديه وعرفانه * وعن سلف المؤمنين والمهدين
ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين اما بعد فان الخلق عيال الله يكنفهم بلطفه ورحمته
ويكفلهم بفضله ونعمته * وييسرهم لاسباب السعادة باداب دينه وشرعته * ن
ويحملهم في العناية بامورهم والرعاية لجمهورهم على مناهج سننه ولطائف حكمته * ه ن
ولذلك اختار لهم الملوك الذين جبلهم على العدل وفطرته * وهداهم الى التمسك بكلمته
ليرفعهم باخذهم من سعة الرزق وبسطته * واشفاق التمكين في الارض من قدرته *
فتسابقوا الى الخيرات الى جزائه ومثوبته * وذهبوا بالدرجات العلى في وفور الاجر ومزيته *
وان مولانا السلطان الملك الظاهر العزيز القاهر العادل الطاهر * القائم بامور
الاسلام عندما اعيى حملها الاكتاد * وقطب دائرة الملك الذي اطلع الله من حاشيته
الابدال وابقى الاوتاد * ومنفق اسواق العز بما يبذل فيها من جميل يطرب المحبور والعباد *
رحمة الله الكافلة للخلق * وبداه المبسوطتان بالاجل والرزق * وظله الواقي للعباد بما
اكنفهم من العدل والحق * ناصر الجبابرة * والمعفر على ابواب الاعاظم من الفراعنة *
وذوي السجان من التبابعة والاكاسرة * اولي الافيال والاساورة * وحائز
قصب السبق في الملوك عند المناضلة والمفاخرة * ومفوض الامور باخلاصه
الى ولي الدنيا والاخرة * مؤيد كلمة الموحدين * ورافع دعائم الدين وظهير خلافة
المؤمنين سلطان المسلمين ابو سعيد صدق الله فيما نعتقد من الله ظنونه وجعل النصر
ظهيره كما جعل السعد قرينه والعز خدينه * وكان وليه على القيام بامور المسلمين
ومعينه * وبلغ الامة في اتصال ايامه ودوام سلطانه ما يرجونه من الله
ويؤملونه * لما ملكه الله هذا الامر الذي استوى له على كرسي الملك * وانتظمت
عقود الدول في لبات الايام وكانت دولته واسطة السلك * وجمع له الدين
بولاية الحرمين والدنيا بسلطان الترك * واجرى له انهار مصر من الماء والمال
فكان جاريهما بالعدل في الاخذ والترك * وجمع عليه قلوب العباد فشهد
سرها بمحبته الله شهادة خالصة من الريب بريئة من الشك * حتى استوى من

العز

العز والملك على المقام الذي رضيه * وحمل بيرا في نفسه الى ما عند الله فصرف
قصده اليه واعمله وسارع الى فعل الخيرات بنفس مطمئنة * لا يسأل عليها
اجرا ولا يكدرها بالمنة * واحسن رعاية الدين والملك يشهد بها الانس والجنة *
لا بل البشر والاجنة * ثم اوى الخلق الى عدله تصديقا بان الله يؤتيه يوم الفتنة
الى ظلاله المستجنة * ونافس في اتخاذ المدارس والربط لتعليم الكتاب والسنة *
وبناء المساجد المقدسة يبني له بها الله البيوت في الجنة * والله لا يضيع عمل
عامل فيما اظهره او اكنه * وان مما انتجته قرائح همته وعنايته * واطلعته
افاق عدله وهدايته * ورجحت شواهده على بعد مداه في الفخر وغايته * ونجح
مقاصده في الدين وسعايته * هذا المصنع الشريف والهيكل السامي المنيف *
الذي راق الكواكب حسنه وظرفه * واعجز الهمم البشرية رسمه ووصفه *
لا بل الكلم السحرية تمثيله ووصفه * وشمخ بمطاوله السحب * ومناولة الشهب
مارنه العزيز وانفه * وازدهى بملبوس السعادة والقبول من الله عطفه * ن
ان فاخر بلاط الوليد كان له الفخار * او باهى القصور والايوان شهد له المحراب
والمنار * او باطن صنعاء وغمدان قامت بحجته الاثار * انما هو هو ملوه دين واسلام
وقصر عليه تحية وسلام * وفضاء يباهي بمشاهد جوه للرحمة والسكينة ظله
وغمام * وكوكب شرق يضاحك وجه الشمس منه بثغر بسام * دفع الى تشييد
اركانه * ورفع القواعد من بنيانه * سيف دولته الذي استله من قراب ملكه
وانتضاه * وسهمه الذي عجم عيدان كنانته وارتضاه * وحسام امره الذي
صقل فرنده بالعز والعزم وامضاه * وحاكمه المولى الذي طالب غريم الايام
بالامل العزيز المرام فاستوفى دينه واقتضاه * الامير الاعز الاعلى جهركس
الخليلي امير الماخور بالسطبلة المنيع حرسه الله من حطوب الايام * وقسم
له من عناية السلطان اوفر الحظوظ والسهام * فقام بالخطو الوساع لامره
المطاع * واغرى بها ايدي الاتقان والابداع * واختصها من اصناف الفعلة
بالماهر الصناع * يتناظرون في اجادة الاشكال منها والاوضاع * ويتناولون
الاعمال بالهدم اذا توارت عن قدرهم بالامتناع * فكان العبقري يفري

الفري او العفاريت، قدمت من ارم ذات، وكانما حشرت الجن والشياطين، او
نشرت القياصره من الحكما الاول والاساطين، جابوا لها الصخر بالاذواد لا
بالواد، واستعملوا اصم الاطواد على مطايا الاعواد، ورفعوا سمكها الى اقصى
الاماد، على بعد المهوى من العماد، وغشوها من الوشي الازهر، ومضاعف الصدف
والمرمر، ومايع اللجين الابيض والذهب الاحمر، بكل مستهم الحواشي حالي الابراد
وقدروه مساجد للصلوات والاذكار، ومقاعد للسحاب بالعشي والابكار،
ومجالس للتلاوه والاستغفار في الاصال والاسحار، ورواقا للتخلي عن ملاحظه
الاسماع والابصار، والتعرض للفتوح الربانيه والانوار، ومدارس لقدح زناد
الافكار، ونتاج المعارف الابكار، وصوغ اللجين والنضار في محك القراح والابصار،
ستفجر ينابيع الحكمه في رياضه وبستانه، وتتفتح ابواب الجنه من غرفه وايوانه، ويقتاد
غر السوابق من العلوم والحقائق في طلق ميدانه، ويصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح الى الله من نواحي اركانه، وتوفر الاجور لغاشيه محتسبه عند الله في ديوانه،
راجحه في ميزانه، ثم اختار لها من ائمه المذاهب الاربعه اعيانا، ومن شيوخ الحقايق
الصوفيه فرسانا، نصح لهم اهل مملكته اسانا اسانا، واشاد بعد رهم عنايه واحسانا،
ودفعهم الى وظايفه توسعا في مذاهب الحبر وافتنانا، وعهد اليهم برياضه المريدين
وافاده المستفيد من احسانا الله وقربانا، وتقيادا لمذاهب الملوك من قومه واسنانا،
ثم يظنني معهم بطولا وامتنانا، ونعمه عظمت موقعا وجلت شانا، وانا وان كنت القصور
البضاعه متاخرا عن الجماعه ولقعود الهمه، عيالا على هولاء الائمه، فسمحهم يتغطى
وليحف ومواهب العفو والتجاوز تسح وتحف، وانما هي رحمه من مولانا السلطان
ايده الله حصت كما عمت، ووسمت اغفال النكره والاهمال وسمت، وكملت بها
مواهب عطفه وحبره وتمت، وقد ينتظم الدر مع المرجان، ويلبس العصائب بالتيجان،
ويراض المسومه العراب على سابقه الهجان، والكل في نظر مولانا السلطان
وبصريته، والاهليه باهليه والمعرفه بمعرفته، وقوام الحياه والامال
بلطائف احسانه وصنوفه، والله يوزعنا شكر معروفه، ويوفقنا للوفاء بشرطه
في هذا الوقف وتكليفه، ويحمي حماه من غير الدهر وصروفه، ويبقي على حمالك

الاسلام

الاسلام ظلال اعلامه ورماحه وسيوفه، ويريه قره العين في نفسه وبنيه
وحاشيته ودوله وخاصته ولفيفه، بمن الله وفضله، ثم تعاون
العداه عند امير الماخور ثم القايم للسلطان بامور مدرسته واغروه بصدّي
عنها وقطع اسبابي من ولايتها ولم يكن السلطان الا اسعافه فاعرضت عن
ذلك وشغلت بما انا عليه من التدريس والتاليف ثم خرجت عام تسعه وثمانين
للحج واستاذنت السلطان في ذلك فاسعف ورود هو وامراوه بما اوسع
الحال وارغد وركبت بحر السويس من الطور الى الينبع ثم صعدت مع المحمل
الى مكه فقضيت الفرض عامئذ وعدت في البحر فنزلت بساحل القصير ثم
سافرت منه الى مدينة قوص في اخر الصعيد وركبت منها بحر النيل الى مصر
ولقيت السلطان واخبرته بدعائي له في اماكن الاجابه واعادني الى ما عهدت
من كرامته وتفيئ ظله ثم شغرت وظيفه الحديث بمدرسه
صلغتمش فولاني اياها بدلا من مدرسته وجلست للتدريس فيها في محرم
احد وتسعين وثمانمائة ذلك اليوم على العاده بخطبه نصها الحمد لله اجلالا
واعظاما واعترافا بحقوق النعم والتزاما واقتباسا للمزيد منها واغتناما
وشكرا على الذي احسن وتماما وسع كل شي رحمه وانعاما واقام على توحيده
من اكوانه ووجوده ايات واضحه واعلاما وصرف الكائنات في قبضه
قدرته ظهورا وخفاء واتحادا واعداما واعطى كل شي خلقه ثم هداه
الى مصالحه الهاما واودع مقدور قضاياه في سطور كتابه فلا تجد محيصا
عنه ولا امراما والصلاه والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبي الرحمه الهامية
غماما والملحمه التي اراحت من الكفر بجسا وحطمت اصناما والعروه الوثقى فاز
من اخذها اعتصاما اول البشر رتبه واخرهم ختاما وسيدهم لسلاله ادم و من بعد
ادمات للملايكه والرسل اماما وعلى اله واصحابه الذين كانوا اركانا لدعوته وسنانا ما
وحربا على عدوه وسماما وصلوا في مظاهرته جدا واعتزاما ووطئوا في ذات
الله واستغاء مرضاته اسامانا وارحاما حتى ملؤوا الارض ايمانا واسلاما
واوسعوا الجاحد والمعاند نكسا وارغاما فاصبح ثغر الدين بساما ووجه

الكفر والباطل عن ساحتها ما صلى الله عليه وعليهم ما غاب ضيا ظلاما ٥
صلاة يرجح العقول ميزانا وتبوء عند الله مقاما والرضى عن الائمة الاربعة
الهداة المتبعة مصابيح الايمان ومفاتيح السنة الذين احتسبوا بالعلم قياما
وكانوا للمتقين اماما اما بعد فان الله سبحانه تكفل لهذا الدين بالعلاء
والظهور والعز الخالد على الظهور وانفساح خطته في افاق المعمور فلم
يزل دولة عظيمة الانار عزيزة الانصار يعتلى الصنع اليه المدرار جامعة
بمحاسن ادابه وغرر جنانه معالى الفخار مسعفة بصنائع علومه في الاقدار
معمرة شاسعها كالبحار مطلعة كواكبها المنيرة في الافاق واضواء النهار
ولا كالدولة التي اسفرت بفضله الاسلام ومنابره وفاخرت بحرمات الله
وشعائره واعتمدت بركة الايمان وبرهانه في تمهيد قواعده وتأييد ناصره
وطرفت في خدمة الحرمين الشريفين بالمس من اسباب الدين واواصره واعتنت
في اقامة رسوم العلم ليكون من مفاخره وشاهدا بالكمال لاوله واخره ٥
وان مولانا السلطان الملك الظاهر العزيز القاهر شرف الاوائل والاواخر
وراجح لوا المعالي والمفاخر رب السجاد والاسرة والمنابر والمجلي في ميدان
السابقين من الملوك الاكابر في الزمن الغابر حامل الامة سطر الرشد ورايته
الظافر وكافل الرعايا في ظلم المدلهم وعدله الوافر ومطلع انوار العز والسعادة
من افقه السافر واسطة السلك من هذا النظام والتاج المحلى في مفارق الدول
والايام سيد الملوك والسلاطين بركة الاسلام والمسلمين كافل امير المومنين
ابو سعيد اعلى الله مقامه وكافل الامة احسانه الجزيل وانعامه واطال
في السعادة والخيرات المبداة المعادة لياليه واياميه لما اوسع الدين والملك
نظرا جميلا من عنايته واقام الحلول في حجر كفالته وشهاد كفايته وانفذ لنعقد
الامور وصلاح الخاصة والجمهور عن كلايته كما قلده الله رعايته واقام احكام
الشريعة والسياسة يوسعون نطاق الحق الى غايته ويطلعون وجه العدل
سافرا عن ايته ونصب في دست النيابة من وثق بعدله وسياسته ورضي الدين
بحسن ايالته وامنه على سلطانه ودولته وهو الولي والحمد لله ما انتهى

ثم

ثم صرف نظره الى بيوت الله تعنى بانسابها وبانيها ويعمل النظر الجميل في اشادتها
ولتقديسها وتفرض الله القرض الحسن في قومها وتحبيسها وينصب فيها لبث العلم
من يوهله لوظائفها ودروسها فيصغي عليه بذلك من العناية اجمل لبوسها حتى
زهت الدولة بملكها ومصرها وفاخرت الايام بزمانها الزاهر وعصرها ٥
وخضعت الاواوين لابوابها العالي وقصرها فابتهج العالم سرورا بمكانها واهتزت
الاكوان للمفاخر بشانها وتكفل الرحمن لمن اعتربه الايمان وصلح على يده الزمان
بوفور المثوبة وريحانها وكان مما قدر به الا يدرس الحديث لهذه
المدرسة وقف الامير صلغتمش من سلف امراء الترك حفف الله حسابه وثقل في
الميزان يوم يعرض على الرحمن كتابه واعظم جزاه في هذه الصدقة الجارية وثوابه عنايته
جددلي لباسها واشارا بالنعمة التي صححت قياسها وعرفت منه انواعها واجناسها
فامتثلت المرسوم واطلقت القم الرسوم واشكر من الله وسلطانه الحظ المقسوم وانا مع
هذا معترف بالقصور من اهل العصور مستعين بالله وبركة هولاء الحضور السادة
الصدور ان يجنح بي مركب الغرور او يلج شيطان الدعوى والزور في شي من الامور والله
تعالى يمتع مولانا السلطان بصالح اعماله ويعرفه الحسنى وزيادة للحظ الاسنى في عاقبته
ومآله ويريه في سلطانه وبنيه وحاشيته وذويه قرة عينه ورضى امآله ويديم على
السادة الامراء ما خولهم من رضاه واقباله ويحفظ المسلمين في هذا الامر السعيد
بدوامه واتصاله ويسدد قضاتهم وحكامهم لاعتماد الحق واعماله بمن الله وافضاله
وقد رايت ان اعين للقراءة في هذا الدرس كتاب الموطا للامام مالك بن انس رضي الله عنه
فانه من اصول السنن وامهات الحديث وهو مع ذلك اصل مذهبنا الذي عليه مدار مسائله
ومناط احكامه والى ابانه يرجع الكثير مما تبهم فلنفتتح الكلام بالتعريف بمولفه
رضي الله عنه ومكانه من الامانة والديانة ومنزلة كتابه الموطا من كتب الحديث ثم نذكر
الروايات والطرق التي وقعت في هذا الكتاب وكيف اقتصر الناس منها على رواية يحيى بن يحيى
ونذكر اسانيدنا فيها ثم نرجع الى الكلام على متن الكتاب اما الامام مالك رضي الله
عنه فهو امام دار الهجرة وشيخ اهل الحجاز في الحديث والفقه غير منازع والمقلد المتبوع
لاهل الامصار وخصوصا اهل المغرب قال البخاري مالك بن انس ابن ابي عامر
الاصبحي كنيته ابو عبد الله حليف عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله القرشي التيمي ابن اخي
طلحة ابن عبيد الله كان اماما روى عنه يحيى بن سعيد انتهى كلام البخاري وجده ابو عامر
ابن عمرو بن الحرث بن غيمان ويقال غثمان بغين معجمة مفتوحة ويا تحتانية ساكنة ابن
خثيل بخاء معجمة مضمومة وثاء مثلثة مفتوحة ويا تحتانية ساكنة ويقال ذبيل او حثيل

بحاء مضمومة مهملة او معجمة عوض الجيم ويقال حشيل بحاء مهملة مكسورة وسين مهملة
ساكنة ابن عمرو بن الحرث وهو ذو اصبح وذو اصبح بطن من حمير وهم اخوة يحصب
ونسبهم معروف فهو حميري صليبة وقرشي حلفا ولد سنة احدى وتسعين فيما
قال ابن بكير واربع وتسعين فيما قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ونشا بالمدينة وتفقه
بها اخذ العلم عن ربيعة الراي وابن شهاب وعن عمه ابي سهيل وعن جماعة ممن عاصرهم
من التابعين وتابعي التابعين وجلس للفتيا والحديث في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
شابا ناهز العشرين واقام مفتيا بالمدينة ستين سنة واخذ عنه الجم الغفير من
العلماء الاعلام وارتحل اليه من الامصار من لا يحصى كثرة واعظم من اخذ عنه
الامام محمد بن ادريس الشافعي وابن وهب والاوزاعي وسفيان الثوري وابن المبارك
في امثالهم وانظار وتوفي سنة تسع وسبعين ومائة باتفاق من الناقلين لوفاته وقال
الواقدي عاش مالك تسعين سنة وقال سحنون عن ابن نافع توفي مالك ابن سبع وثمانين سنة
ولم يختلف اهل زمانه في امانته واتقانه وحفظه وتثبته وورعه حتى لقد قال سفيان
ابن عيينة كنا نرى في الحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب اكباد الابل
فلا يوجد عالم اعلم من عالم المدينة انه مالك بن انس وقال الشافعي اذا جاء الاثر فمالك النجم
وقال اذا جاءك الحديث عن مالك فشد به يدك وقال احمد بن حنبل اذا ذكر الحديث فمالك
امير المؤمنين وقد الف الناس في فضائله كتبا وشانه مشهور واما الذي بعثه على
تصنيف الموطا فيما نقل ابو عمر ابن عبد البر فهو ان عبد العزيز بن عبد الله ابن ابي سلمة
الماجشون عمل كتابا على مثال الموطا ذكر فيه ما اجمع عليه اهل المدينة ولم يذكر
فيه شيئا من الحديث فاتي به مالك ووقف عليه واعجبه وقال ما احسن ما عمل هذا
ولو كنت انا الذي عملت لبدات بالاثار ثم شددت ذلك بالكلام وقال غيره حج
ابو جعفر المنصور ولقيه مالك بالمدينة فاكرمه وفاوضه وكان فيما فاوضه يا ابا
عبد الله لم يبق على وجه الارض اعلم مني ومنك وقد شغلتني الخلافة فضع انت للناس
كتابا ينتفعون به تجنب فيه رخص ابن عباس وشدائد ابن عمر ووطئه للناس توطئة
قال مالك فلقد علمني التاليف فكانت هذه وامثالها من البواعث لمالك على تصنيف
هذا الكتاب فصنفه وسماه الموطا اي المسهل قال الجوهري وَطُؤَ يَوْطُؤُ وطاءة
اي صار وطيا ووطاته توطية ولا يقال وطيته ولما شغل بتصنيفه اخذ الناس
بالمدينة يومئذ في تصنيف موطات فقال لمالك اصحابه نراك شغلت نفسك
بامر قد شركك فيه الناس واتي ببعضها فنظر فيه ثم طرحه من يده وقال لتعلمن
انه لا يرتفع منه الا ما اريد به وجه الله فكانما القيت تلك الكتب في الابار وما

سمع

سُمِعَ لشيء منها بعد ذلك ذِكْرٌ واقبل مالك على تهذيب كتابه وتوطئته فقال انه
اكمله في اربعين سنة وتلقت الامة هذا الكتاب بالقبول في مشارق
الارض ومغاربها ومن لدن صنف الى هلم وطال ثناء العلماء في كل عصر عليه ولم
يختلف في ذلك اثنان قال الشافعي وعبد الرحمن بن مهدي ما في الارض
كتاب بعد كتاب الله انفع وفي رواية اصح وفي رواية اكثر صوابا من موطا مالك
وقال يونس بن عبد الاعلى ما رايت كتابا الف في العلم اكثر صوابا من موطا مالك
واما الطرق والروايات التي وقعت في هذا الكتاب فانه كتبه عن مالك جماعة
نسب الموطا اليهم بتلك الرواية وقيل موطا فلان لراويه عنه فمنها موطا الامام
محمد بن ادريس ومنها موطا عبد الله بن وهب ومنها موطا عبد الله بن مسلمة القعنبي
ومنها موطا مطرف بن عبد الله اليساري نسبة الى سليمان بن يسار ومنها موطا عبد
الرحمن بن القاسم رواه عنه سحنون بن سعيد ومنها موطا يحيى بن يحيى الليثي الاندلسي
رحل الى مالك بن انس من الاندلس واخذ عنه الفقه والحديث ورجع بعلم كبير وحديث
جم وكان فيما اخذ عنه الموطا وادخله الى الاندلس والمغرب فاكب الناس عليه واقتصروا
على روايته دون ما سواها وعولوا على نسخها ورسمها في شرحهم لكتاب الموطا وتفاسيره هم
ويشيرون الى الروايات الاخرى اذا عرضت في امكنتها فهجرت الروايات الاخرى وسائر
تلك الطرق ودرست تلك الموطات الا موطا يحيى بن يحيى وروايته اخذ الناس في هذا
الكتاب لهذا العهد شرقا وغربا واما سندي في هذا الكتاب المتصل بيحيى بن يحيى
فعلى ما اصفه حدثني به جماعة من شيوخنا رحمة الله عليهم منهم امام المالكية
وقاضي الجماعة بتونس وشيخ الفتيا بها ابو عبد الله محمد بن عبد السلام بن يوسف الهواري
سمعته عليه بمنزله بتونس من اوله الى اخره ومنهم شيخ المسندين بتونس الرحالة
ابو عبد الله محمد بن جابر بن سلطان القيسي الوادياشي سمعت عليه بعضه واجازني بسائره
ومنهم شيخ المحدثين بالاندلس وكبير القضاة بها ابو البركات محمد بن محمد بن محمد بلشه
من المحدثين ابن ابراهيم بن الحاج البلفيقي لقيته بفاس سنة ست وخمسين من هذه المائة
الثامنة مقدمه في السفارة من ملك الاندلس وملك المغرب وحضرت مجلسه بجامع
القرويين من فاس فسمعت عليه بعضا من هذا الكتاب واجازني بسائره ثم لقيته لقاءة
اخرى سنة ستين استقدمه ملك المغرب السلطان ابو سالم ابن السلطان ابي
الحسن للاخذ عنه وكنت انا القارئ له فيما ياخذ عنه فقرات عليه صدرا من كتاب
الموطا واجازني بسائره اجازة اخرى ومنهم شيخ اهل المغرب لعصره في العلوم
العقلية ومعلم جماعتهم ابو عبد الله محمد بن ابراهيم الابلي قرات عليه بعضه واجازني

مشايخ قالوا كلهم حدثنا الشيخ المعمر ابو محمد عبد الله بن محمد بن هرون الطائي عن
القاضي ابي القاسم احمد بن يزيد بن بقي عن الشيخ ابي عبد الله محمد بن عبد الحق الخزرجي ح
وحدثني به ايضا شيخنا ابو البركات عن امام المالكية ببجاية ناصر الدين ابي علي منصور
ابن احمد بن عبد الحق المشدالي عن الامام شرف الدين محمد ابن ابي الفضل المرسي عن ابي
الحسن علي بن موسى بن النقرات عن ابي الحسن علي بن احمد الكناني قال الخزرجي والكناني
حدثنا ابو عبد الله محمد بن فرج مولى ابن الطلاع عن القاضي ابي الوليد يونس بن عبد الله
ابن مغيث بن الصفار قاضي الجماعة بقرطبة وحدثني به ايضا شيخنا ابو عبد الله
ابن جابر عن القاضي ابي العباس احمد بن محمد بن الغماز عن شيخه ابي الربيع سليمان بن موسى
ابن سالم الكلاعي عن القاضي ابي القاسم عبد الرحمن بن حبيش وابي عبد الله محمد بن
سعيد بن زرقون شارح كتاب الموطا قال ابن زرقون حدثنا به ابو عبد الله الخولاني
عن ابي عمرو عثمان بن احمد القيجاطي وقال ابن حبيش حدثنا به القاضي ابو عبد الله
ابن اصبغ ويونس بن محمد بن مغيث قالا قراناه على ابي عبد الله محمد بن الطلاع وقال ابن
حبيش ايضا حدثنا به ابو القاسم احمد بن محمد بن ورد عن القاضي ابي عبد الله محمد بن خلف
ابن المرابط عن المقري ابي عمر احمد بن محمد بن عبد الله المعافري الطلمنكي قال القاضي ابو الوليد
ابن مغيث والقيجاطي والطلمنكي حدثنا ابو عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى عن عم ابيه ابي مروان
عبيد الله بن يحيى عن ابيه يحيى بن يحيى وقال الطلمنكي حدثنا ابو جعفر احمد بن محمد بن حدير
البزاز قال حدثنا ابو محمد قاسم بن اصبغ قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن وضاح قال حدثنا يحيى
ابن يحيى عن مالك الا ثلاثة ابواب من آخر كتاب الاعتكاف اولها خروج المعتكف الى العيد
فان يحيى شك في سماعها من مالك فسمعها من زياد بن عبد الرحمن الملقب شبطون عن مالك
ولي في هذا الكتاب طرق اخرى لم يحضرني الان اتصال سندي فيها فمنها عن شيخنا ابي محمد
عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمي كاتب السلطان ابي الحسن لقيته بتونس عند استيلاء
السلطان عليها وهو في جملته سنة ثمان واربعين وحضرت مجلسه واخذت عنه كثيرا وسمعت
عليه بعض الموطا واجازني بالاجازة العامة وهو يرويه عن الاستاذ ابي جعفر ابن الزبير وعن
شيخه الاستاذ ابي اسحاق الغافقي وعن ابي القاسم القبتوري وجماعة من مشيخة اهل سبتة
ويتصل سنده فيه بالقاضي عياض وابي العباس العزفي صاحب كتاب الدر المنظم في المولد المعظم
ومنها عن شيخنا ابي عبد الله الكوسي خطيب الجامع الاعظم بغرناطة سمعت عليه بعضه
واجازني بسائره وهو يرويه عن الاستاذ ابي جعفر ابن الزبير وعن القاضي ابي عبد الله ابن
بكار وجماعة من مشيخة اهل الاندلس ويتصل سنده فيه بالقاضي ابي الوليد الباجي والحافظ
ابي عمر بن عبد البر بسندهما ومنها عن شيخنا المكتب ابي عبد الله محمد بن سعد بن برال

الانصاري

الانصاري شيخ القراآت بتونس ومعلمي كتاب الله قرات عليه القران العظيم بالقراآت
السبع وعرضت عليه قصيدتي الشاطبي في القراآت وفي الرسم وعرضت عليه كتاب
التقصي لابن عبد البر وغير ذلك واجازني بالاجازة العامة وفي هذه بالاجازة الخاصة
وهو يروي هذا الكتاب عن القاضي ابي العباس احمد بن محمد بن الغماز وعن شيخه ابي العباس
احمد بن موسى البطرني بسندهما ومنها عن شيخنا الاستاذ ابي عبد الله محمد ابن
الصفار المراكشي شيخ القراآت بالمغرب سمعت عليه بعض هذا الكتاب بمجلس السلطان
ابي عنان ملك المغرب وهو يسمعه اياه واجازني بسائره وهو يرويه عن شيخه محدث
المغرب ابي عبد الله محمد بن رشيد الفهري السبتي عن مشيخة اهل سبتة واهل الاندلس حسبما
ذلك مذكور في كتب رواياتهم وطرق اسانيدهم الا انها لم تحضرني الان وفيما ذكرناه
كفاية والله يوفقنا اجمعين لطاعته وهذا حين ابتدي وبالله اهتدي وانفض
ذلك المجلس وقد لاحظتني بالتجلة والوقار العيون واستشعرت اهليتي للمناصب القلوب
واخلص النجي في ذلك الخاصة والجمهور وانا انتاب مجلس السلطان في اكثر الاحيان
لتادية الواجب من التحية والمشافهة بالدعاء الى ان سخط السلطان قاضي المالكية يومئذ
في نزعة من النزعات الملوكية فاعتده واخره عن خطة القضاء في رجب ست وثمانين وسبعمائة
ودعاني للولاية في مجلسه وبين امرائه فتفاديت من ذلك وابى الا امضاءه وخلع علي وبعث
الامراء معي الى مقعد الحكم بمدرسة القضاء فقمت في ذلك المقام المحمود ووفيت عهد الله
وعهده في اقامة رسوم الحق وتحري المعدلة حتى سخطني من لم ترضه احكام الله ووقع في
ذلك ما تقدم ذكره وكثر شغب اهل الباطل والمراء فاعفاني السلطان منها لحول من يوم
الولاية وكان تقدمها وصول الخبر بغرق السفين الواصل من تونس الى الاسكندرية
وتلف الموجود والمولود وعظم الاسف وحسن العزاء والله قادر على ما يشاء
ثم خرجت عام سبعة وثمانين لقضاء الفرض وركبت بحر السويس من الطور الى الينبع ورافقت
المحمل الى مكة فقضيت الحج عامئذ وعدت الى مصر في البحر كما سافرت اولا وشغرت
وظيفة الحديث بمدرسة صلغتمش فولاني السلطان اياها بدلا من مدرسته في محرم
احد وتسعين ومضيت على حالي في الانقباض والتدريس والتاليف حتى ولاني خانقاه
بيبرس ثم عزلني عنها بعد سنة او ازيد بسبب انا ذاكره الان **ولاية خانقاه**
بيبرس والعزل منها لما رجعت من قضاء الفرض سنة تسعين ومضيت
على حالي من التدريس والتاليف وتعاهد السلطان باللقاء والتحية والدعاء وهو
ينظر الي بعين الشفقة ويحسن المواعد وكانت بالقاهرة خانقاه شيدها السلطان
بيبرس ثامن ملوك الترك الذي استبد على الناصر محمد بن قلاوون هو ورفيقه سلار

وأنف الناصر من استبدادهما وخرج للصيد فلما حاذى الكرك امتنع به وتركهم وشأنهم
فجلس بيبرس على التخت مكانه وكاتب الناصرَ أمراءُ الشام من مماليك أبيه
واستدعوه للقيام معه وزحف بهم إلى مصر وعاد إلى سلطانه وقتل بيبرس
وسلار سنة ثمان وسبعمائة وشيّد بيبرس هذا أيام سلطانه داخل باب النصر
من أعظم المصانع وأحفلها وأوفرها ريعًا وأكثرها أوقافًا وعين مشيختها ونظرها
لمن يستعد له بشرطه في وقفه فكان رزق النظر فيها والمشيخة واسعًا لمن يتولاه
وكان ناظرها يومئذ شرف الدين الأشقر إمام السلطان الظاهر وتوفي عند منصرفي
من قضاء الفرض فولاني السلطان مكانه توسعة عليّ وإحسانًا إليّ وأقمت على ذلك
إلى أن وقعت فتنة الناصري

فتنة الناصري

وسائقة الخبر عنها بعد تقديم كلام في أحوال الدول يليق بهذا الموضع ويطلعك
على أسرار في تنقل أحوال الدول بالتدريج إلى الضخامة والاستيلاء ثم إلى الضعف
والاضمحلال والله بالغ أمره وذلك أن الدول الكلية وهي التي تتعاقب فيها
الملوك واحدًا بعد واحد في مدة طويلة قائمين على ذلك بعصبية النسب أو الولاء
وهذا كان الأصل في استيلائهم وتغلبهم فلا يزالون كذلك إلى أن ينقرضوا ويغلب
مستحق آخر ينتزعه من أيديهم بالعصبية التي يقتدرون بها على ذلك ويحوزون
الأعمال التي كانت بأيدي الدولة الأولى يقتسمون جبايتها بينهم على تفاضل البأس والرجولة
والكثرة في العصابة أو القلة وهم على حالهم من الخشونة لمعاناة البأس والإقلال
من العيش لاستصحاب حال البداوة وعدم الترف من قبل ثم يسمو الترف بهم بنسبة الجباية
التي ملكوها وترخص الشهوات للاقتدار عليها فيعظم الترف في الملابس والمطاعم
والمساكن والمراكب والمماليك وسائر الأحوال ويتزايد شيئًا فشيئًا بتزايد النعم ويتسع الأحوال
أوسع ما يكون ويقصر الدخل عن الخرج وتضيق الجباية عن أرزاق الجند وأحوالهم ويحصل
ذلك لكل أحد ممن تحت أيديهم لأن الناس تبع لملوكهم ودولتهم ويراجع كل أحد نظره
فيما هو فيه من ذلك فيرجع وراءه ويطلب كفاء خرجه بدخله ثم إن الناس ينتقل من
أهل الدولة ما ذهب لهم من الخشونة وما صار إليه من رقة الحاشية والنعيم
فيتطاول من بقي من رؤساء الدولة إلى الاستبداد بها غيرةً عليها من الخلل
الواقع بها ويستعد لذلك بما بقي عنده من الخشونة ويحملهم على الإقلاع عن
الترف ويستألف لذلك العصابة بعشيره ومن يدعوه لذلك فيستولي على
الدولة ويأخذ في دوائها من الخلل الواقع وهو أحوج الناس به وأولاهم إليه فيصير
الملك له وفي عشيره وتصير كأنها دولة أخرى تمر عليها الأوقات ويقع فيها

ما وقع

ما وقع في الأولى فيستولي آخر منهم كذلك إلى أن تنقرض الدولة بأسرها وتخرج
عن القوم الأولين أجمع وتأتي دولة أخرى مباينة لعصابة هؤلاء في النسب
أو الولاء سنة الله في عباده وكان مبدأ هذه الدولة التركية
أن بني أيوب لما ملكوا مصر والشام كما قصصناه عليك في أخبارهم واستقل
بها كبيرهم صلاح الدين وشغل بالجهاد وارتجاع القلاع والحصون من أيدي
الفرنج الذين ملكوها بالسواحل وكان قبيل العصابة إنما كان عشيره من الكرد
يعرفون بني هذبان وهم قليلون وإنما أكثر منهم جماعة المسلمين بهمة الجهاد
الذي كان صلاح الدين يدعو إليه فعظمت عصابته بالمسلمين وأسمع داعيه ونصر
الله الدين على يده وارتجع السواحل كلها من أيدي نصارى الفرنج حتى مسجد بيت
المقدس فإنهم كانوا ملكوه واحتشوا فيه بالقتل والسبي فأذهب الله هذه الوصمة
على يد صلاح الدين وانقسم ملك بني أيوب بعده بين ولده وولد أخيه واستفحل أمرهم
واقتسموا مدن الشام ومصر بينهم إلى أن جاء آخرهم الصالح نجم الدين أيوب ابن الكامل
محمد ابن العادل أبي بكر أخي صلاح الدين وأراد الاستكثار من العصابة لحماية الدولة
وإقامة رسوم الملك وأن ذلك يحصل باتخاذ المماليك والاستكثار منهم كما كان
آخرًا في الدولة العباسية ببغداد وأخذ التجار في جلبهم إليه فاشترى منهم أعدادًا
وأقام لتربيتهم أساتذة معلمين لحرفة الجندية من الثقافة والرمي بعد تعليم الآداب
الدينية والخلقية إلى أن اجتمع له منهم عدد جم يناهز الألف وكان مقيمًا بأحواز
دمياط في حماية البلاد من طوارق الفرنج المتغلبين على حصنها دمياط وكان أبوه
قد اختط لنزله هنالك قلعة سماها المنصورة وبها توفي رحمه الله وكان نجم الدين
نازلًا بها في مدافعة ساكني دمياط من الفرنج فأصابه هنالك حدث الموت وكان
ابنه المعظم توران شاه نائبًا في حصن كيفا من ديار بكر وراء الفرات فاجتمع الجند على بيعته
وبعثوا عنه واستتروا وتفطن الفرنج لشأنهم فهجموا عليهم وأبلوا ونصر الله المسلمين
وأسر ملك الفرنج ريدا فرنس فبعثوا به إلى مصر وحبس بدار ابن لقمان إلى أن
فادوه بدمياط كما هو مذكور في أخبار بني أيوب ونصبوا للملك ولهذا اللقاء
زوجة الصالح أيوب واسمها شجر الدر فكانت تحكم بين الجند وتكتب على المراسيم
وركبت يوم لقاء الفرنج تحت الصناجق والجند محدقون بها حتى أعز الله دينه
وأتم نصره ثم وصل توران شاه المعظم فأقاموه في خطة الملك مكان أبيه الصالح
أيوب ووصل معه مماليك يدلون بمكانهم منه ولهم به اختصاص ومنه مكان
وكان رؤساء الترك يومئذ القائمون بالدولة من عهد أبيه وجده أقطاي الجمدار

وايبك التركماني وقلاون الصالحي فانفوا من تصرف مماليك توران شاه واستعلائهم
بالحظ من السلطان وسخطوهم وسخطوه واجمعوا قتله فلما رحل الى القاهرة اغتالوه
في طريقه بفارسكور وقتلوه ونصبوا للامرة ايبك التركماني منهم واستجدوا
هذه الدولة التركية كما شرحناه في اخبارها وملك بعد ايبك ابنه علي المنصور
ثم مولاه قطز ثم الظاهر بيبرس البندقداري ثم ظهر امر الططر واستفحل ملكهم
وزحف هولاكو بن طولي بن جنكزخان من خراسان الى بغداد فملكها وقتل الخليفة
المستعصم اخر بني العباس ثم زحف الى الشام فملك مدنه وحواضره من ايدي
بني ايوب الى ان استوعبها وجاءه الخبر بان بركه صاحب صراي شريكه في نسب
جنكزخان زحف الى خراسان فاعترض لذلك وكر راجعا وشغل بالفتنة معه
الى ان هلك وخرج قطز من مصر عندما شغل هولاكو بفتنة بركه فملك الشام كله
امصاره ومدنه واصاره للترك موالي بني ايوب واستفحلت دولة هولاء المماليك
واتصلت ايامها واحدا بعد واحد كما ذكرنا في اخبارهم ثم جاء قلاون عندما ملك
بيبرس الظاهر منهم فظاهره واصهر اليه والترف لم يبلغ لم ياخذ منهم والشدة
والشكيمة موجوده فيهم والباس والرجولة شعارهم وهلك الظاهر بيبرس وابناه
من بعده كما في اخبارهم وقام قلاون بالامر فاتسع نطاق ملكه وطال ذرع
سلطانه وقصرت ايدي الططر عن الشام بمهلك هولاكو وولاية الاصاغر من
ولده فعظم ملك قلاون وحسنت اثار سياسته واصبح حجة على من بعده ثم ملك
بعده ابناه خليل الاشرف ثم محمد الناصر وطالت ايامه وكثرت عصابته من مماليكه
حتى كمل منهم عدد لم يقع لغيره ورتب للدولة المراتب وقدم منهم في كل رتبة
الامراء واوسع لهم الاقطاع والولايات حتى توفرت ارزاقهم واتسعت بالترف
احوالهم ورحل ارباب البضائع من العلماء والتجار الى مصر فاوسعهم حباء
وبرا وتنافست امراء دولته في اتخاذ المدارس والربط والخوانق واصبحت دولتهم
غرة في الزمان وواسطة في الدول ثم هلك الناصر بعد اربعين وسبعمائة هـ
فقطع امراء دولته ينصبون بنيه للملك واحدا بعد اخر مستبدين عليهم متنافسين
في الملك حتى يغلب واحد منهم الاخر فيقتله ويقتل سلطانه من اولاد الناصر
وينصب اخر منهم مكانه الى ان انساق الامر لولده حسن الناصر فقتل مستبده
شيخون وملك امره والقى زمام الدولة بيد مملوكه يلبغا فقام بها ونافسه اقرانه
واغروا به سلطانه فاجمع قتله ونمي اليه الخبر وهو في علوفة البرسيم عند
خيله المرتبطة لذلك فاعتزم على الامتناع واستعد للقاء واستدعاه سلطانه

فتثاقل

فتثاقل عن القدوم واستشاط السلطان وركب في خاصته اليه فركب هو لمصادمته
وهاجم السلطان فقتله ورجع الى القلعة وهو في اساءته فلم يقبله تقصيره واغرى به
البحث فقبض عليه واستصفاه وقتله ونصب الملك محمد المنصور ابن المظفر حاجي ابن الناصر
وقام بالدولة احسن قيام واغرى نفسه بالاستكثار من المماليك وتهذيبهم بالتربية وتوفير
النعم عندهم بالاقطاع والولايات حتى كمل منهم عدد لم تعهده الدولة ثم خلع المنصور ابن
المظفر لسنتين ونصب مكانه الملك شعبان الاشرف ابن حسين ابن الناصر وقام على البحث
وهو في كفالته وهو على اوله في اعزاز الدولة واظهار الترف والثروة حتى ظهرت مخايل العز
والنعيم في العساكر والحشاد والمماليك والرتبة ثم بطروا النعمة وكفروا الحقوق وجمعوا عليه
لما كان يجاوز الحدود بهم في الاداب فهموا بقتله وحلوا نجائد الملك في متصيدهم الشتوي
وقد برز واله حاميهم وسلطانهم على عادتهم ولما احس بذلك ركب ناجيا بنفسه الى القاهرة
ودخلوا على السلطان الاشرف وجاووا به على اثره واجازوا البحر فقبضوا عليه عشي يومهم
ثم قتلوه في محبسه عشاء واطلقوا ايديهم على اهل البلد بمعرات لم يعهدوها من اول دولتهم
من النهب والتخطف وطروق المنازل والحمامات للعبث بالحرم واطلاق اعنة الشهوات
والبغي في كل ناحية فمرج امر الناس ورفع الامر الى السلطان وكثر الدعاء والالتجاء الى الله
واجمع اكابر الامراء الى السلطان وفاوضوه في كف عاديتهم فامرهم بالركوب ونادى في
جنده ورعيته باطلاق الايدي عليهم والاحاطة بهم في قبضة القهر فلم يكن الا كلمح
البصر واذا بهم في قبضة الاسر ثم خرب بهم السجون وصعدوا وطيف بهم على الجمال
ينادى بهم الا لا في الشوارع ثم وسط اكثرهم وتتبع البقية بالنفي والحبس بالثغور القصية
ثم اطلقوا بعد ذلك وكان فيمن اطلق جماعة منهم بحبس الكرك فيهم برقوق الذي ملك
امرهم بعد ذلك وبركه الجوباني والطنبغا الجوباني وجهركس الخليلي وكان طشتمر
دوادار يلبغا قد لطف محله عند السلطان الاشرف وولي الدوادارية له وكان
يؤمل الاستبداد كما كان استاذه يلبغا فكان يحتال في ذلك بجمع هولاء المماليك اليلبغاوية
من حيث سقطوا يريد بذلك اجتماعهم عصبة له على هواه ويغري السلطان بها شفاها
ورسالة الى ان اجتمع اكثرهم بباب السلطان الاشرف وجعلهم في خدمة ابنه علي ولي
عهده فلما كثروا واخذتهم اريحية العز بعصبيتهم صاروا يشتطون على السلطان
في المطالب ويعتزون بعصبية اليلبغاوية واعتزم السلطان الاشرف عام سبعة
وسبعين على قضاء الفرض فخرج لذلك حاجا واستناب ابنه عليا على قلعته
وملكه في كفالة قرطاي من اكابر اليلبغاوية واخرج معه الخليفة والقضاة فلما بلغ
العقبة اشتط المماليك في طلب جراياتهم من العلوفة والزاد واشتط الذين بمصر

كذلك في طلب ارزاقهم من المتولين للحمايه وصار الذين مع السلطان الى المكاشفه في
ذلك بالاقوال والافعال وطشتمر الدوادار يقضي عنهم بحسب وقت استعداده فلما زف
الى ان راعهم السلطان بالزجر فركبوا عليه هنالك وركض من خيامه مع لفيف من خاصته
فصحوه بالنبل ورجع الى خيامه ثم ركب الهجن مساءً وسار فصبح القاهره وعرس هو
ولفيفه بقبه النصر وكان قرطاي كافل ابنه علي المنصور حدثت بينه وبين ناظر الخاص
المقسي مكالمه عند مغيب السلطان احفدته وجاش بما كان في نفسه فاغرى عليا المنصور
ابن السلطان بالتوثب على الملك فارتاح لذلك واجابه واصبح يوم ثوب المماليك بالعقبه
وقد اجلس عليا مكفوله باب الاسطبل وعقد له ورفع الرايه بالنداء على جلوسه
بالتخت وبينما هم في ذلك صبحهم الخبر بوصول السلطان الاشرف الى قبه النصر للشد
وطاروا اليه زرافات ووحدانا فوجدوا اصحابه نياما هنالك وقد تسلل من بينهم هو
ويلبغا الناصري من اكابر اليلبغاويه فقطعوا رؤوسهم جميعا ورجعوا بها تسيل دما
ووجموا لفقدان الاشرف وبايعوا النداء عليه واذا بامراه قد دلتهم عليه في مكان
عرفته فسابقوا اليه وجاءوا به فقتلوه لوقته بخلع اكتافه وانعقدت بيعه ابنه المنصور
وجاء طشتمر الدوادار من الغد بمن بقي بالعقبه من الحرم وبحلف السلطان واعرم على
شانهم طمعا في الاستبداد الذي في نفسه فدافعوه وعلوه وحصل في قبضتهم
فخلعوا عليه بنيابه الشام وصرفوه لذلك واقاموا في سلطانهم وكان اسنبغا امير
اخر من اليلبغاويه قد ساهم قرطاي في هذا الحادث واصهر اليه في بعض حرمه
فاستنام له قرطاي وطمع هو في الاستيلاء وكان قرطاي مواصلا صبوحه بغبوقه
وستغرق في ذلك فركب في بعض ايامه واركب معه السلطان عليا واحتاز الامر من يد
قرطاي وصيره الى صفد واستقل بالدوله ثم انتقض طشتمر بالشام مع سائر امرائه فخرج
اسنبغا في العساكر وسرح المقدمه مع جماعه من الامراء كان منهم برقوق وبركه المستوليان
عقب ذلك وخرج هو والسلطان في الساقه فلما انتهوا الى بلبيس ثار الامراء الذين في
المقدمه عليه ورجع اليه اخوه منهزما فرجع الى القلعه ثم احلف عليه الامراء وطالبوه
للحرب في قبه النصر فسرح العساكر لذلك فلما فصلوا فر هو هاربا وقبض عليه
وبعث بالاسكندريه واجتمع امراء اليلبغاويه بعدهم مطلقتمر العلاي ويلبغا الناصري
ودمرداش اليوسفي وبركه وبرقوق فتصدى دمرداش ويلبغا وبركه وبرقوق الى الاستقلال
بالامر وتغلبوا على سائر الامراء واعتقلوهم بالاسكندريه وفوضوا الامر الى
يلبغا الناصري وهم يرونه عن حبيرها فشاروا باستدعاء طشتمر وبعثوا اليه واستطروا
فلما جاءه الخبر بذلك ظنها منيه نفسه وسار الى مصر فدفعوا الامر اليه وجعلوا

له الوليه

ودعوتني ولست من منصب الحكم ولا ساحبا الذيل دوله ، غير اني وشي بذكري واش يقضي او بان ودخوله
فكسا معولين على حلمك يمحو الاصار عنا الثقيله ، ما اشربانه لزيد ولا عمرو ولا عينوا الينا تفصيله
انما يذكرون عمز وغمز مبهمات احكامها منقوله ، ويطنون ان ذلك على ما اضمروا من شناعه اوردبله
وهو ظن عن الصواب بعيد وظلام لم يحسنوا تاويله ، وجناب السلطان نزهه الله عن العاب بالهدي والفضيله
واجل الملوك قدرا صفوح يحيي دين دهره لتقبيله ، فاقيلوا العثار انا اليوم نرجو بجاه السلطان منكم قبوله
واعينوا على الزمان عسى ان تشتكي جدب عيشه ومحوله ، جاركم ظنكم بان حماكم لا تضيع الكريم يوما نزيله
جددوا واعتدوا رسوم رضاكم فرسوم الكرام عمر محيله ، داركوني برحمه فلقد امست عقود اصطباري محلوله
والحلوه جبرا فليس برجي غير احسانكم لهدي العيله ، يا حميد الاثار في الدهر يا الطنبغا يا روض العلا ومقيله
كيف بالحاثماه يقل عني لا لذنب او جنحه منقوله ، بل لعل لها شغورا لمرسوم شريف وجعله مسند وله
ولقد كنت املا الوسواها وسواها بو عله ان بسله ، ولو بعث للزمان عليها بعقود ماخلتها محلوله
المغر فصني فمثلك من يقصد فعل الحسنى ممن ينتمي له ، واعيموا من مثوبي ودعاي قربه عند ربكم مقبوله
وفي التعريض سفره الى الشام ، واصحب العز ظافرا بالاماني وارى العصبه العدا مفلوله له
واعمل في سعاده الملك الظاهر ان يمحو الاذى وتزيله ، وتعيد الدنيا لاحسن شمل حين يضحي بسعده مشموله
واطلب النصر من سعادته يصحبك دابا في الطعن والحلوله ، وارتقب ما يحله بالاعادي في جمادى اورد عليه قتله
وخذوه فالاحسن قول صدق والله في الزمان مقوله ، فلقد كان يحسن الفال عند المصطفى دائما ويرضى جميله

الشعاية في المهاداة والاتحاف بين ملوك المغرب والملك الظاهر

كثيرا ما يتعاهد الملوك المتجاورون بعضهم بعضا بالاتحاف بطرفه اوطانهم للمواصله
والاعانه متى دعت اليها داع وكان صلاح الدين ابن ايوب هادى يعقوب المنصور ملك
المغرب من بني عبد المومن واستجاشه باسطوله في قطع مدد الفرنج عن سواحل الشام
حين كان معنيا بازعاجهم عنها وبعث في ذلك رسوله عبد الكريم بن منقذ من امراء شيزر
فاكرم المنصور رسوله وقعد عن اجابته في الاسطول لما كان في الكتاب اليه من العدول
عن خطابه بامير المومنين فوجدها غصه في صدره منعته من اجابته الى سواله وكان
المانع لصلاح الدين من ذلك كاتبه الفاضل عبد الرحيم البيساني ما كان يساوره في امور وكان
مقيما الدعوه للخليفه العباسي بمصر فراى الفاضل ان الخلافه لا تنعقد لاثنين في المله
كما هو المشهور وان اعتماد اهل المغرب سوى ذلك لما يرون ان الخلافه ليست لقبا فقط
وانما هي لصاحب العصبه القائم عليها بالشده والحمايه والخلاف في ذلك معروف بين اهل
الحق فلما انقرضت دوله الموحدين وجاءت دوله بني مرين من بعدهم وصار كبراوهم ورؤساوهم
يتعاهدون قضاء فرضهم لهذه البلاد الشرقيه فتعاهدهم ملوكها بالاحسان اليهم
وتسهيل طريقهم يحسن في مكارم الاخلاق وايصال البر والمواصله بالاتحاف والاستطراف

والمكافاة في ذلك بالهمم الملوكية فنشب لذلك طرابو واحادث مشهورة من حقها ان يذكر
وكان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ثالث ملوك بني مرين اهدى لصاحب مصر عام سبعماية
وهو يومئذ الناصر محمد بن قلاوون هدية ضخمة اصحبها كريمة من كرايمه ان احتفل فيها
ما شاء من انواع الطرف واصناف الذخاير وخصوصًا الخيل والبغال اخبرني الفقيه
ابو اسحاق الحسناوي كاتب الموحدين بتونس انه عاين تلك الهدية عند مرورها بتونس
قال وعددت من صنف البغال الفارهة فيها اربعماية وسكت عما سوى ذلك وكان مع هذه
الهدية من فقهاء المغرب ابو الحسن التنسي كبير اهل الفتيا بتلمسان ثم كافا الناصر عن هذه
الهدية باعلاثها واحتفل مع امير من امراء دولته ادركا يوسف بن يعقوب وهو
حاصر تلمسان فبعثهما الى مراكش للنزاهة في محاسنها وادركه الموت في مغيبهما ورجعا من
مراكش فجهزهما حافده ابو ثابت المالك بعده وشيعهما الى مصر فاعترضتهما ما ل حصين
وهبوهما ودخلا بجاية ثم مضيا الى تونس ووصلا من هنالك الى مصر ولما ملك
السلطان ابو الحسن تلمسان افرج عليه جارية ابيه ابي سعيد وكانت لها عليه تربية فارادت
الحج في ايامه وعنايته فاذن لها في ذلك وبعث في خدمتها ولية عريف بن يحيى من امراء
سويد وجماعة من امرائه وبطانته واستصحبوا هدية منه للملك الناصر احتفل فيها
ما شاء واستكثر من الخيل العتاق والمطايا الفرة وقماش الحرير والكتان والصوف ومدبوغ
الجلود الناعمة والاواني المتخذة من النحاس والفخار المخصوص كل مصر من المغرب باصناف
من صنايعها متشابهة الاشكال والانواع حتى لقد زعموا انه كان فيها حمولة من اللالي
والفصوص وكان ذلك وقر خمسماية بعير وكانت عتاق الخيل فيها خمسماية فرس بالسروج
الذهبية المرصعة بالجواهر واللجم المذهبة والسيوف المحلاة بالذهب واللالى كانت قيمة
المركب الاول منها عشرة الاف دينار وتدرجت على الولاء الى اخر الخمسماية فكانت قيمته
ماية دينار تحدث الناس بهذه الهدية دهرا وعرضت بين يدي الملك الناصر فاشار الى
خاسكيته باتهابها فانتهبت بين يديه وتولع في كرامة اولئك الضيوف في ابراهيم وقراهم
وازوادهم الى الحجاز والى بلادهم وبقي شان الهدية حديثا يتجاراه الناس في مجالسهم واسمارهم
وكان ذلك عام ثمانية وثلاثين وسبعماية ولما فصل ارسال ملك وقد قضوا فرضهم
بعث الملك الناصر معهم هدية كفاء هديتهم وكانت ——— اصنافها حمل القماش من ثياب
الحرير والقماش المصنوعة بالاسكندرية يحمل كل عام الى دار السلطان قيمة ذلك الحمل خمسون
الف دينار وخيمة من خيام السلطان المصنوعة بالشام على مثال القصور تشتمل على بيوت للمراقد
واواوين للجلوس والطبخ وابراج للاشراف على الطرقات وابراج احدها لجلوس السلطان للعرض
وفيها مثال مسجد بمحرابه وعمده ومادنته حوائطها كلها من حرير الكتان الموصولة بحبك

الخياطه

الخياطة مفصلة على الاشكال التي يقترحها المتخذون لها وكان فيها خيمة اخرى مستديرة
الشكل عالية السمك مخروطة الراس رحبة الفناء يظل خمسماية فارس او اكثر وعشرة
من عتاق الخيل بالمراكب الذهبية الثقيلة ولجمها كذلك ومرت هذه الهدية بتونس ومعها
الخدام القايمون بنصب الابنية فعرضوها على السلطان بتونس وعاينت يومئذ اصناف
تلك الهدية وتوجهوا بها الى سلطانهم وبقي العجب منها دهرا على الالسنة وكان
ملوك تونس من الموحدين يتعاهدون ملوك مصر بالهدية في الاوقات ولما وصلت
الى مصر واتصلت بالملك الظاهر وحظيت بنعمه وكرامته كاتبت السلطان بتونس يومئذ
واحرضته بما عند الملك الظاهر من الشوق الى جياد الخيل وخصوصا من المغرب لما
فيها من الشدة والصبر على المتاعب وكان يقول لي مثل ذلك وان خيل مصر قصرت بها
الراحة والسعة عن الصبر على التعب فحضض السلطان بتونس على اتحاف الملك الظاهر
بما ينتقيه من الجياد الرايعة فبعث له خمسة انتقاها من مراكبه وحملها في البحر في السفين الواصل
باهلي وولدي فغرقت بمرسى الاسكندرية وتعقبت تلك الحادثة مع ما ضاع في ذلك السفر وكل
شيء بقدر ثم وصل الساعام لمه وتسعين شيخ الاعراب المعقل بالمغرب يوسف بن علي بن
غانم كبير اولاد حسين ناجيا من سخط السلطان ابي العباس احمد بن ابي سالم من ملوك بني
مرين بفاس ثم مرتضيا فرضه ويتوسل بذلك لرضى سلطانه فوجد السلطان غايبا بالشام
في فتنة منطاش فعرضته لصاحب المحمل فلما عاد من قضاء فرضه وكان السلطان قد عاد
من الشام توصلت به وحضر بين يديه وشكى بثه فكتب الظاهر فيه شفاعة لسلطان وطنه
بالمغرب وحمله مع ذلك هدية اليه من قماش وطيب وقسي واوصاه باشتراء الخيل له من
قطر المغرب وانصرف فقبل سلطانه فيه شفاعة الظاهر واعاده الى منزلته واسنى
الحمول الرايعة لمهاداة الملك الظاهر واخذ في استفراه اصناف الهدية فعاجلته المنية
دون ذلك وولي ابنه ابو فارس وبقي اياما ثم هلك وولي اخوه ابو عامر فاستكمل الهدية
وبعثها صحبة يوسف بن علي الوارد الاول وكان السلطان الملك الظاهر لما ابطا عليه
وصول الخيل من المغرب اراد ان يبعث من امرايه من يتخير له منها ما شاء بالشراء فعين
لذلك مملوكا من مماليكه منسوبا الى تربية الخليلي اسمه قطلوبغا وبعث عني فحضرت
بين يديه وشاورني في ذلك فوافقته وسالني كيف تكون طريقه فاشرت بالكتاب في ذلك
الى سلطان تونس من الموحدين وسلطان تلمسان من بني عبد الواد وسلطان فاس والمغرب
من بني مرين وحمله لكل واحد منهم هدية خفيفة من القماش والطيب والقسي وانصرف
عام تسعة وتسعين الى المغرب وشيعه كل واحد من ملوكه الى مامنه وبالغ في اكرامه
بما يسير ووصل الى فاس فوجد الهدية قد استكملت ويوسف بن علي على المسير بها عن

سلطانه ابي عامر من ولد السلطان ابي العباس الحاجب اولا واطلقهم عند الاضحى بفاس وخرجوا
من تونس الى مصر وقد افاض السلطان من احسانه وعطائه على الرسول قطلوبغا ومن في
جملته بما اقر عيونهم واطلق بالشكر السنتهم وملأ بالثناء ضمائرهم ومروا بتلمسان
وبها يومئذ ابو زيان ابن السلطان ابي حمو من ال يغمراسن بن زيان فبعث معهم هديه
اخرى من الجياد بمراكبها وكان يحوك الشعر فامتدح الملك الظاهر بقصيده بعثها
مع هديته ونصها من اولها الى اخرها

لمن الركائب سيرهن ذميل ، والصبر الا بعدهن جميل ، يا ايها الحادي رويدك انها ، قطع بمثل القلب حيث تميل
رفقا بمن حملته فوق ظهورها ، فالحسن فوق ظهورها محمول ، لله ابة الخير شفافه يحار عنها للظلام سدول
شهب بافاق الصدور طلوعها ، ولها باستار الخدور افول ، في الهودج المزرور منها غاده ، يرع الدجا جبينها فيحول
فكانها غصن على متني كثيب ، والكثيب مهيل ، يا ربة مطاياها فسار بي الهوى ، واعاد قلبي زفره وغليل
او منت لو دنت فغالب عبرتي ، بطرف ناله العيون كليل ، دمع اغيض منه خوف رقيبها ، طورا وتغلبني الاسى فيسيل
وخ المحب وشبه عبرته فكانها ، قال عليه وقيل ، صان الهوى وخؤونه يوم النوى ، لمصون جوهر دمعه تبديل
ويهله اسد الشرى في حسنها ، ويروعه ظبي الحمى المكحول ، يا ايها العوس الصنم الا في الهوى ، فالحر عبد والعزيز ذليل
يا بانة الوادي ويا اثل الحمى ، هل ساعة تصغي لي فاقول ، مالي اذا هب النسيم من الحمى ، ارتاح شوقا للحمى واميل
خلوا الصبا تخلص الى نسيمها ، ان الصبا لصبابتي تعليل ، مالي اخلاء وود محله ، واذاد عنه وورده منهول
والناس ليس بمريح عن مربح ، والطبع المولى الجميل جميل ، من لي بروضة الهادي الذي ، ما مثله في المرسلين رسول
هو احمد ومحمد والمصطفى ، والمجتبى وله اسمى المفضل ، يا خير من اهدى الهدى واجل من ، اثنى عليه الوحي والتنزيل
وحي من الرحمن يلقيه على ، قلب النبي محمد جبريل ، مدحتك ايات الكتاب وبشرت ، بعد ومكة التوراة والانجيل
صلى الصلاة عليك تحلو في فمي ، تكرر ذكرك المعسول ، نور بعثك ان ما هو اول ، ان يا ضلعي فلما بحك ربعه ماهول
هل من سبيل للسرى حتى ارى ، خير الورى فهو المنى والسول ، حتى مطلي الليالي وعدها ، ان الزمان بوعده لبخيل
ما عاقني الاعظم جرائمي ، ان الجرائم حملهن ثقيل ، انا مغرم فتعطفوا انا مذنب ، فتجاوزوا انا عاثر فاقيلوا
واذا البعيد تقربوا والمسيء ، فاسوا والمرتجى فانيلوا ، يا سائقا نحو الحجاز حموله ، والقلب بين حموله محمول
لمحمد بلغ سلام سميه ، قد ما مع محمد موصول ، وسل الاله اغتفار ذنوبه ، بسمع هناك دعاؤك المقبول
وعن الملك ابي سعيد فلتبلغ ، فلكم له نحو الرسول رسول ، متجمل لله كسوة بيته ، يا حبذا الكل المحمل المحمول
سعد الملك ابي سعيد انه ، سيف على اعدائه مسلول ، ملك بجح المغرب الاقصى به ، فلهم به نحو الرسول وصول
ملك به نام الانام وامنت ، سبل الحجاز فلا اخاف سبيل ، فالملك ضخم والجناب مؤمل ، والفضل جم والعطاء جزيل
والصنع اجمل والفخار مؤثل ، والمجد اكمل والوفا اصيل ، يا مالك البحرين بلغت المنى ، قد عاد مصر على العراق يصول
يا خادم الحرمين حولك الهنا ، فعليك من روح الاله قبول ، يا متحفي ومفاتحي برسالة ، سلسالة يرهى بها الترسيل
اهديتها حسنا بكرا انما ، لها عزى وان كثر الرجال كفيل ، صاغ المداد من الوداد تصحفها ، حتى اضمحل عبوسه المجبول

جمعت

جمعت وحاملها حضرنا كما جمعت ، تشتت في الهوى وجميل ، وتاكدت بهديه ودية هي للاخاء المرتضى تكميل
اطلعت فيها للعشي اهله ، يرتد عنها الطرف وهو كليل ، وحسام يضرزاهها نضار ، زان العيون فرندها المصقول
ماضي الشبا المصابه تعنو الظبى ، فيه تصول على العدى وتطول ، وبدائع الحلل التمامه التي ، يروى معاطفها بمصر النيل
فاحلل بها ناظري فرانها ، تخفا بحول الحسن حيث تجول ، جلت محاسنها فاهوى نحوها ، بهم القبول اللثم والتقبيل
يا مسعدي واخي العزيز ومنجدي ، ومن القلوب الى هواه تميل ، ارکان بيتم الود منك مدللا ، بالبر وهو بذلك موصول
فيظن عندي وليس يضره ، معارض وهم ولا تخييل ، ودي يزيد وبانت شهدانه ، ولخالد بخلوده تدبيل
واليكها تنبيك صدق مودتي ، صح الدليل وافق المدلول ، فاذا راك المجلس السامي سمت ، فلديك امال الهوى وقبول
دام الوداد على البعاد موصلا ، بين القلوب وحبله موصول ، وبقيت في نعم لديك مزيدها ، وعليك اضفوظلها المسدول

ثم مروا بعدها بتونس فبعث سلطان تونس ابو فارس عبد العزيز ابن السلطان ابي العباس من ملوك
الموحدين هديه بالغ في انتقائها جياد الخيل وعزز بها هديه السلطان من وراه مع رسوله من
كبار الموحدين ابي عبد الله ابن تافراكين ووصلت الهدايا الثلاث الى باب الملك الظاهر في اخر السنه
وعرضت بين يدي السلطان وانتهب الخاصكيه ما كان فيها من الاقمشه والسيوف والبسط
ومراكب الخيل وحمل كثيرا منهم على كثير من تلك الجياد وارتبط الباقيات وكانت هديه صاحب
المغرب تشتمل على خمسه وثلاثين من عتاق الخيل بالسروج واللجم الذهبيه والسيوف المحلاه
وخمسه وثلاثين حملا من اقمشه الحرير والكتان والصوف والجلد منتقاه من احسن هذه الاصناف
وهديه صاحب تلمسان تشتمل على ثلاثين من الجياد بمراكبها المموهه واحمال من الاقمشه وهديه
صاحب تونس تشتمل على ثلاثين من الجياد مغشاه ببراقع الثياب من غير مراكب وكلها
انق في صنفه مستطرف في نوعه وجلس السلطان يوم عرضها جلوسا فخما في ايوانه
وحضر الرسل وادوا ما يجب عن ملوكهم وقابلهم السلطان بالبر والقبول وانصرفوا الى
منازلهم للجرايات الواسعه والاحوال الضخمه ثم حضر وقت خروج الحاج فاستاذنوا في الحج
مع محمل السلطان فاذن لهم وازاح عللهم وقضوا حجهم ورجعوا الى حضره السلطان ومعهم
مبرته ثم انصرفوا الى مواطنهم وشيعهم من بر السلطان واحسانه ما ملا حقائبهم
واسنى جوائزهم وحصل لي انا من بين ذلك في الفخر ذكر جميل بما سعيت بين هولاء الملوك من
السعي في الوصله الباقيه على الابد فحمدت الله على ذلك

ولاية القضاء الثانية بمصر

ما زلت منذ العزل عن القضاء الاول سنه سبع وثمانين مكبا على الاشتغال بالعلم بالتاليف وتدريسا
والسلطان يولي في الوظيفه من يراه اهلا متى دعاه الى ذلك داع من موت القائم بالوظيفه
او عزله وكان يرى لي الاولويه بذلك لولا وجود الذين شغبوا من قبل في شاني من امراء دولته
وكبار حاشيته حتى انقرضوا واتفقت وفاه قاضي المالكيه اذ ذاك ناصر الدين ابن التنسي
وكنت مقيما بالفيوم لضم زرعي هنالك فبعث عني وقلدني وظيفه القضاء في منتصف

رمضان من سنة احدى وثمانمائة حجرت على السير المعروف مني من القيام بما يجب للوظيفة شرعا وعادة وكان رحمه الله يرضى بما يسمع عني في ذلك ثم ادركته الوفاة في منتصف شوال بعدها فاحضر الخليفة والقضاة والامرا وعهد الى كبير ابنائه فرج ولاخوته من بعده واحدا واحدا واشهدهم على وصيته بما اراد وجعل القائم بامر ابنه في سلطانه الى اتابكه ايتمش وقضى رحمه الله عليه وترتبت الامور من بعده كما عهد لهم وكان النائب بالشام يومئذ امير من خاصكية السلطان يعرف بتنم وسمع بالواقعات بعد السلطان فغص ان لم يكن هو كافل ابن الظاهر بعده ويكون زمام الدولة بيده وطمع شماس العز بغزو ذلك وساهم في ذلك اذ وقعت فتنة الاتابك ايتمش وذلك انه كان للاتابك دوادار غر تطاول الى الرياسة وترفع على اكابر الدولة بحظه من استاذه وما له من الكفالة على السلطان فنقموا احوالهم مع هذا الدوادار وما يسومهم به من الترفع عليهم والتعرض لاهمال نصائحهم فاغروا السلطان بالخروج عن ربقة الحجر واطاعهم في ذلك واحضر القضاة بمجلسه للدعوى على الاتابك باستغنائه عن الكافل بما علم من قيامه بامره وحسن تصرفاته وشهد بذلك في المجلس امراء ابيه كافة واهل المراتب والوظائف منهم شهادة قبلها القضاة واعذروا الى الاتابك فيهم فلم يدفع في شيء من شهاداتهم ونفذ الحكم يومئذ برفع الحجر عن السلطان في تصرفاته وسياسة ملكه وانفض الجمع وتحول الاتابك من الاسطبل الى بيت سكناه ثم عاود الكثير من الامراء نظرهم فيما اتوه من ذلك فلم يروه صوابا وحملوا الاتابك على نقضه والقيام بما جعل له السلطان من كفالة ابنه في سلطانه وركب وركبوا معه في اخر شهر المولد النبوي وقاتلهم اولياء السلطان فرج عشي يومهم وليلتها فهزموهم وساروا الى الشام مستصرخين بالنائب تنم وقد وقر في نفسه ما وقر من قبل فتلقاهم ولباب صريخهم واعتزموا على المضي الى مصر وكان السلطان لما انفض جموع الاتابك وساروا الى الشام اعمل نظره في الحركة والسفر لخضد شوكتهم وتفريق جماعتهم وخرج في جمادى حتى انتهى الى غزة فجاءه الخبر بان نائب الشام تنم والاتابك والامرا الذين معه خرجوا من الشام زاحفين للقاء السلطان وقد احتشدوا واوعبوا واسهموا فسار من الرملة فراسلهم السلطان مع قاضي القضاة الشافعي صدر الدين المناوي وناصر الدين الرماح احد المعلمين لثقافة الرماح يعذر اليهم ويحملهم على اجتماع الكلمة وترك الفتنة واجابتهم الى ما يطلبون من مصالحهم فاشتطوا في المطالب وصمموا على ما هم فيه ووصل الرسولان بخبرهم فركب السلطان من الغد وعبى عساكره وصمم لمعاجلتهم فلقيهم اثناء طريقه وهاجمهم فهاجموه ثم ولوا الادبار منهزمين وصرع الكثير من اعيانهم وامرائهم في صدر موكبه فما غشيهم الليل الا وهم مصفدون في الحديد يقدمهم الامير تنم نائب الشام

واكابرهم

واكابرهم كلهم ونجا الاتابك ايتمش الى القلعة بدمشق فاوى اليها واعتقله نائب القلعة وسار السلطان الى دمشق فدخلها على التعبية في يوم اغر واقام بها اياما وقتل هؤلاء الامراء المعتقلين وكبيرهم الاتابك ذبحا وقتل تنم من بينهم خنقا ثم ارتحل راجعا الى مصر وكنت استاذنت في التقدم الى مصر بين يدي السلطان لزيارة بيت المقدس فاذن لي في ذلك ووصلت الى القدس ودخلت المسجد وتبركت بزيارته والصلاة فيه وتعففت عن الدخول الى القمامة لما فيها من الاشادة بتكذيب القران اذ هو بناء امم النصرانية على مكان الصليب بزعمهم فنكرته نفسي ونكرت الدخول اليه وقضيت من سنن الزيارة ونافلتها ما يجب وانصرفت الى مدفن الخليل عليه السلام ومررت في طريقي اليه ببيت لحم وهو بناء عظيم على موضع ميلاد المسيح شيدت القياصرة عليه بناء بسماطين من العمد الصخور منجدة مصطفة مرقوما على رؤوسها صور ملوك القياصرة وتواريخ دولهم ميسرة لمن يبتغي تحقيق نقلها بالتراجمة العارفين لاوضاعها ولقد يشهد هذا المصنع بعظم ملك القياصرة وضخامة دولتهم ثم ارتحلت من مدفن الخليل الى غزة وارتحلت منها فوافيت السلطان بظاهر مصر ودخلت في ركابه اواخر شهر رمضان سنة اثنتين وثمانمائة وكان بمصر فقيه من المالكية يعرف بنور الدين ابن الخلال ينوب اكثر اوقاته عن قضاة المالكية فحرضه بعض اصحابه على السعي في المنصب وبذل اماما يسيرا من موجوده لبعض بطانة السلطان الساعين له في ذلك فتمت سعايته في ذلك ولبس منتصف المحرم سنة ثلاث ورجعت انا للاشتغال بما كنت مشتغلا به من تدريس العلم وتاليفه الى ان كان السفر لمدافعة تمر عن الشام

سفر السلطان الى الشام لمدافعة الططر عن بلاده

هؤلاء الططر من شعوب الترك وقد اتفق النسابة والمورخون على ان اكثر امم العالم فرقتان وهما العرب والترك وليس في العالم امة اوفر منهما عددا هؤلاء في جنوب الارض وهؤلاء في شمالها وما زالوا يتناوبون الملك في العالم فتارة يملك العرب ويزحلون الاعاجم الى اخر الشمال واخرى يزحلهم الاعاجم والترك الى طرف الجنوب سنة الله في عباده فلنذكر كيف اتساق الملك لهؤلاء الططر واستغرب الدول الاسلامية فيهم لهذا العهد فنقول ان الله سبحانه خلق هذا العالم واعمره باصناف البشر على وجه الارض في وسط البقعة التي انكشفت من الماء فيه وهي عند اهل الجغرافيا مقدار الربع منه وقسموا هذا المعمور بسبعة اجزاء سموها الاقاليم مبتدئة من خط الاستواء من المشرق الى المغرب وهو الخط الذي تسامت الشمس فيه رؤوس السكان الى تمام السبعة اقاليم وهذا الخط في جنوب المعمور وتنتهي السبعة الاقاليم في شماله وليس في جنوب خط الاستواء عمران

الى الجزء الرابع المنكشف لافراط الحر فيه وهو يمنع من التكوين وكذلك ليس بعد الاقاليم
السبعة في جهة الشمال عمران لافراط البرد فيها وهو مانع من التكوين ايضا ودخل
الماء المحيط بالارض من جهة الشرق فوق خط الاستواء بثلاث عشرة درجة
فيدخل فسيحا وانساح مع خط الاستواء مغربا فمر بالصين والهند والسند واليمن
في جنوبها كلها وانتهى الى وسط الارض عند باب المندب وهو البحر الهندي
والصيني ثم انحرف من طرفه الغربي في خليج عند باب المندب ومر في جهة الشمال
مغربا بالتمر وتهامة والحجاز ومدين وايلة وفاران وانتهى الى مدينة القلزم ويسمى
بحر السويس وفي شرقيه بلاد الصعيد الى عيذاب وبلاد البجاه وخرج من هذا البحر
الهندي من وسطه خليج آخر يسمى الخليج الاخضر مر شمالا الى الابلة ويسمى بحر فارس
وعليه في شرقيه بلاد فارس وكرمان والسند ودخل الماء ايضا من جهة الغرب في خليج
متضايق في الاقليم الرابع ويسمى بحر الزقاق يكون سعته هنالك نحو اثني عشر ميلا وعمر
مشرقا ببلاد البربر من المغرب الاقصى والاوسط وارض افريقية والاسكندرية وارض
التيه وفلسطين والشام وعليه في الغرب بلاد الافرنج كلها وخرج منه في الشمال
خليجان السرقي منهما خليج القسطنطينية والغربي خليج البنادقة ويسمى هذا البحر البحر
الرومي والشامي وان هذه السبعة الاقاليم المعمورة ينقسم من شرقيها وغربيها بنصفين
فنصفها الغربي في وسطه البحر الرومي وفي النصف الشرقي من جانبه الجنوبي البحر الهندي
وكان هذا النصف الغربي اقل عمران من النصف الشرقي لان البحر الرومي المتوسط فيه
انفسح في انسياحه فغمر الكثير من ارضه والجانب الجنوبي منه قليل العمران لشدة الحر
فالعمران فيه في جانب الشمال فقط والنصف الشرقي عمرانه اكثر بكثير لانه لا بحر في
وسطه بل جانبه الجنوبي فيه البحر الهندي وهو متسع جدا فلطف الهواء
فيه لمجاورة الماء وعدل مزاجه للتكوين فصارت اقاليمه كلها قابلة للعمران فكثر
عمرانه وكان مبدأ هذا العمران في العالم من لدن آدم صلوات الله عليه ونسله
ولده اولا في ذلك النصف الشرقي وبادت تلك الامم ما بينه وبين نوح ولم نعلم شيئا
من اخبارها الان الكتب الالهية لم يرد علينا فيها الا اخبار نوح وشيث واما ما قبل
نوح فلم نعرف شيئا من اخباره واقدم الكتب المنزلة المتداولة بين ايدينا التوراة وليس
فيها من اخبار تلك الاجيال شيء ولا سبيل الى اتصال الاخبار القديمة الا بالوحي
واما الاخبار فهي تدرس بدروس اهلها واتفق النسابون على ان النسل كله
منحصر في بني نوح وفي ثلاثة من ولده وهم سام وحام ويافث فمن سام العرب
والعبرانيون والسبائيون ومن حام القبط والكنعانيون والبربر والسودان

ومن يافث

ومن يافث الترك والروم والخزر والفرس والديلم والجيل ولا ادري كيف صح انحصار النسب في
هؤلاء الثلاثة عند النسابين امن النقل وهو بعيد كما قدمناه او هو رأي تفرع لهم من انقسام
جهات المعمور فجعلوا شعوب كل جهة لاهل نسب واحد يشتركون فيه فجعلوا الجنوب لبني سام
والمغرب لبني حام والشمال لبني يافث الا ان المتناقل بين النسابة في العالم كما قلناه فليعتمد ويعول
اول من ملك الارض من نسل نوح عليه السلام النمرود بن كنعان بن كوش بن حام ووقع ذكره
في التوراة وملك بعده عابر بن شالخ الذي ينتسب اليه العبرانيون والسريانيون وهم النبط
وكانت لهم الدولة العظيمة وهم ملوك بابل من نبيط بن اشور بن سام وقيل نبيط بن ماش بن
ارم وهم ملوك الارض بعد الطوفان على ما قاله المسعودي وغلبهم الفرس على بابل
وما كان في ايديهم من الارض وكانت يومئذ في العالم دولتان عظيمتان لملوك بابل
هؤلاء وللقبط بمصر هذه في الغرب والاخرى في المشرق وكانوا ينتحلون الاعمال السحرية
ويعولون عليها في كثير من اعمالهم وبراني مصر وفلاحة ابن وحشية تشهدان بذلك فلما
غلب الفرس على بابل استقل لهم ملك المشرق وجاء موسى صلوات الله عليه بالشريعة الالهية
وحرم السحر وطرقه وغلب الله له القبط باغراق فرعون وقومه ثم ملك بنو اسرائيل الشام
واختطوا بيت المقدس وظهر الروم في ناحية الشمال والمغرب فغلبوا الفرس الاولى على
ملكهم وملك ذو القرنين الاسكندر ما كان بايديهم ثم صار ملك الفرس بالمشرق الى ملوكهم
الساسانية وملك بنو يونان بالشام والمغرب الى القياصرة كما ذكرنا ذلك كله من قبل واصبحت
الدولتان عظيمتين واستطبتا العالم بما فيه ونازع الترك ملوك فارس في خراسان وما وراء
النهر وكانت بينهم حروب مشهورة واستمر ملكهم الى ان ظهر خاتم الانبياء
محمد صلوات الله عليه وجمع العرب على كلمة الاسلام فاجمعوا اليه لو انفقت ما في الارض
جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وبعثه الله اليه وقد امر بالجهاد ووعد عن
الله بان الارض لامته فزحفوا الى كسرى وقيصر بعد سنين من وفاته فانتزعوا الملك من ايديهما
وتجاوزوا الفرس الى الترك والروم الى البربر والمغرب واصبح العالم كله مستطبا الى دعوة
الاسلام ثم اختلف اهل الدين من بعده في رجوعهم الى من يستطيع امرهم وتشيع قوم من العرب
فزعموا انه اوصى بذلك لابن عمه علي وامتنع الجماعة من قبول ذلك وابوا الا الاجتهاد في
تعيينه فمضى على ذلك السلف في دولة بني امية الى ان استفحل الملك والاسلام فيها وتشافل
التشيع بتشعب المذاهب في استحقاق بني علي واتهم يتعين لهم ذلك حتى انساق مذهب
من هداهم الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فظهرت شيعته بخراسان وملكوا تلك الارض
كلها والعراق باسرها ثم غلبوا على بني امية وانتزعوا الملك من ايديهم واستفحل ملكهم
والاسلام باستفحاله وبعد خلفاؤهم ثم خامر الدولة ما خامر الدول من الترف والراحة

فتشلوا وكثر المنازعون لهم من بني علي وغيرهم فظهرت دولة لبني جعفر الصادق بالمغرب
وهم العبيديون بنو عبيد المهدي ابن محمد قام بها كتامة وقبائل البربر واستولوا على المغرب
ومصر ودولة بني العلوي بطبرستان قام بها الديلم واخوانهم الجيل ودولة بني امية
الثانية بالاندلس لان بني العباس لما غلبوهم بالمشرق واكثروا القتل فيهم هرب عبد الرحمن
ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك ونجا الى المغرب ثم ركب البحر الى الاندلس فاجتمع عليه من كان
هنالك من العرب وموالي بني امية فاستحدث هنالك ملكا اخر لهم وانقسمت الملة الاسلامية
بين هذه الدول الاربع الى المائة الرابعة ثم انقرض ملك العلوية من طبرستان واستقل الى
الديلم فاقتسموا خراسان وفارس والعراق وغلبوا على بغداد وحجروا الخليفة بها بنو بويه
منهم وكان بنو سامان من اتباع بني طاهر قد تقلدوا اعمالات ما وراء النهر فلما فشل امر الخلافة
استبدوا بتلك النواحي واصاروا لهم فيها ملكا ضخما وكان اخرهم محمود بن سبكتكين
من مواليهم فاستبد عليهم وملك خراسان وما وراء النهر الى الشاش ثم غزنة وما وراءها
جنوبا الى الهند واجاز الى بلاد الهند فافتتح منها كثيرا واستخرج من كنوزها ذخائر لم
يعثر عليها احد قبله واقامت الملة على هذا النمط الى انقضاء المائة الرابعة وكان
الترك منذ تعدد والعرب واسلموا على ما بايديهم وراء النهر من كاشغر والصاغون الى
فرغانة وولاهم الخلفاء عليها فاستحدثوا بها ملكا وكانت بوادي الترك في تلك النواحي
منتجعة امطار السماء وعشب الارض وكان الظهور فيهم لقبيلة الغز من شعوبهم وهم الخوز
الان استعمال العرب لها عرب خاؤها المعجمة غينا وادغمت واوها في الزاي الثانية وصارت
زايا واحدة مشددة وكانت رياسة الغز هؤلاء في بني سلجوق بن ميكائيل وكانوا يستخدمون لملوك
الترك بتركستان تارة ولملوك بني سامان في بخارى اخرى وحدث بينهما الفتنة فيتألفون من
شاء منهما ولما تغلب محمود بن سبكتكين على بني سامان واجاز من خراسان [illegible] بخارى
واتبعد كوسهم وقبض على كبار بني سلجوق هؤلاء وحبسهم بخراسان ثم مات وقام بالامر
اخوه مسعود فملك مكانه وانتقض عليه بنو سلجوق هؤلاء واجاز الغز الى خراسان فملكوها
وملكوا طبرستان من يد الديلم ثم اصبهان وفارس من ايدي بني بويه وملكهم يومئذ طغرلبك
ابن ميكائيل من بني سلجوق وغلب على بغداد من يد بني معز الدولة ابن بويه المستبدين على الخليفة
يومئذ المطيع وحجروه عن التصرف في امور الخلافة والملك ثم تجاوز الى عراق العرب فغلب على ملوكه
واباد هم ثم بلاد البحرين وعمان ثم على الشام وبلاد الروم واستوعبت ممالك الاسلام كلها
فاصارها في ملكه وانعصبت العرب راجعة الى الحجاز مسلوبة من الملك كان لم يكن لهم فيه نصيب
وذلك اعوام الاربعين والاربعمائة وخرج الافرنج على بقايا بني امية بالاندلس فانتزعوا
الملك من ايديهم واستولوا على حواضر الاندلس وامصارها وضاق النطاق على العبد بن بالقاهرة

ملوك

ملوك الغز بن اخوتهم فيها من الشام محمود بن زنكي وغيره من ابائهم ومماليكهم وملوك
المغرب قد قطعوا ما وراء الاسكندرية ملوك صنهاجة في افريقية والملثمين المرابطين
بعدهم بالمغرب الاقصى والاوسط والمصامدة الموحدين بعدهم كذلك واقام الغز السلجوقية
في ملك المشرق وبنوهم ومواليهم من بعدهم الى انقضاء القرن السادس وقد فشل ريح
الغز واخلقت دولتهم وظهر فيهم جنكزخان امير المغل من شعوب الططر وكان
كاهنا وجده النجر كاهنا مثله ويزعمون انه ولد من غير اب فغلب الغز في المفازة واستو لي
على ملك الططر وزحف الى كرسي الملك بخوارزم وهو علاء الدين خوارزم شاه سلفه
من موالي طغرلبك فغالبه على ملكه وفر امامه واتبعه الى جيحون طبرستان فنجا الى جزيرة
فيها ومرض هنالك ومات ورجع جنكزخان الى مازندران من امصار طبرستان فنزلها
واقام بها وبعث عساكره من المغل حتى استولوا على جميع ما كان للغز وانزل ابنه طولي بكرسي
خراسان وابنه دوشيخان بصراي وبلاد الترك وابنه جغطاي بكرسي الترك فيما وراء النهر
وهي كاشغر وتركستان واقام بمازندران الى ان مات ودفن بها ومات ابنه طولي وله ولدان
قبلاي وهولاكو ثم هلك قبلاي واستقل هولاكو بملك خراسان وحدث بينه وبين
بركة بن دوشيخان فتنة بالمنازعة في القانية تحاربوا فيها طويلا ثم اقصروا وصرف هولاكو
وجهه الى بلاد اصبهان وفارس ثم الى الخلفاء المستبدين ببغداد وعراق العرب فاستولى على
تلك النواحي واقتحم بغداد على الخليفة المستعصم اخر بني العباس وقتله واعظم فيها العيث
والفساد وذلك يومئذ على سنة من المخوشية ثم تخطى الى الشام فملك امصاره وحواضره
الى القدس وملوك مصر يومئذ من موالي بني ايوب قد استجاشوا بركة صاحب صراي
فزحف الى خراسان ليأخذ بحجزة هولاكو عن الشام ومصر ولم يصل الى هولاكو بجرد
لذلك لما بينهما من المنافسة والعداوة وكر راجعا الى العراق ثم الى خراسان لمدافعة
بركة وطالت الفتنة بينهما الى ان هلك هولاكو سنة ثلاث وستين من المائة السابعة وزحف
امراء مصر من موالي بني ايوب وكبيرهم يومئذ قطز وهو سلطانهم فاستولى على امصار
الشام التي كان هولاكو انتزعها من ايدي بني ايوب واحدا واحدا واستضاف الشام الى
مصر في ملكه ثم هدى الله الغابر من هولاكو الى الاسلام فاسلم بعد ان كان اسلم بركة ابن
عمه صاحب التخت بصراي من بني دوشيخان على يد مريد من اصحاب شمس الدين كبرى فتوالى
هو والغابرون هولاكو على الاسلام ثم اسلم بعد ذلك بنو جغطاي وراء النهر فاستطمت
ممالك الاسلام في ايدي ولد جنكزخان من المغل ثم من الططر ولم يخرج عن ملكهم منها الا
المغرب والاندلس ومصر والحجاز واصبحوا وكانهم في تلك الممالك خلف من السلجوقية
والغز واستمر الامر على ذلك لهذا العهد وانقرض ملك بني هولاكو بموت ابي سعيد

جنكزخان تغلبه للغز [illegible] لما بلاد وهي [illegible] قوقاقت من بلاد [illegible] علي الصين وكان [illegible] علن به المرض من [illegible] ما زندران [illegible] الان [illegible] ٦٢٨ [illegible] سنة اربع وعشرين وستمائة

آخرهم سنة أربعين من المائة الثامنة وافترق ملكهم بين عمال الدولة وقرابتها
من المغل فملك عراق العرب وأذربيجان وتوريز الشيخ حسن سبط هولاكو واتصل ملكها
في بنيه لهذا العهد وملك خراسان وطبرستان شاه ولي من قرابة بني هولاكو وملك
أصبهان وفارس بنو مظفر اليزدي من عمالهم أيضا وأقام توقتمش خان في مملكة
صراي وآخرهم بها طقطمش بن بردي بك ثم سما لبني جغطاي وراء النهر وملوكهم
أمل في التغلب على أعمال بني هولاكو وبني دوشي خان لما استفحل ملكهم هنالك لعدم الترف
والنعيم فسموا على البداوة وكان لهم ملك اسمه ساطلمش هلك لهذا العهد وأجلسوا ابنه
على التخت مكانه وأمراء بني جغطاي جميعا في خدمته وكبيرهم تيمور المعروف بتمر بن طوغان
فقام بأمر هذا الصبي وكفله وتزوج أمه ومد يده إلى ممالك بني دوشي خان التي كانت على عدوتهم
وراء النهر مثل سمرقند وبخارى وخوارزم وأجاز إلى طبرستان وخراسان فملكهما
ثم ملك أصبهان وزحف إلى بغداد فملكها من يد أحمد بن أويس وفر أحمد مستجيرا بملك مصر
وهو الملك الظاهر برقوق وقد تقدم ذكره فأجاره ووعده النصر من عدوه وبعث الأمير
تمر رسلا إلى صاحب مصر يقررون معه الولاية والاتحاد وحسن الجوار فوصلوا إلى الرحبة
فلقيهم عاملها فداخلهم الكلام فأوحشوا في الخطاب وأبوا فبيت جميعهم وقتلهم وخرج
الظاهر برقوق من مصر وجمع العرب والتركمان وأناخ على الفرات وصرخ بطقطمش من كرسيه
بصراي فحشد ووصل إلى الأبواب ثم زحف تمر إلى الشام سنة ست وتسعين وبلغ الرها
والظاهر يومئذ على الفرات فأحجم تمر عن لقائه وصار إلى محاربة طقطمش فاستولى على أعماله
كلها ورجع قبائل المغل إلى تمر وساروا تحت رايته وذهب طقطمش في ناحية الشمال وراء
بلغار مع قبائل الروس من شعوب الترك في الجبال وسارت عصائب الترك كلها تحت
رايات تمر ثم اضطرب ملوك الهند واستصرخ خارج منهم بالأمير تمر فسار إليهم في
عساكر المغل وملك دلي وفرضتها إلى كنباية من سيف بحر الهند وعاثوا في نواحي
بلاد الهند ثم بلغه هنالك مهلك الظاهر برقوق بمصر فرجع إلى البلاد ومر على العراق ثم على
أرمينية وأرزنكان حتى وصل سيواس فخربها وعاث في نواحيها ورجع عنها أول سنة
ثلاث من المائة التاسعة ونازل قلعة الروم فامتنعت وجاوزها إلى حلب فقاتله نائب
الشام وعساكره في ساحتها فهزمهم واقتحم المغل المدينة من كل ناحية ووقع فيها من
العيث والنهب والمصادرات واستباحة الحرم ما لم يعهد الناس مثله ووصل الخبر إلى
مصر فتجهز السلطان فرج ابن الملك الظاهر إلى المدافعة عن الشام وخرج في عساكر من
الترك مسابقا المغل وملكهم تمر أن يصدهم عنها ۝

لقاءة الأمير تمر سلطان المغل والططر

لما وصل الخبر إلى مصر بأن الأمير

تمر

ام سيورغتمش

ترغاي

ثم ملك بلاد الروم وخرب سيواس ورجع إلى الشام جمع السلطان عساكره وفتح
ديوان العطاء ونادى في الجند بالرحيل إلى الشام وكنت أنا يومئذ معزولا عن
الوظيفة فاستدعاني دواداره يشبك وأرادني على السفر معه في ركاب السلطان
فتجافيت عن ذلك ثم أظهر العزم علي بلين القول وجزيل الإنعام فأصحبت وسافرت معهم
منتصف شهر المولد الكريم من سنة ثلاث فوصلنا إلى غزة فأرحنا بها أياما نترقب
الأخبار ثم رحلنا إلى الشام مسابقين الططر إلى أن نزلنا شقحب وأسرينا فصبحنا دمشق
والأمير تمر في عساكره قد رحل من بعلبك قاصدا دمشق فضرب السلطان خيامه وأبنيته
بساحة قبة يلبغا ويئس الأمير تمر من مهاجمة البلد فأقام بمرقب على قبة يلبغا يراقبنا
ونراقبه أكثر من شهر تجاول العسكران في هذه الأيام مرات ثلاثا أو أربعا فكانت حربهم
سجالا ثم نمي الخبر إلى السلطان وأكابر أمرائه أن بعض الأمراء المنغمسين في الفتنة يحاولون
الهرب إلى مصر للثورة بها فأجمع رأيهم للرجوع إلى مصر خشية من انتقاض الناس وراءهم
واختلال الدولة بذلك فأسروا ليلة الجمعة من شهر وركبوا أجل الصالحية ثم انحطوا
في شعابه وساروا على شاطئ البحر إلى غزة وركب الناس ليلا يعتقدون أن السلطان سار على الطريق
الأعظم إلى مصر فساروا عصبا وجماعات على شقحب إلى أن وصلوا إلى مصر وأصبح أهل دمشق
متحيرين قد عميت عليهم الأنباء وجاءني القضاة والفقهاء واجتمعت بمدرسة العادلية واتفق
رأيهم على طلب الأمان من الأمير تمر على بيوتهم وحرمهم وشاوروا في ذلك نائب القلعة
فأبى عليهم ذلك ونكر فلم يوافقوه وخرج القاضي برهان الدين ابن مفلح الحنبلي ومعه شيخ الفقراء
بزاويته فأجابهم إلى التأمين وردهم باستدعاء الوجوه والقضاة فخرجوا إليه متدلين من السور
بما صحبهم من التقدمة فأحسن لقاءهم وكتب لهم الرقاع بالأمان وردهم على أحسن الآمال واتفقوا
معه على فتح المدينة من الغد وتصرف الناس في المعاملات ودخول أمير ينزل بمحل الإمارة منها
ويملك أمرهم بعز ولايته وأخبرني القاضي برهان الدين أنه سأله عني وهل سافرت مع عساكر
مصر أو أقمت بالمدينة فأخبره بمقامي بالمدرسة حيث كنت وبتنا تلك الليلة على أهبة الخروج
إليه فحدث بين بعض الناس تشاجر في المسجد الجامع وأنكر البعض ما وقع من الاستنامة إلى القول
وبلغني الخبر من جوف الليل فخشيت البادرة على نفسي وبكرت سحرا إلى جماعة القضاة عند
الباب وطلبت الخروج أو التدلي من السور لما حدث عندي من توهمات ذلك الخبر فأبوا علي
أولا ثم أصخوا لي ودلوني من السور فوجدت بطانته عند الباب ونائبه الذي عينه للولاية
على دمشق واسمه شاه ملك من بني جغطاي أهل عصابته فحييتهم وحيوني وفديت
وفدوني وقدم لي شاه ملك مركوبا وبعث معي من بطانة السلطان من أوصلني إليه فلما
وقفت بالباب خرج الإذن بإجلاسي في خيمة هنالك تجاور خيمة جلوسه ثم زيد في

المعروف باسمي ابي القاضي المالكي المغربي فاستدعاني ودخلت عليه بخيمة جلوسه متكئا على
مرفقه وصحاف الطعام بين يديه يشير بها الى غصب المغل جلوسا امام خيمته حلقا حلقا
فلما دخلت عليه فاتحت بالسلام واومأت ايماءة الخضوع فرفع راسه ومد يده الي فقبلتها
واشار بالجلوس فجلست حيث انتهيت بتراس دعي من بطانته الفقيه عبد الجبار بن النعمان
من فقهاء الحنفية يحاورنا فاقعده يترجم ما بيننا وسالني من اين جئت من المغرب ولما جئت
فقلت جئت من بلادي لقضاء الفرض كتبت الها البحر ووافيت مرسى الاسكندرية يوم الفطر
سنة اربع من هذه المائة الثامنة والمفرجات باسوارهم لجلوس الظاهر على تخت الملك
لملك العشر الايام بعد دخولها فقال لي وما فعل معك قلت كل خير بر مقدمي وارغد
قراي وزودني للحج ولما رجعت وفر جرايتي واقمت في ظله ونعمته رحمه الله وجزاه
فقال وكيف كانت تولية اياك القضا فقلت مات قاضي المالكية قبل موته بشهر وكان
يظن المقام المحمود في القيام بالوظيفة وتحري المعدلة والحق والاعراض عن الجاه فولاني
مكانه ومات لشهر بعدها فلم يرض اهل الدولة بمكاني فادالوني منها بغيري جزاهم الله
فقال لي واين ولدك فقلت بالمغرب الجواني كاتب للملك الاعظم هنالك فقال وما
معنى الجواني في وصف المغرب فقلت هو في عرف خطابهم معناه الداخلي اي الابعد لان
المغرب كله على ساحل البحر الشامي من جنوبه والاقرب الى هنا برقة وافريقية والمغرب
الاوسط تلمسان وبلاد زناتة والاقصى فاس ومراكش وهو معنى الجواني فقال لي واين
مكان طنجة من ذلك المغرب فقلت في الزاوية التي بين البحر المحيط والخليج المسمى بالزقاق وهو
خليج البحر الشامي فقال وسبتة فقلت على مسافة يوم من طنجة على ساحل الزقاق ومنها التعدية
الى الاندلس لقرب مسافته لانها هناك نحو العشرين ميلا فقال وسجلماسة فلت في الحد ما
بين الارياف والرمال من جهة الجنوب فقال لا يقنعني هذا واحب ان تكتب لي بلاد المغرب
كلها اقاصيها وادانيها وجباله وانهاره وقراه وامصاره حتى كاني اشاهده فقلت
يحصل ذلك بسعادتك وكتبت له بعد انصرافي من المجلس لما طلب من ذلك واوعبت الغرض
فيه في مختصر وجيز يكون قدر ثنتي عشرة من الكراريس المنصفة القطع ثم اشار الى خدمه
باحضار طعام من بيته يسمونه الرشتة ويحكمونه على ابلغ ما يمكن فاحضرت الاواني منه
واشار بعرضها علي فمثلت قائما وتناولتها وشربت واستطبت ووقع ذلك منه احسن
المواقع ثم جلست وسكتنا وقد غلبني الوجل بما وقع من نكبة قاضي القضاة الشافعية صدر
الدين المناوي اسره التابعون لعسكر مصر بشقحب ورده لحبس عندهم في طلب الفدية منه
فاصابنا من ذلك وجل فزورت في نفسي كلاما اخاطبه به واتلطفه بتعظيم احواله وملكه
وكنت قبل ذلك بالمغرب قد سمعت كثيرا من الحدثان في ظهوره وكان المنجمون المتكلمون في قرانات

العلويين يترقبون القران العاشر في المثلثة الهوائية وكان يترقب عام ستة وستين
من المائة السابعة فلقيت ذات يوم من عام احد وستين بجامع القرويين من فاس
الخطيب ابا علي ابن باديس خطيب قسنطينة وكان ماهرا في ذلك الفن فسالته عن هذا
القران المتوقع وما هي اثاره فقال لي يدل على ثائر عظيم في الجانب الشمالي الشرقي من
امة بادية اهل خيام تتغلب على الممالك وتقلب الدول وتستولي على اكثر المعمور
فقلت ومتى زمنه فقال عام اربعة وثمانين تنتشر اخباره وكتب لي بمثل ذلك الطبيب
ابن زرزر اليهودي طبيب ملك الافرنج ابن ادفونش ومنجمه وكان شيخي رحمه الله امام
المعقولات محمد بن ابراهيم الابلي متى فاوضته في ذلك او سائلته عنه يقول امره
قريب ولا بد لك ان عشت ان تراه واما المتصوفة فكنا نسمع عنهم بالمغرب ترقبهم
لهذا الكائن ويرون ان القائم به هو الفاطمي المشار اليه في الاحاديث النبوية من
الشيعة وغيرهم فاخبرني يحيى بن عبد الله حافد الشيخ ابي يعقوب البادسي كبير الاولياء
بالمغرب ان الشيخ قال لهم ذات يوم وقد انفتل من صلاة ٥
الغداة ان هذا اليوم ولد فيه القائم الفاطمي وكان ذلك في عشر الاربعين من المائة
الثامنة فكان في نفسي من ذلك كله ترقب له فوقع في نفسي لاجل الوجل الذي كنت فيه
ان افاوضه في شيء من ذلك يستريح اليه ويانس به مني ففاتحته وقلت ايدك الله لي
اليوم ثلاثون او اربعون سنة اتمنى لقاءك فقال لي الترجمان عبد الجبار وما سبب ذلك
فقلت امران الاول انك سلطان العالم وملك الدنيا وما اعتقد انه ظهر
في الخليقة منذ ادم لهذا العهد ملك مثلك ولست ممن يقول في الامور بالجزاف فاني
من اهل العلم وابين لك ذلك فاقول ان الملك انما يكون بالعصبية وعلى كثرتها
يكون قدر الملك واتفق اهل العلم من قبل ومن بعد ان اكثر امم البشر فرقتان العرب والترك
وانتم تعلمون ملك العرب كيف كان لما اجتمعوا في دينهم على نبيهم واما الترك ففي
مزاحمتهم لملوك الفرس وانتزاع ملكهم افراسياب خراسان من ايديهم شاهد بنصابهم
من الملك ولا يساويهم في عصبيتهم احد من ملوك الارض من كسرى او قيصر او الاسكندر
او بختنصر اما كسرى فكبير الفرس وملكهم واين الفرس من الترك واما قيصر والاسكندر
فملوك الروم واين الروم من الترك واما بختنصر فكبير اهل بابل والنبط واين هؤلاء
من الترك وهذا برهان ظاهر على ما ادعيته في هذا الملك واما الامر الثاني
مما يحملني على تمني لقائه فهو ما كنت اسمعه من اهل الحدثان بالمغرب والاولياء وذكرت
ما قصصته من ذلك قبل فقال لي واراك ذكرت بختنصر مع كسرى وقيصر والاسكندر
ولم يكن في عدادهم لانهم ملوك اكابر وبختنصر قائد من قواد الفرس كما انا نائب من نواب

صاحب النجف وهو هذا واشار الى الصف القائمين وراه وكان واقفا معهم وهو ربيبه
الذي تقدم لنا انه تزوج امه بعد ابيه ساطلمش فلم يلقه هناك وذكر له القائمون
في ذلك الصف انه خرج عنهم ورجع الى نقال ومن اي الطوائف هو بختنصر فقلت
بين الناس فيه خلاف فقيل من النبط بقية ملوك بابل وقيل من الفرس الاولى فقال
يعني من ولد منوشهر قلت نعم هكذا ذكروا فقال ومنوشهر له علينا ولادة من قبل
الامهات ثم افضت مع الترجمان في تعظيم هذا القول منه وقلت له وهذا مما يحملني
على تمني لقايه فقال الملك واي القولين ارجح عندك فيه فقلت انه من بقية ملوك
بابل فذهب هو الى ترجيح القول الاخر فقلت يعكر علينا راي الطبري فانه مورخ الامه
ومحدثهم ولا يرجحه غيره فقال وما علينا من الطبري نحضر كتب التاريخ للعرب والعجم
ونناظرك فقلت وانا ايضا اناظر على راي الطبري وانتهى بنا القول فسكت وجاءه
الخبر بفتح باب المدينة وخروج القضاة وفاء بما زعموا من الطاعة التي بذل لهم فيها الامان
فرفع من بين ايدينا لما في ركبته من الداء وحمل على فرسه فقبض شكائمه واستوى في مركبه
وضربت الالات حفافيه حتى ارتج لها الجو وسار نحو دمشق ونزل في تربة منجك عند
باب الجابية فجلس هناك ودخل اليه القضاة واعيان البلد ودخلت في جملتهم فاشار اليهم
بالانصراف والى شاه ملك نايبه ان يخلع عليهم في وظايفهم واشار الي بالجلوس فجلست بين
يديه ثم استدعى امراء دولته القائمين على امر البناء فاحضروا عرفاء البنيان المهندسين وتناظروا
في اذهاب الماء الدائر بخندق القلعة لعلهم يعثرون بالصناعة على منفذه فتناظروا في
مجلسه طويلا ثم انصرفوا وانصرفت الى بيتي خارج داخل المدينة بعد ان استاذنته في ذلك
فاذن فيه واقمت في كسر البيت واشتغلت بما طلب مني في وصف بلاد المغرب فكتبته في
ايام قليلة ورفعته اليه فاخذه من يدي وامر موقعه بترجمته الى اللسان المغلي ثم
اشتد في حصار القلعة ونصب عليها الالات من المجانيق والنفوط والعرادات والنقب
فنصبوا لايام قليلة ستين منجنيقا الى ما يشاكلها من الالات الاخرى وضاق الحصار باهل
القلعة وتهدم بناوها من كل جهة فطلبوا الامان وكان بها جماعة من خدام السلطان
ومخلفه فامنهم السلطان تمر وحضروا عنده وخرب القلعة وطمس معالمها وصادر اهل
البلد على قناطير من الاموال استولى عليها بعد ان اخذ جميع ما خلفه صاحب مصر هنالك
من الاموال والظهر والخيام ثم اطلق ايدي النهابة على بيوت اهل المدينة فاستوعبوا
اناسيها وامتعتها واضرموا النيران فيما بقي من سقط الاقمشة والخرثي فاتصلت النار
بحيطان الدور المدعمة بالخشب فلم تزل تتوقد الى ان اتصلت بالجامع الاعظم وارتفعت الى
سقفه فسال رصاصه وتهدمت سقفه وحوائطه وكان امرا بلغ مبالغه في الشناعة

والقبح

والقبح وتصاريف الامور بيد الله يفعل في خلقه ما يريد ويحكم في ملكه ما يشا وكان
ايام مقامي عند السلطان تمر خرج اليه من القلعة يوم امن اهلها رجل من اعقاب
الخلفاء بمصر من ذرية الحاكم العباسي الذي نصبه الظاهر بيبرس فوقف الى السلطان
تمر يسله النصفة في امره ويطلب منه منصب الخلافة كما كان لسلفه فقال له السلطان
تمر انا احضر لك الفقهاء والقضاة فان حكموا لك بشي انصفتك فيه واستدعى الفقها
والقضاة واستدعاني فيهم فحضرنا عنده وحضر هذا الرجل الذي يسل منصب
الخلافة فقال له عبد الجبار هذا مجلس النصفة فتكلم فقال ان هذه الخلافة لنا ولسلفنا
وان الحديث صح بان الامر لبني العباس ما بقيت الدنيا يعني امر الخلافة واني احق من صاحب
المنصب الان بمصر لان ابائي الذين ورثتهم كانوا قد استحقوه وصار الى هذا بغير مستند
فاستدعى عبد الجبار كلا منا في امره فسكتنا برهة ثم قال ما تقولون في هذا الحديث
فقال برهان الدين ابن مفلح الحديث ليس بصحيح واستدعى ما عندي في ذلك فقلت الامر
كما قلتم من انه غير صحيح فقال السلطان تمر فمن الذي صير الخلافة لبني العباس الى هذا
العهد في الاسلام وشافهني بالقول فقلت ايدك الله اختلف المسلمون من لدن وفاة
النبي صلى الله عليه وسلم هل يجب على المسلمين ولاية رجل منهم يقوم بامورهم في دينهم
ودنياهم ام لا يجب ذلك فذهبت طايفة الى انه لا يجب ومنهم الخوارج وذهب الجماعة الى وجوبه
واختلفوا في مستند ذلك الوجوب فذهب الشيعة كلهم الى حديث الوصية وان النبي صلى الله
عليه وسلم اوصى بذلك لعلي واختلفوا في تنقلها عنه الى عقبه الى مذاهب كثيرة تشذ عن
الحصر واجمع اهل السنة على انكار هذه الوصية وان مستند الوجوب في ذلك انما
هو الاجتهاد يعنون ان المسلمين يجتهدون في اختيار رجل من اهل الحق والفقه والعدل يفوضون
اليه النظر في امورهم ولما تعددت فرق العلوية وانتقلت الوصية بزعمهم من بني الحنفية الى
بني العباس اوصى بها ابو هاشم ابن محمد ابن الحنفية الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وبث دعاته
بخراسان وقام ابو مسلم بهذه الدعوة فملك خراسان والعراق ونزل شيعتهم الكوفة واختاروا
للامر ابا العباس السفاح ابن صاحب هذه الدعوة ثم ارادوا ان تكون بيعته على اجماع من اهل السنة
والشيعة فكاتبوا اكابر الامة يوميذ واهل الحل والعقد بالحجاز والعراق يشاورونهم
في امره فوقع اختيارهم كلهم على الرضى به فبايع له شيعته بالكوفة بيعة اجماع واصفاق
ثم عهد بها الى اخيه المنصور وعهد بها المنصور الى بنيه فلم تزل متناقلة فيهم اما بعهد
او باختيار اهل العصر الى ان كان المستعصم اخرهم ببغداد فلما استولى عليها هولاكو وقتله
افترق قرابته ولحق بعضهم بمصر وهو احمد الحاكم من عقب الراشد فنصبه الظاهر بيبرس
بمصر بملاء اهل الحل والعقد من الجند والفقها وانتقل الامر في بنيه الى هذا الذي بمصر لا

تعلم خلاف ذلك فقال لهذا الرابع قد سمعت مقال القضاة وأهل الفتيا وظهر أنه ليس لك
حق تطلبه عندي فانصرف راشدا

الرجوع عن هذا الأمير تمر إلى مصر

كنت لما لقيته وتدليت إليه من السور كما مر أشار عليّ بعض الأصحاب ممن يخبر أحوالهم بما تقدم
له من المعرفة بهم فأشار بأن أطرفه ببعض هدية وإن كانت نزرة فهي عندهم متأكدة
في لقاء ملوكهم فانتقيت من سوق الكتب مصحفا رائقا حسنا في جزء محذو وسجادة أنيقة
ونسخة من قصيدة البردة المشهورة للأبوصيري في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وأربع علب
من حلاوة مصر الفاخرة وجئت بذلك فدخلت عليه وهو بالقصر الأبلق جالس في إيوانه
فلما رآني مقبلا مثل قائما وأشار إلي عن يمينه فجلست وأكابر من الجغطيه حفافيه فجلست قليلا
ثم استدرت بين يديه وأشرت إلى الهدية التي ذكرتها وهي بيد خدامي فوضعتها واستقبلني فتحت
المصحف فلما رآه وعرفه قام مبادرا فوضعه على رأسه ثم ناولته البردة فسألني عنها وعن ناظمها
فأخبرته بما وقفت عليه من أمرها ثم ناولته السجادة فتناولها وقبلها ثم وضعت علب الحلوى
بين يديه وتناولت منها حرفا على العادة في التأنيس بذلك ثم قسم هو ما فيها من الحلوى بين الحاضرين
في مجلسه وتقبل ذلك كله وأشعر بالرضى به ثم حومت على الكلام بما عندي في شأن نفسي وشأن
أصحاب لي هنالك فقلت أيدك الله لي كلام أذكره بين يديك فقال قل فقلت أنا
غريب بهذه البلاد غربتين واحدة من المغرب الذي هو وطني ومنشأي وأخرى من مصر
وأهل جيلي بها وقد حصلت في ظلك وأنا أرجو رأيك لي فيما يؤنسني في غربتي فقال قل
الذي تريد أفعله لك فقلت حال الغربة أنستني ما أريد وعساك أيدك الله أن تعرف لي
ما أريد فقال انتقل من المدينة إلى الأردو وعندي إن شاء الله أوفي كنه قصدك فقلت أمر لي بذلك
نائبك شاه ملك فأشار إليه بإمضاء ذلك فشكرت ودعوت وقلت وبقيت لي أخرى
فقال وما هي فقلت هؤلاء المخلفون عن سلطان مصر من القراء والموقعين والدواوين والعمال صاروا
إلى إيالتك والملك لا يغفل مثل هؤلاء فسلطانكم كبير وعمالاتكم متسعة وحاجة ملككم
إلى المتصرفين في صنوف الخدم أشد من حاجة غيركم فقال وما تريد لهم فقلت مكتوب أمان
يستأمنون إليه ويعولون في أحوالهم عليه فقال لكاتبه اكتب لهم بذلك فشكرت ودعوت
وخرجت مع الكاتب حتى كتب لي مكتوب الأمان وختمه شاه ملك بخاتم السلطان وانصرفت
إلى منزلي ولما قرب سفره واعتزم على الرحيل عن الشام دخلت عليه ذات يوم فلما قضينا
المعتاد التفت إلي وقال عندك بغلة هنا قلت نعم قال حسنة قلت نعم قال وتبيعها فأنا أشتريها
منك فقلت أيدك الله مثلي لا يبيع من مثلك إنما أنا أخدمك بها وبأمثالها لو كانت لي فقال إنما
أردت أن أكافيك عنها بالإحسان فقلت وهل بقي إحسان وراء ما أحسنت به اصطنعتني وأحللتني
من مجلسك محل خواصك وقابلتني من الكرامة والخير بما أرجو الله أن يقابلك بمثله وسكت وسكت

وحملت

وحملت البغلة وأنا معه في المجلس إليه ولم أرها بعد ثم دخلت عليه يوما آخر فقال لي أتسافر إلى
مصر فقلت أيدك الله رغبتي إنما هي أنت وأنت قد آويت وكفلت فإن كان السفر إلى مصر في خدمتك
فنعم وإلا فلا بغية لي فيه فقال لا بل تسافر إلى عيالك وأهلك فالتفت إلى ابنه وكان مسافرا
إلى شقحب لمربع دوابه واشتغل يحادثه فقال لي الفقيه عبد الجبار الذي كان يترجم بيننا إن
السلطان يوصي ابنه بك فدعوت له ثم رأيت أن السفر مع ابنه غير مستبين الوجهة والسفر إلى
صفد أقرب السواحل إلينا أملك لأمري فقلت له ذلك فأجاب إليه وأوصى بي قاصدا كان
عنده من حاجب صفد ابن الداويداري فودعته وانصرفت واختلفت الطريق مع ذلك القاصد
فذهب عني وذهبت عنه وسافرت في جمع من أصحابي فاعترضتنا جماعة من العشير قطعوا علينا
الطريق ونهبوا ما معنا ونجونا إلى قرية هنالك عرايا واتصلنا بعد يومين أو ثلاث بالصبيبة
فخلفنا بعض الملبوس وأجزنا إلى صفد فأقمنا بها أياما ثم مر بنا مركب من مراكب ابن عثمان
سلطان بلاد الروم وصل فيه رسول كان سفر إليه عن سلطان مصر ورجع بجواب رسالته فركبت
معهم البحر إلى غزة ونزلت بها وسافرت منها إلى مصر فوصلتها في شعبان من هذه السنة وهي
سنة ثلاث وثمانمائة وكان السلطان صاحب مصر قد بعث من بابه سفيرا إلى الأمير تمر إجابة
إلى الصلح الذي طلب منه فأعقبني إليه فلما قضى رسالته رجع وكان وصوله بعد وصولي فبعث إلي
مع بعض أصحابه يقول لي إن الأمير تمر قد بعث معي إليك ثمن البغلة التي ابتاع منك وهي هذه
فخذها فإنه عزم علينا في خلاص ذمته من مالك هذا فقلت لا أقبله إلا بعد إذن من السلطان
الذي بعثك إليه وأما دون ذلك فلا ومضيت إلى صاحب الدولة فأخبرته الخبر فقال وما عليك
فقلت إن ذلك لا يجمل بي أن أفعله دون اطلاعكم عليه فأغضى عن ذلك وبعثوا إلي بذلك المبلغ بعد
مدة واعتذر الحامل عن نقصه بأنه أعطيه كذلك وحمدت الله على الخلاص وكتبت حينئذ كتابا إلى
صاحب المغرب عرفته فيه بما دار بيني وبين سلطان الططر تمر وكيف كانت واقعته معنا بالشام وضمنت
ذلك في فصل من الكتاب نصه وإن تفضلتم بالسؤال عن حال المملوك فهي بخير والحمد لله وكنت في العام
الفارط توجهت صحبة الركاب السلطاني إلى الشام عندما زحف الططر إليه من بلاد الروم والعراق
مع ملكهم تمر واستولى على حلب وحماة وحمص وبعلبك وخربها جميعا وعاثت عساكره فيها بما لم
يسمع بأشنع منه ونهض السلطان في عساكره لاستنقاذها وسبق إلى دمشق وأقام في مقابلته نحوا
من شهر ثم قفل راجعا إلى مصر وتخلف الكثير من أمرائه وقضاته وكنت في المخلفين وسمعت أن سلطانهم
تمر سأل عني فلم يسع إلا لقاؤه فخرجت إليه من دمشق وحضرت مجلسه وقابلني بخير واقتضيت منه
الأمان لأهل دمشق وأقمت عنده خمسا وثلاثين يوما أباكره وأراوحه ثم صرفني وودعني على أحسن حال
ورجعت إلى مصر وكان طلب مني بغلة كنت أركبها فأعطيته إياها وسألني البيع فتأففت منه لما كان
يعامل به من الجميل فبعث إلي بثمنها مع رسول كان من جهة السلطان هنالك وحمد

الله تعالى على الخلاص من ورطات الدنيا وهولاء الططر هم الذين خرجوا من المفازة وراء النهر بينه
وبين الصين اعوام عشرين وستمائه مع ملكهم الشهير جنكزخان وملك المشرق كله من ايدي
السلجوقيه ومواليهم الى عراق العرب وقسم الملك بين بنيه من بعده وهم جغطاي وطولي
ودوشي خان وجغطاي كبيرهم وكان في قسمته تركستان وكاشغر والصاغون والشاش وفرغانه
وسائر ما وراء النهر من البلاد وطولي كان في قسمته اعمال خراسان وعراق العجم والري الى عراق
العرب وبلاد فارس وسجستان والسند وكان ابناوه قبلاي وهولاكو ودوشي خان كان في قسمته
بلاد قفجق ومنها صراي وبلاد الترك الى خوارزم وكان لهم اخ رابع يسمى اوكداي كبيرهم ويسمونه
الخان ومعناه صاحب التخت وهو بمثابة الخليفة في ملك الاسلام وانقرض عقبه وانتقلت الخانيه
الى قبلاي ثم الى بني دوشي خان اصحاب صراي واستمر ملك الططر في هذه الدول الثلاث وملك هولاكو
بغداد وعراق العرب الى ديار بكر ونهر الفرات ثم زحف الى الشام وملكها ورجع عنها وزحف اليها
بنوه مرارا وملوك مصر من الترك يدافعونهم عنها الى ان انقرض ملك بني هولاكو اعوام اربعين وسبعمائه
وملك بعدهم الشيخ حسن النوين وبنوه وافترق ملكهم في طوائف من اهل دولتهم وارتفعت همتهم
عن ملوك الشام ومصر ثم في اعوام السبعين او الثمانين وسبعمائه ظهر في بني جغطاي وراء النهر امير
اسمه تمور ويشهر عند الناس بتمر وهو كافل لصبي ينتسل النسب معه الى جغطاي في آبائه كلهم ملوك
وهذا تمر بن طوغان هو ابن عمهم كفل صاحب التخت منهم اسمه محمود وتزوج امه صرغتمش ومد يده الى ممالك
الططر كلها فاستولى عليها الى ديار بكر ثم جال في بلاد الروم والهند وعاث عساكره في نواحيها
وخرب حصونها ومدنها في اخبار يطول شرحها ثم زحف بعد ذلك الى الشام ففعل به ما فعل والله
غالب على امره ثم رجع اخرا الى بلاده والاخبار تتصل بانه قصد سمرقند وهي كرسيه والقوم في عدد
لا يسعه الاحصاء ان قدرت الف الف فغير كثير ولا تقول انقص وان خيموا في الارض ملؤا الساح وان سارت
كتائبهم في الارض العريضة ضاق بهم الفضا وهم في الغارة والنهب والفتك باهل العمران وابتلائهم
بانواع العذاب على ما يحصلونه من فئاتهم آية عجب وعلى عادة بوادي الاعراب وهذا الملك تمر من زعماء
الملوك وفراعنتهم والناس ينسبونه الى العلم واخرون الى اعتقاد الرفض لما يرون من تفضيله لاهل
البيت واخرون الى انتحال السحر وليس من ذلك كله في شي انما هو شديد الفطنة والذكاء كثير
البحث واللجاج بما يعلم وبما لا يعلم عمره بين الستين والسبعين وركبته اليمنى عاطلة من سهم اصابه في
الغارة ايام صباه على ما اخبرني فيجرها في قريب المشي ويتناوله الرجال على الايدي عند طول المسافة
وهو مصنوع له والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده انتهى **ولاية القضاء الثالثة والرابعة
والخامسة بمصر** كنت لما اقمت عند السلطان تمر ملك الايام التي اقمت طال
مغيبي عن مصر وشنعت الاخبار عني بالهلاك فقدم للوظيفة من يقوم بها من فضلاء المالكيه
وهو جمال الدين الاقفهسي غزير الحفظ والذكاء عفيف النفس عن التصدي لحاجات الناس ورع



في دينه

82

في دينه فقلدوه منتصف جمادى الاخرة من السنه فلما رجعت الى مصر عدلوا عن ذلك الراي وبدا
لهم في امري فولوني في اواخر شعبان من السنه واستمررت على الحال التي كنت عليها من القيام بالحق
والاعراض عن الاغراض والانصاف من المطالب ووقع الانكار علي ممن لا يدين للحق ولا يعطي النصفه
من نفسه فسعوا عند السلطان في ولاية شخص من المالكيه يعرف بجمال الدين البساطي بذل في
ذلك لسعاة داخلوه قطعة من ماله ووجوها من الاغراض في قضايا ماثل الله حسيبهم فخلعوا
عليه اواخر رجب سنة اربع ثم تمادى به ثم راجع السلطان بصيرته واستقل رايه ورجع الي الوظيفه
خاتم سنة اربع فاجريت الحال على ما كان وبقي الامر كذلك سنة وبعض الاخرى واعادوا البساطي طى
الى ما كان وبما كان وعلى ما كان وخلعوا عليه سادس ربيع الاول سنة ست ثم اعادوني عاشر شعبان
سنة سبع ثم اداله مني اواخر ذي القعدة من السنه والله مصرف الامور

الحمد لله توفي المصنف رحمه الله بالقاهرة عام ثمانمائة وثمانية هذا هو الصحيح وقيل بل مات بدمشق
من جهة اصابته في طريقه والاول اثبت والله سبحانه اعلم

